جـامعة عمار ثليـجي بالأغـواط



دراســـــات

مجلّة دولية محكّمة

العدد: 36
سبتمبر 2015

ISSN 1112-4652

مجلّة دراسات - العدد: 36 - سبتمبر 2015

مجلّة "دراسات"

مجلّة دولية علمية محكّمة متعدّدة التخصّصات

تصدر عن جامعة عمار ثليجي بالأغواط

مجلة دراسات - العدد : 36 - سبتمبر 2015

الهيئة الاستشارية

قواعد النشر

1- تنشر المجلّة البحوث العلمية للأساتذة الباحثين في مختلف التخصّصات.

2- تقدّم البحوث على قرص مكتوب بنظام word أو عن طريق البريد الإلكتروني:

bourguiba_d@yahoo.fr

3- يرفق البحث بملخّص في حدود 70 كلمة من نفس لغة البحث، وملخّص ثانٍ باللغة الأنجليزية، مع الكلمات المفتاحية، وكذا ملخّص للسيرة الذاتية للباحث.

4- أن لا يكون البحث منشورًا من قبل، أو مقدّمًا للنشر في جهة أخرى، ويقدّم الباحث تعهّدًا مكتوبًا بذلك.

5- أن لا يكون البحث فصلاً من رسالة جامعية.

6- أن لا تقلّ صفحات البحث عن 15 صفحة، وأن لا تزيد عن 30 صفحة.

7- أن يلتزم الباحث منهجية علمية معتمدة.

8- البحوث التي تخلّ بأيّ ضابط من الضوابط أعلاه لا تؤخذ بعين الاعتبار.

9- تخضع البحوث والمقالات لرأي محكّمين من مختلف الجامعات.

10- ترتيب البحوث لا يخضع لأهمّية البحث ولا لمكانة الباحث.

11- البحوث التي تقدّم للمجلّة لا تردّ إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر، ولا تلتزم المجلّة بإبداء أسباب عدم النشر.

ملاحظة:

جميع الآراء الواردة في المجلّة تعبّر عن وجهة نظر أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجلّة أو الجامعة.

مجلة دراسات - العدد : 36 - سبتمبر 2015

فهرس المحتويات

مجلّة دراسات - العدد :36 - سبتمبر 2015

تأصيل علم النفس في البيئة العربية ـ الإسلامية

رؤية بديلة في ضوء الوحي الإلهي والسنة النبوية الشريفة

د. تغليت صلاح الدين

جامعة محمد لمين دباغين . سطيف

الملخص:

لو قمنا باستقراء شامل لآيات القرآن الكريم لخرجنا بمدرسة نفسية قرآنية تجمع في طياتها كل المدارس النفسية المعاصرة، وفق منهاج صحيح مبني على فهم عميق لطبيعة البشر، واضعين بذلك أقوم الأسس النفسية لعلاج الأمراض والاضطرابات النفسية على اختلاف أنواعها بواقعية إيمانية تتجاوز تلك التفسيرات المادية الضيقة التي تستبعد الجوانب الروحية العقائدية لدى الأفراد.

ومنه تحاول هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على أهمية تأصيل علم النفس في البيئة العربية . الإسلامية نظرا لعدم انسجام محتواه الحالي مع المعايير الثقافية والاجتماعية لهذه البيئات، إذ أن ما ندرسه وندرسه . بضم النون . في جامعاتنا إنما هو مؤسس على مضامين وفلسفات وقيم بعيدة كل البعد عن قيمنا الثقافية والاجتماعية، كما أن معظم نتائجه هي في الواقع نتائج لأبحاث أجريت في مجتمعات غربية، مما حال دون إمكانية توظيف هذا الاختصاص بالشكل المطلوب وربطه بواقعنا اليومي المعاش.

وعليه فقد تناول الباحث في هذا المقال مفهوم التأصيل الإسلامي لعلم النفس من حيث النشأة و التطور والأهداف والدوافع، مبرزا مبرراته وإشكالاته وسبل تحقيقه ومقوماته.

Abstract:

If we extrapolated a comprehensive verses of the Quran, we might be able to obtain a psychological Koranic school that combines inside it all the contemporary psychological schools, according to this approach properly based on a deep understanding of human nature there by putting the psychological foundations for the treatment of diseases and mental disorders realistically faith, transcending all narrow physical interpretations that exclude the dogmatic spiritual side among individuals.

According to our conception mentioned above, this paper try to highlight the importance of rooting psychology in the Arab-Islamic environment due to the incompatibility of its current content with the cultural and social standards of these environments, so that, as what we teach and study- across including the nun- in our universities is based on the contents, philosophies, and values which are very distant from our cultural and social values, also mostly its results are the results of research conducted in western societies, which prevented the possibility of employing its jurisdiction as required and linked to the daily lived realities.

From this standpoint, the researcher in this article aimed to study the concept of the Islamic rooting of Psychology in terms of origination, development, objectives and motivations, highlighting its justifications, problematic, and ways to achieve its components.

1 . مقدمة:

التأصيل الإسلامي لعلم النفس يعني دراسة سلوك الفرد ورصد عملياته العقلية في ضوء المعايير والقيم الاجتماعية والثقافية للدين الإسلامي، لما لها من تأثير عليه في مختلف الجوانب النفسية والسلوكية والمعرفية والوجدانية، وهو ما يجعل من تجربته الدينية والعقائدية والروحية مادة خصبة تدخل في صميم البحث السيكولوجي، على اعتبار أن الالتزام الديني هو سلوك متجذر في الفرد، يعود إلى تجربة ذاتية تعبر عن فلسفة حياة تستدعي البحث والتقصي على المستويين الفكري والسلوكي، من أجل تفعيل علاج نفسي يأخذ بعين الاعتبار الجانب الروحي العقائدي للأفراد و يحقق لهم الصحة النفسية، وفي هذا السياق يمكننا حصر إشكالية بحثنا هذا في تساؤل أساسي مفاده كالتالي:

هل يمكننا كباحثين في علم النفس أن نرتكز على مرجعية الدين الإسلامي لتأصيل علم النفس في البيئة العربية والإسلامية ونؤسس لإطار نظري بديل يستمد أسسه من الوحي الإلهي والسنة النبوية الشريفة؟

2 . أهداف البحث:

1 . تجاوز التفسيرات المادية الضيقة و المساهمة في التأسيس لإطار نظري بديل مستمد من الوحي الإلهي والسنة النبوية الشريفة.

2 . تفعيل الجانب الروحي العقائدي لدى الأفراد وتمكينهم من الصحة النفسية.

3 . تفعيل العلاج بالواقعية الإيمانية.

4 . اعتماد نظام قيمي مستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في تشخيص وعلاج الأمراض والاضطرابات النفسية.

3 . دوافع البحث:

1 . شح الدراسات الأكاديمية في هذا السياق وإغفال ما للخبرة الدينية من دور في ضبط السلوك البشري.

2 . نقص في الأطر النظرية والاتجاهات التفسيرية الخاصة بسيكولوجية الدين والتدين.

4 . تحديد المفاهيم :

1 . علم النفس:

علم النفس بمفهومه الحديث يعني دراسة السلوك والعمليات العقلية (المعرفية) والانفعالية، للإنسان. **(صالح حسين الداهري، وهبي مجيد الكبيسي، دون سنة، ص 21 . 22)**

2 . التأصيل:

يقصد به إعادة التأسيس النظري بعد مراجعة ما هو موجود أصلا والتعامل معه بالزيادة والنقصان، مما ينجم عنه قيمة مضافة تسمح بتطوير التراث الإنساني الموجود في ضوء فهم أعمق للظاهرة المدروسة. **(سلطان بلغيث، 2012)**

3 . التأصيل الإسلامي لعلم النفس:

التأصيل الإسلامي لعلم النفس يعني إرساء قواعد لهذا العلم، تنسجم والمنظور الإسلامي للنفس البشرية والمجتمع والوجود، والاعتماد في ذلك على منهج تكاملي بين الوحي الصحيح و الواقع المشاهد باعتبارهما مصدرين للمعرفة، تفسر في ضوئهما الملاحظات الجزئية وتقوم عليهما التعميمات التجريبية. **(نزار العاني، 2008، ص 26 . 27)**

5 . مبررات التأصيل الإسلامي لعلم النفس:

كان لهيمنه الفكر المادي على مناهج البحث في علم النفس أثرا سلبيا على فهم السلوك البشري في بيئات أخرى تختلف في تركيبتها الاجتماعية والثقافية والقيمية عن البيئة الغربية، وهو ما اعتبره البعض مبررا كافيا لتأصيل علم النفس في هذه البيئات بالاستناد إلى النقاط التالية:

أ . علم النفس كغيره من العلوم الإنسانية والاجتماعية الأخرى يتأثر بشكل مباشر بالظروف التاريخية والاجتماعية والاختيارات الثقافية والقيمية للمجتمعات، وهذا ما يستوجب استحداث توجهات بديلة تتمخض عن رؤية مغايرة للكون و الإنسان.

ب . التركيز على دراسة بعض المشكلات الهامشية وإهمال المشكلات الجوهرية ذات الصلة بالجوانب العقائدية والروحية، مما نجم عنه قصور واضح في فهم النفس البشرية وتكريس النظرة المادية. **(سيف الدين عبد الفتاح، دون سنة، ص 13 . 14)**

ج . تكملة النقص وتصحيح المسار لفهم النفس البشرية وإرساء قواعد جديدة للممارسة السيكولوجية. **(إبراهيم عبد الرحمن رجب، 1996، ص 36 . 37)**

د . التحرر من الحواجز النفسية وتفعيل التفسير الديني للظواهر السلوكية.

هـ . ضبط العلاقة بين المعرفة المستمدة من الوحي الإلهي والمعرفة المستمدة من العقل البشري وتلك المستمدة منهما معا. **(عز الدين توفيق، 1988، مشروعية، ص 42 . 43)**

6 . إشكالية الذاتية والموضوعية في علم النفس:

ما يزيد من التعقيدات المنهجية لعلم النفس في وقتنا الراهن هو نسبية الظاهرة النفسية، فهي تستعصي عن المشاهدة العلمية المعمول بها في علوم الدقة، وهو ما يتطلب استحداث أساليب بديلة لدراستها مع الحفاظ قدر الإمكان على مفهوم المشاهدة العلمية. **(مصطفى سويف، 2000، ص 70 . 71)**

فعلم النفس ما يزال علما ناشئا يفتقر إلى إطار نظري موحد ونظرياته تستند إلى وجهات نظر أحادية ناجمة عن تأثيرات البيئة الاجتماعية والثقافية والسياسية التي وجدت فيها، الأمر الذي زاد من حجم الاختلاف بين الباحثين ودفع إلى تأزم وضع علم النفس. **(نزار العاني، 2008، ص 123)**

ويرى البعض بأن الأزمة الحقيقية لعلم النفس المعاصر تكمن في إطاره المادي وإهماله للجانب الروحي أو العقائدي، الذي يعتبر جزءا حتميا متمما لسلوك الفرد ونظرته لنفسه وإلى الحياة والآخرين من حوله. **(نفس المرجع السابق، ص 127)**

ويذهب البعض الآخر إلى أن تأزم الوضع يرجع في أساسه إلى الدعوى إلى التحرر من القيم و تجاهل ما للجانب الروحي . العقائدي من دور فاعل في تحديد سلوك الفرد. **(إبراهيم عبد الرحمن رجب، 1996، ص 64)**

كما أن هناك من يعتقد بأن الأزمة الحقيقية لعلم النفس تكمن في تبنيه لمناهج بحث مستعارة من علوم الدقة، وهو ما لا ينسجم مع طبيعته كعلم يهتم بدراسة السلوك، والنتيجة أن اقتصرت الدراسات النفسية على بعض الظواهر المادية دون سواها من الظواهر الأخرى الهامة المتعلقة بالجانب الروحي العقائدي بسبب تعذر إخضاعها للملاحظة والتجريب. **(مصطفى حلمي، 2005، ص 108)**

وهو ما حوصله " دومنيك لوكور " Dominique Leccourt عندما قال بأن فصل المعرفة عن المعتقد الديني يعد أمرا إعتباطيا على معتبرا أن المنهج المادي لا يصلح لبحث الظواهر النفسية. **(إبراهيم عبد الرحمن رجب، 1996، ص 67)**

ومما سبق يتضح جليا عجز المقاربات النفسية الغربية عن فهم الإنسان فهما صحيحا، بسبب إغفالها للجوانب الأساسية المؤثرة في السلوك البشري والمتعلقة بالعوامل الروحية والعقائدية، التي من دونها لا يمكن للفرد فهم سر وجوده في هذا الكون، وهو ما يفقده الإحساس بالمشاعر الوجدانية تجاه خالقه كالحاجة والرجاء والحب والخوف والأمل فتتعطل إرادته وسلوكه. **(نفس المرجع السابق، ص 7)**

وفي السياق ذاته ينتقد " ألين بيرغن " Bergin كل من الاتجاهين البراغماتي والإنساني، كونهما يستبعدان تأثير العوامل الروحية والمعتقدات الدينية على سلوك الفرد، ويدعو بالمقابل إلى تبني العلاج " بالواقعية الإيمانية " لفعاليته مع الأشخاص المتدينين، واضعا له مسلمات يقوم عليها أهمها وجود الله وصلته الوطيدة بالإنسان من خلال عمليات روحية غير منظورة. **(نفس المرجع السابق، ص ص 72 . 76)**

وفي ذات المنحى اعتبر " إدوارد كاندا " Edward Canda الدين مظهرا من مظاهر الثقافة والخبرة الإنسانية، مبينا تأثير ذلك على سلوك الفرد وتحقيقه لاشباعات روحية يستشف منها معنى الحياة، (2). وهو ما ينسجم مع تصنيف وترتيب " ماسلو" Maslow للحاجات، أين نجد القيم المتعلقة بالجوانب الروحية والعقائدية في أعلى الهرم إذ بدونها لن تكتمل الطبيعة البشرية. **(نفس المرجع، 1996، ص ص 119 . 121)**

ومن جهته يعيب " إريك فروم " Eric From على علماء النفس المعاصرين اهتمامهم بدراسة بعض المشكلات الهامشية يحاكون فيها منهج العلوم الطبيعية، والتقاعس عن إيجاد منهج أصيل خاص بهم يعنى بدراسة مشكلات العقل والقيم . **(نفس المرجع، ص 144)**

أما " عثمان نجاتي " فيرى أن تأصيل علم النفس في البيئة العربية والإسلامية يمكن تجسيده من خلال دراسة تراث السلف وما تضمنه القرآن الكريم من حقائق يقينية بشأن الإنسان والتوفيق بينه وبين ما هو موجود من بحث علمي دقيق و موثوق. **(مصطفى حلمي، 2005، ص 144)**

وأكد كل من " هار " و" مقهداد " Harre & Moghaddad على ضرورة تأصيل علم النفس بالنسبة للبيئات الأخرى أين تسود ثقافات مغايرة للثقافة الغربية، معتبرين أن ما يصدره الغرب من نظريات إلى بقية دول العالم مشكوك في صلاحيتها، محذرين في الوقت ذاته من التبعية الفكرية والروح الإنهزامية أمام فكر الغرب، ومعتبرين تدريس علم النفس الغربي في غير بيئته أمرا لا أخلاقيا، وفي ذات المنحى نادى " أيزنك " Eysenck، بضرورة تأصيل علم النفس الأمريكي الذي غزى أوربا بسبب ما اعتبره اختلافا جوهريا بين البيئتين. **(عبد الله بن ناصر الصبيح، 2009، ص ص 25 . 27)**

أمر بديهي إذن أن يتأثر الأشخاص بما يتعرضون له من خبرات مختلفة تصقل قيمهم واتجاهاتهم وتمنح لهم تصورا عن ذواتهم، الشيء الذي دفع بالمهتمين بشؤون الصحة النفسية وعلم النفس إلى بذل مزيدا من الاهتمام بالعوامل الحضارية والشخصية بغية تطوير أساليب علاجية تلائم البيئات التي وجدت فيها، في هذا السياق نلاحظ أن مسألة استعارة النظريات النفسية وتوظيفها في غير بيئتها قد أثارت في الآونة الأخيرة مواقف متباينة بين القبول والرفض، مما اضطر البعض إلى البحث عن موقف وسط على اعتبار أن الانفتاح على الانجازات العلمية في البلاد الأخرى هو أمر ضروري ومطلبا استراتيجي بشرط تفادي الانسياق الأعمى للصياغات النظرية المستعارة والعزوف عن التنظير في سياقاتنا الخاصة. **(سلطان بلغيث، 2012، موقع جامعة ورقلة . الجزائر)**

ولكي تقوم الحركة التأصيلية لعلم النفس في البلاد الإسلامية على أسس متينة يجب علينا أولا تحديد مفهوم التأصيل، يلي ذلك الاستيعاب الإيجابي والنقد الابستيمولوجي للمرجعيات النظرية التي توجه مسارات البحث العلمي في هذا المجال، مما يفسح الطريق أمام حركة تأصيلية جادة تؤسس لمفاهيم جديدة تحترم الخصوصية المحلية وتنسجم مع النظريات المتداولة وتكرس الحداثة المجتمعية. **(كمال عبد اللطيف، 2014، http:// www.aljabriabed.net)**

7 . سبل التأصيل الإسلامي لعلم النفس:

إن نجاح عملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس يستوجب توافر خطوات عملية متسلسلة على نحو مايلي:

أ . الشروع في تأصيل جزئي تمهيدا لتأصيل كلي وشامل.

ب . إقتراح إطار معرفي يكون بمثابة خلفية فكرية فيها تصور عن الكون والوجود والإنسان، مثل هذا التصور يمكن لعملية التأصيل أن تستند إليه، خلافا للإطار المعرفي لعلم النفس الغربي الذي يقوم على تصور آخر يتسم بالمادية والإلحاد في المعرفة والنسبية في القيم والعلمانية في الحياة الاجتماعية.

ج . استخلاص نظرية معرفية بديلة كاملة وشاملة. **(عبد الله بن ناصر الصبيح، 2009، ص ص69)**

هذه النقاط الثلاثة تنسجم مع رؤية " مالك بدري " النقدية لعلم النفس الغربي، عندما قبله جانبه التجريبي والفني ورفضه في خلفيته الفلسفية. **(نفس المرجع السابق، ص ص 64 . 66)**

8 . علم النفس وفق المنظور الإسلامي:

لقد اتسمت نظرة الإسلام إلى الإنسان بالواقعية فوضح الطبيعة البشرية وبين دوافعها الفطرية، معتبرا الغرائز الكامنة في النفس أمرا واقعا لا يمكن تجاهله، وفي الوقت ذاته بين سبل ترويضها والتصدي لها وتوجيهها ضمن حدود معقولة تنسجم مع الفطرة السليمة التي فطر الله عباده عليها، فقد أشار القرآن الكريم إلى أن الطبيعة البشرية مركبة من الخير والشر وفيها بواعث التقوى وعوامل الفجور، كما ورد مصطلح " الهوى " في عدة مواضع من القرآن الكريم للتعبير عن عاطفة مجتاحة تسيطر على بقية العواطف الأخرى تكون مصحوبة بحالات انفعالية وصور ذهنية تعبر عن ميول الفرد نحو إشباع شهواته، إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾ (النازعات، الآية: 40)، و في آية أخرى: ﴿**فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ (القصص: 50)؛ وكذلك قوله تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا*فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا*قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا*وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾ (الشمس: 7 . 10)؛ كما أشار القرآن الكريم في بعض نصوصه إلى الحدس مبينا الدور الذي يلعبه هذا الأخير في إدراك الحقيقة مباشرة، والتمييز بين الأشياء والأفعال، وهو ما جعل منه مدخلا للمعرفة الاستدلالية، إذ أن الحدوس الخالية من المفاهيم عمياء والمفاهيم الخالية من الحدوس جوفاء، وما نستخلصه هنا هو أن الإسلام كان قد سبق فلسفة " كانت " القائمة على النية الطيبة وكذلك المدرسة الحدسية لـ " برغسون " التي دحضت التفسير العلمي الآلي. ويتجلى ذلك من خلال قوله سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**﴾ (ق: 37) وفي قوله أيضا: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ (الرعد: 28).

هذا و تناول القرآن الكريم أيضا حقيقة الضمير الأخلاقي، فبين كيف أن أنه يتجلى من خلال الإرادة الحرة للإنسان الذي يختار بإرادته الحرة بين الخير والشر العدل والظلم...، فالضمير الأخلاقي شيء متجذر في النفس البشرية، يتجسد في واقع الفرد متى أتيحت له الفرصة، إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿**فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾ **(الكهف: 29)**، هذه الآية الكريمة بينت كيف أن الله سبحانه وتعالى جعل الإنسان حر في اختيار أفعاله وفي نفس الوقت جعل له ضمير يحاسبه على ما يقوم به من أفعال، مثل هذا السلوك يعبر عن حقيقة نفسية نستشفها من خلال قوله تعالى: ﴿**لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ**﴾ **(القيامة: 1 . 2)** فالنفس اللوامة هنا هي الضمير الأخلاقي.

كما تعرض القرآن الكريم إلى اللاشعور وأشار إليه من خلال شواهد كثيرة منها الأحلام فبين كيف أن معظم ما يراه الفرد في أحلامه من أحداث لا يخضع لإرادته الواعية وإنما هو تعبير غير مباشر عن رغبات دفينة لديه، كما بين الدور الحاسم الذي تلعبه دوافع الفرد و رغباته اللاشعورية في إدراكه للأشياء والأحداث بطريقة مشوهة أو مغلوطة تتجلى من خلال الانفعالات وفلتات اللسان و الحيل اللاشعورية كالتبرير، إذ يقول عز وجل في هذا الصدد: ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۗ**﴾ (البقرة: 275)، لقد لجأ هؤلاء إلى استخدام

آلية دفاعية لاشعورية هي " التبرير " بالاعتماد على قياس فاسد، ينم عن نزعة مادية مفرطة مجردة من كل القيم الأخلاقية. بالإضافة إلى هذه الآية هناك آيات قرآنية أخرى دلت على الجانب اللاشعوري للنفس البشرية، وبينت بأن الظاهرة اللاشعورية أمر واقع لا يمكن إنكاره أو تجاهله، من هذه الآيات قوله تعالى: ﴿**يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾ (البقرة : 9) وقوله: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ، أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ**﴾ (البقرة : 11 . 12) وكذلك قوله: ﴿**وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾ (آل عمران: 69).

هذا وقد لقي مصطلح اللاشعور قبولا عند العلماء المسلمون من أمثال "الفرابي" و"ابن سينا"، فبينوا قبل غيرهم من علماء الغرب كيف أن الجانب الشعوري من حياة الإنسان النفسية هو في الحقيقة جانب جزئي وسطحي، بينما الجزء الأكبر يختفي ويخزن في اللاشعور، وهو يؤثر في سلوك الفرد بطريقة لاشعورية تتجلى في الأحلام وفلتات اللسان، وعليه فإننا لن نكون مغالين إذا قلنا أن اللاشعور ليس غريبا عن الفكر الإسلامي، بل كان سباقا للحديث عنه. **(قريشي فيصل، 2011ص ص 69 . 73)**

9 . الصحة النفسية وفق منظور إسلامي:

لكي ينعم الفرد بالصحة النفسية يتعين عليه وضع طاقته النفسية في مسارها الصحيح، فطاقة الحب يجب أن تتجه إلى حب الله تبارك وتعالى، لأنه هو من أنعم عليه بنعمة الإسلام والإيمان والصحة والولد والمال، ويجب أن يحكم شرعه في حب الأموال والتجارة والعشيرة والزوجة. وطاقة التعظيم والخضوع يجب أن تتجه نحو تعظيم كلام الله وأوامره ونواهيه وحلاله وحرامه وأنبياءه، وأن يطبق دينه جملة وتفصيلا، وأما طاقة الخوف والرجاء فيجب أن تتجه نحو مخافة مقام الله وناره، وأن يرجو عطاءه غير المحدود وكرمه الذي لا ينتهي .

فالقرآن الكريم أكبر من أن يختزل إلى كتاب طب أو صيدلة كما يقال، لأنه كتاب حياة للأنفس بدونه لا تجد للحياة طعما ولا طمأنينة، والإسلام قد جاء للدين والدنيا معا، وجاء لبناء مجتمع مثالي على الأرض حيث يكون هذا المجتمع متكاملا في جميع النواحي الأخلاقية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والصحية، لذلك حرص الإسلام على تقديم أوامره وتعاليمه الطبية الوقائية التي تؤدي إلى ما يعرف بالمجتمع الصحي، وقد تناولت تعاليم الإسلام الصحية جميع أبواب الطب الوقائي. **(نفس المرجع السابق ص ص 69 . 73)** ؛ كما رسخ القرآن الكريم القواعد والأسس الكفيلة للوقاية من الأمراض الجسمية والنفسية فأشار إلى الحمية، ومنع إدخال الطعام على الطعام، وأمر بتقليم الأظافر ونتف الإبط وحلق العانة، واستعمال السواك وقرر طهارة سؤر المؤمن ونجاسة الكلب وعدم التداوي بالنجسات أو الأدوية الخبيثة، وبين قواعد شرب الماء وآدابه، وورد استعمال السنة في هديه صلى الله عليه وسلم لعلاج الإمساك، وأوصى بقواعد وآداب الجماع وأشار إلى فوائد الرضاعة من لبن الأم وأبرز أهميته، وتحدث عن الأعراض النفسية من غضب وفرح وحياء وهم وحزن وعجز وكسل وخجل وحقد وألفة وصبر، مع التيسير على الناس والتخفيف عنهم والرفق بهم، ولم ينس تبيان القواعد الاجتماعية المثلى فحارب العزلة المؤدية للانطوائية والوحدة، والاضطرابات النفسية المعطلة للفكر، فبين إثم القاطع وفضل صلة الرحم وحق الجوار وطيب الكلام، وحث على المعروف ودعا إلى

مكارم الأخلاق لما فيها من متانة في الترابط وولاء ومساندة اجتماعية وتوطيد روابط المحبة مع الشعور بالانتماء وبعد عن الآفات مثل الأنانية والتعدي على الحقوق وقتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، فجمع بذلك بين علاج الجسد والروح والعقل والنفس. **(قريشي فيصل، 2011 ص ص 62 . 63)**

10 . مقومات الصحة النفسية من منظور إسلامي:

للصحة النفسية مقومات عدة حددها الدين الإسلامي وشدد عليها لتمكين الفرد من تحقيق عافيته وتوازنه النفسي، من أهم هذه المقومات نجد الصلاة لفوائدها الروحية العظيمة، كونها تمد الفرد بقوة نفسية تعينه على مواجهة ما يتعرض له من ضغوط نفسية، مصداقا لقوله تعالى: ﴿**وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ**﴾ (البقرة: 45)، كما أنها تطهر الباطن من الفحشاء والمنكر مصداقا لقوله تعالى: ﴿**اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ**﴾ (العنكبوت: 45) فالفرد بحاجة لهذه الصلاة حتى يفضي فيها إلى ربه بذات نفسه، فيشكو بثه وحزنه ويستفتح باب رحمته، فيشعر بالسكينة والرضا، ويدرك نعمة الله وعظمته وعدله، وهو ما ينعكس إيجابا على صحة جسمه، لأن الانفعالات النفسية مرتبطة ارتباطا وثيقا بإفراز الهرمونات المؤثرة على حسن سير أعضاء الجسم وأجهزته.

كذلك شرع الله تعالى على عباده الصوم مصداقا لقوله: ﴿**أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ (البقرة: 183) لما له من فوائد صحية تعود على البدن والنفس معا، يقول صلى الله عليه وسلم: **" صوموا تصحوا "**، ولعل ما يهمنا في هذا المقام هو تلك الفوائد النفسية العظيمة للصوم والتي نبرزها فيما يلي:

. تربية النفس وتزكيتها والتسامي بها إلى أفضل المراتب.

. دفع مشاعر الندم.

. معالجة الانحرافات السلوكية والعادات الضارة.

. مضاعفة أواصر الألفة والمحبة والتناصر بين أفراد العائلة والمجتمع.

. تعليم الفرد الصبر على احتياجات الجسد والنفس وتأجيلها، مما يسهم في خفض حدة التوتر ويحقق الاطمئنان النفسي.

كما أمر الله سبحانه وتعالى عباده بإخراج الزكاة كونها تكرس التكافل الاجتماعي وتنمي الروابط الاجتماعية وتمنع تفشي الأمراض النفسية والاجتماعية، كالأنانية والبخل والبغض والضغينة بين أفراد المجتمع الواحد مما يسهم في ازدهاره وتطوره، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أوصى بالصدقة فأمر بمداواة المرضى بها، وهو ما نلمسه من قوله صلى الله عليه وسلم: **" داووا مرضاكم بالصدقة"** (الطبراني، 1999، ر. 1963) لما للصدقة من أثر نفسي على فاعلها، فيشعر بالرضى والسعادة، ولذا نرى الله تبارك وتعالى يقول في محكم تنزيله: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى .فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى**﴾ (الليل: 5، 6، 7)

بالإضافة إلى ذلك شرع الله الحج وهو عبادة عظيمة جاءت لقهر النفس وكبح جماح الشهوات والتقشف، وبالمقابل فهي تحقق للفرد أهداف نفسية كثيرة منها الشعور بالانتماء إلى الجماعة والاطمئنان والثقة بالنفس وتجديد الأمل والتخلي عن كل ما من شأنه تعكير صفوة الحياة والانطلاق بنفس جديد.

كما أمر الله عباده بتلاوة القرآن والتدبر فيه إذ يقول سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً**﴾ ويقول أيضا: ﴿**أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾؛ إن تلاوة القرآن والتدبر فيه يمنحان الفرد ولا شك السكينة والاطمئنان، فتهدأ نفسه ويرتاح جسده فيسلم أمره لله الذي هو أكبر من كل شيئ يروعه.

وأوصى الإسلام بحسن المعاملات إذ قال صلى الله عليه وسلم: **" لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع أحدكم على بيع أخيه، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ههنا، وأشار بيده إلى صدره ثلاث مرات، حسب امرئ مسلم من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه"**. كل ذلك من شأنه أن يقوي التكافل الاجتماعي وينمي وحدة الأمة وجدانيا ويعمل على استقرار أفرادها وأمنهم وبلوغهم الطمأنينة النفسية. كما شدد على الحدود مصداقا لقوله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله : ﴿**تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ**﴾ (البقرة 229)؛ لقد بين الله حدوده للعباد وربطها بإرادته عندما فرض عقوبات علنية مشددة على مرتكبي الجرائم في المجتمع، تختلف في فلسفتها عن تلك العقوبات التي عرفها المجتمع الإنساني عبر مختلف مراحل تطوره، على غرار الانتقام للضحية أو إصلاح حال المجرم، فالدين الإسلامي لم يأخذ بأي من هذين الاتجاهين، وكانت فلسفته من وراء تشديد العقوبة وعلنيتها تهدف إلى إصلاح المجتمع برمته وتقديم مصلحته على مصلحة الفرد لتسمو النفوس وتزدهر الحياة. **(قريشي فيصل، 2011 ص ص 69 . 73)**

11 . الدين الإسلامي ومظاهر الصحة النفسية:

الدين الإسلامي جاء ليحقق أركان الصحة النفسية للفرد، من خلال تنمية جملة من الصفات نستعرضها فيما يلي:

أ . الثبات والتوازن الانفعالي:

إن التدين يزيد في درجة ثبات الفرد، فتتزن نفسيته ويتكيف مع مختلف مواقف الحياة اليومية فيشعر بحلاوة الحياة، وفي هذا الصدد يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ**﴾ (إبراهيم: 27).

ب . الصبر:

وهو صفة من صفات أصحاب النفوس الفاضلة، يساعد الفرد على تخطي الصعاب والمحن والخروج منها منتصرا. قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾ (البقرة: 118) . وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : **" عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله**

خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خير له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خير له " (مسلم، 1972، ر، 2999).

ج . الرضا والتسليم لأمر الله:

الرضا والتسليم لأمر الله يمنحان الفرد الطمأنينة و سكون القلب، قال تعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ (البقرة: 216) وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : " **المؤمن بخير على كل حال، تنزع نفسه من بين جنبيه، وهو يحمد الله** " (النسائي، 1991، ر، 1842).

د . التفاؤل وعدم القنوط:

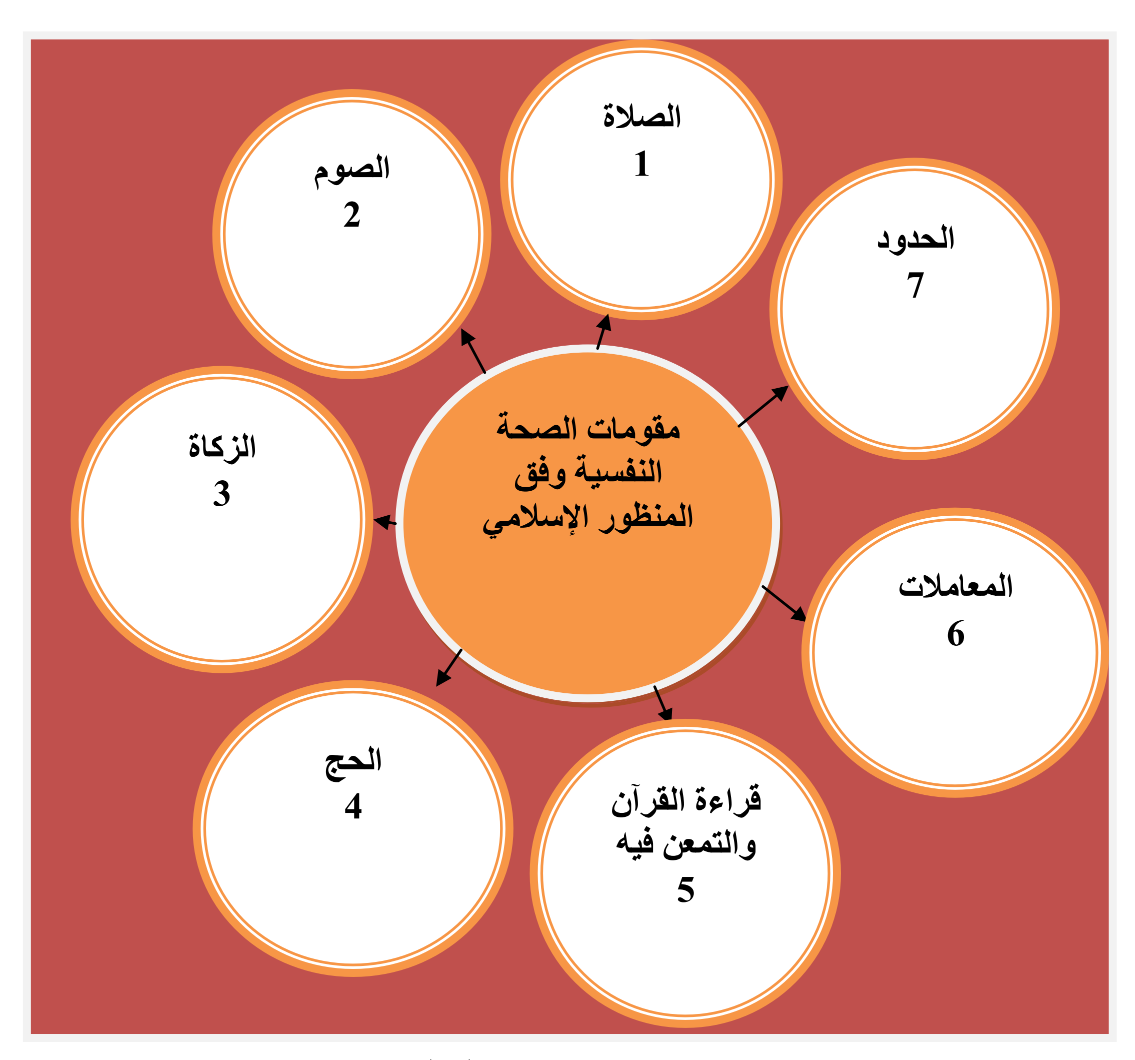
التفاؤل يبعث في النفس النشاط ويدفع عنها الكسل والخمول والاستسلام ويدفعها إلى الاجتهاد في تحصيل العلم والرزق، قال تعالى على لسان نبيه يعقوب: ﴿**يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾ (يوسف : 87)

هـ . توافق الفرد مع نفسه ومع الآخرين:

الإنسان اجتماعي بطبعه يعيش وسط مجتمع تحكمه قيم ومعايير وعادات وتقاليد يجب عليه التفاعل والتكيف معها وقد أشار القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة إلى الأساليب المساهمة في إحداث ذلك، قال تعالى: ﴿**وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ *وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾ (فصلت: 34 . 35) وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " **المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على آذاهم، أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على آذاهم** " . (الترمذي، 2002، ر. 2515)، (ابن ماجة، 1954، ر. 4032)، (أحمد، 1983، م. 2، ص. 43). وسنده صحيح.

و . الاستقامة على دين الله تعالى:

الاستقامة على دين الله تعني الصدق، والوفاء بالعهد، وتتعلق بالأقوال والأفعال والأحوال والنيات. (ابن القيم، 1973، م. 2، ص. 105). قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ (الأحقاف: 13) وعن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك ... قال: " **قل آمنت بالله ثم استقم** ". **(قريشي فيصل، 2011 ص ص 59 . 61)**



شكل رقم: (01)

مقومات الصحة النفسية وفق منظور إسلامي

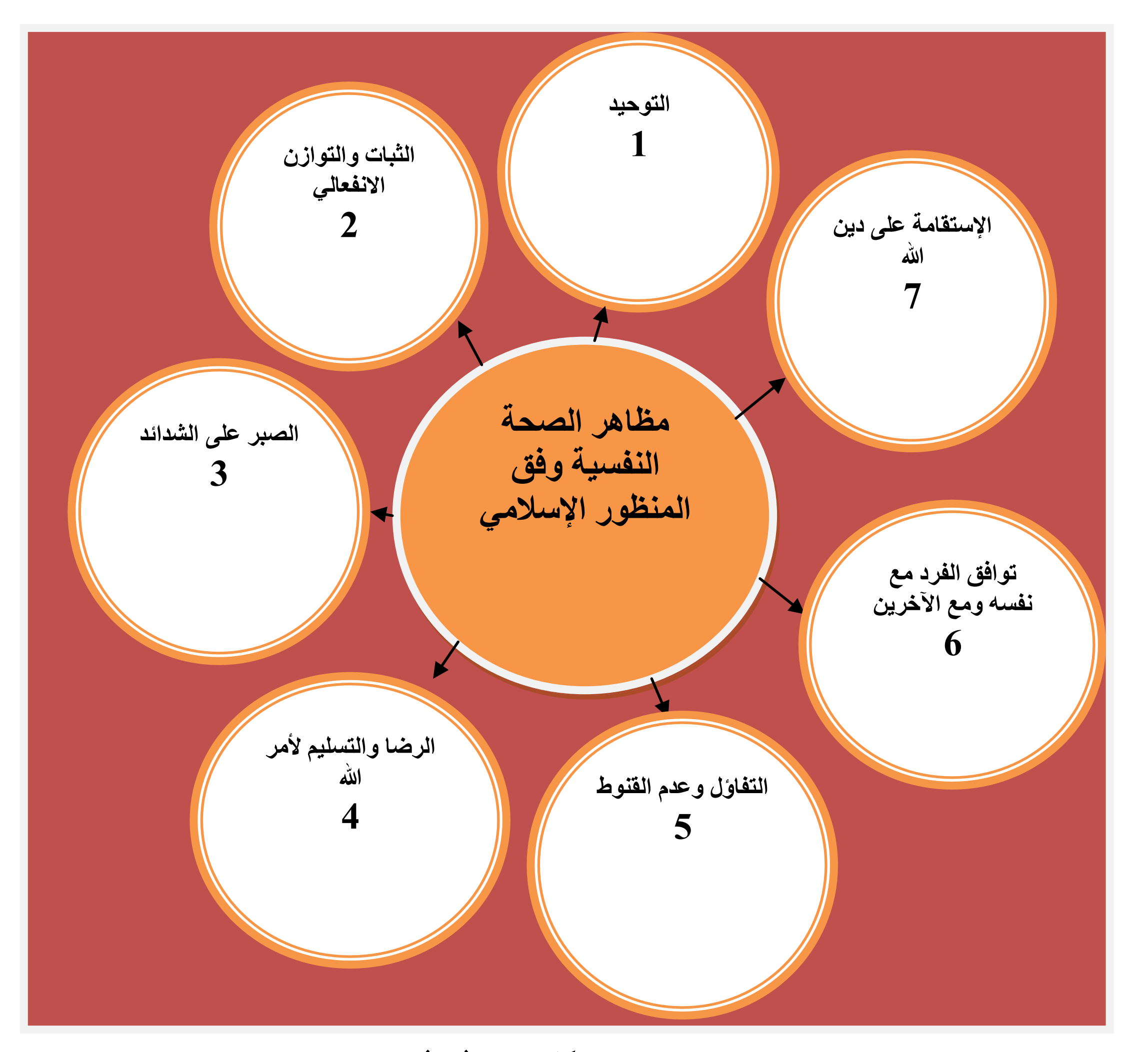
المصدر: من إعداد الباحث

12 . علاج الأمراض النفسية بالقرآن والسنة النبوية الشريفة:

هناك من الأطباء من توصل إلى علاج كثير من الأمراض النفسية والعصبية بطب ديني (إسلامي) قائم على أسس علمية سليمة مستنبطة من كتاب الله فالقلق مثلا يكون بسبب وقوع الإنسان بين رغبة النفس وخوف العقل ومع تقدم الإنسان ورفاهيته زاد قلقه واضطرابه النفسي وضعف إيمانه ولا سبيل لشفائه وسعادته إلا بالإيمان بالله واللجوء إليه، فقد اتجه الأطباء لعلاج القلق وبعض التوترات العصبية الأخرى بالأدوية المهدئة وهي ذات مفعول مؤقت كما أن الاستمرار في تناولها يخلف آثارا جانبية غير مرغوب فيها، بينما يتناول العلاج الديني مثل هذه الاضطرابات بالاسترخاء النفسي، إذ يمارس المسلمون هذا العلاج بالصلاة خمسة مرات في اليوم، كما أن للوضوء تأثير علاجي للأمراض النفسية فهو يزيل الغضب حسب ما جاء في قول الرسول . صلى الله عليه وسلم : " **إذا غضب أحدكم فليتوضأ** " وهذا ما أيدته الدراسات الحديثة عندما أقرت بأن الاغتسال برذاذ الماء مع سقوط الضوء يعمل على توليد ايونات سالبة الشحنة من جزئيات

الماء مما يسبب استرخاء للجسد. وكذلك الحال بالنسبة للصلاة التي لها خمسة فوائد هي: " الاندماج في المجتمع، تنمية عاطفة حب الغير، إزالة الكراهية، تربية الروح على الانتماء، والشفاء من كل الأسقام النفسية "، فالفرد المداوم على الصلاة تظهر عليه علامات الرضا والإرتياح النفسي، إلى جانب الصلاة نجد الصوم وهو تهذيب للنفس إذ أنه يمنع عن الشهوات ويربط العبد بربه، فلا ينزلق ولا تمرض نفسه ولا يتجه للمعاصي، كما أن الحج شفاء للنفوس فيتعلم الإنسان أنه فرد مكلف في مجتمع كبير ويتعلم التواضع وتحمل المشاق، كما أن في الزكاة شفاء نفسي يخلص الفرد من الأنانية والشح وشرور حب الذات.

(محمد زهران وآخرون،2009 ص ص 78 . 79)



شكل رقم: (02)

مظاهر الصحة النفسية وفق منظور إسلامي

المصدر: من إعداد الباحث

خاتمة:

في ختام هذا البحث لا يسعني إلا أن أقول لو قمنا باستقراء شامل لآيات القرآن الكريم لخرجنا بمدرسة نفسية قرآنية تجمع في طياتها كل المدارس النفسية المعاصرة، حيث أشار القرآن الكريم إلى المناهج الصحيحة موضحا طبيعة الإنسان، ووضع أقوم الأسس النفسية لعلاج طبيعة البشر، وتحدى كل هذه المدارس لأن الله سبحانه وتعالى بين أن هذا القرآن العظيم يهدي إلى الطريق القويم وهو القائل: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (الإسراء : 9)

ومع ذلك فالتأصيل الإسلامي لعلم النفس ليس بالسهولة التي يتصورها البعض، فهو يحتاج إلى بحث تحليلي عميق نظرا لحساسية الموضوع ولأهميته في الحياة المعاصرة، إذ أننا كمسلمين في أشد الحاجة لفهم السلوك البشري في شكليه السوي والمرضي وفق سنن الله الجارية في خلقه، وباعتباري من دارسي العلوم النفسية كنت قد لاحظت رفقة بعض الزملاء ممن يتقاسمون معي هذا الاهتمام أن أسس التأصيل الإسلامي لعلم النفس والصحة النفسية واضحة المعالم في كتاب الله الكريم، وما على الباحث إلا تجميعها وترتيبها وتحليلها وتبيان أثر تطبيقها على الحياة النفسية للأفراد في بيئتنا الإسلامية. وفي حدود اطلاعي المتواضع على هذا المجال يمكنني القول بأن أبحاثه جديدة وشيقة تجمع بين الأصالة والمعاصرة وتدحض المغرضين وتفند آرائهم القائلة بجمود الدين وقصوره وعدم وفائه بمتطلبات العصر. إن مادة التأصيل الإسلامي لعلم النفس والصحة النفسية في القرآن الكريم غزيرة جدا حيث أشار الله سبحانه وتعالى إلى خبايا النفس البشرية وبين جوانب الخير والشر فيها. **(علي محمد الصلابي، ص ص 5 . 7)**

فالمنهج الإسلامي في علاج الأمراض و الاضطرابات النفسية يتسع لأساليب كثيرة ومتنوعة تشمل العلاج بالصلاة والعلاج بقراءة القرآن والعلاج بالدعاء وغيرها من الأساليب الأخرى، كما كان للعلاج النفسي الديني فضل السبق في احتوائه على بعض الأساليب العلاجية التي تناولها علم النفس الحديث بشكل متأخر نسبيا، ومن ذلك اهتمامه بتعزيز أفكار صحيحة ومعتدلة مستوحاة تعاليم الدين الحنيف، إلى جانب اهتمامه بسن ممارسات وسلوكيات ايجابية يحافظ عليها الفرد المسلم متمثلة في العبادات من فرائض ونوافل وواجبات ومستحبات، هذه السلوكيات من شأنها أن تعزز فيه قيم إيجابية تعود عليه وعلى المجتمع برمته بالنفع، كما زود الإنسان بمفاهيم أساسية حول الكون وأصل الخلق وكيفية التعامل مع الذات ومع الغير ومع الخالق مما يعزز معنى الحياة والوجود لديه. هذا ويشترك العلاج النفسي الديني (الإسلامي) مع بعض العلاجات النفسية الحديثة خاصة منها العلاج السلوكي المعرفي في بعض الجوانب التي تتعلق بوجهة نظره وتفسيره للأمراض والاضطرابات النفسية وكيفية علاجها مع وجود فروق بينهما تتعلق بالخلفية الفلسفية لكل منهما، فضلا عن إغفال العلاجات النفسية بصورة عامة الجوانب الروحية أثناء عمليتي التشخيص والعلاج.

(بوعود أسماء،، 2015، ص ص 294)

كما أن العلاج النفسي الديني (الإسلامي) ما هو في الحقيقة إلا علاج معرفي سلوكي، يتجسد الجانب المعرفي فيه في تناوله للعمليات العقلية (المعرفية) وآليات التفكير الشامل، أما الجانب السلوكي فيتمثل في استخدامه لمبادئ وقوانين التعلم وتعديل السلوك لمساعدة الأفراد على التغلب على اضطراباتهم النفسية، بالإضافة إلى ما يحتويه أيضا من أساليب الترغيب والترهيب، وهو ما يتفق مع ما خلصت إليه دراسة " محمد

درويش " (1995) عندما اعتبرت العلاج النفسي الديني (الإسلامي) علاجا يشتمل على خصائص العلاجات النفسية الحديثة. **(نفس المرجع السابق، ص 399)**

قائمة المصادر و المراجع:

القرآن الكريم.

1 . إبراهيم عبد الرحمن رجب، (1996): التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، (د. ط)، دار عالم الكتب، الرياض.

2 . بوعود أسماء، (2015): فعالية برنامج علاجي إثنونفسي من المنظور الإسلامي للتكفل ببعض الأمراض العصابية (القلق، الاكتئاب العصابي)، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة محمد لمين دباغين . سطيف 2، الجزائر.

3 . سلطان بلغيث، (2012): أشغال الملتقى الوطني الأول حول إشكالية العلوم الاجتماعية في الجزائر، يومي 07 و 08 مارس 2012، موقع جامعة ورقلة . الجزائر.

4 . سيف الدين عبد الفتاح، (بدون سنة): المنهجية وأدواتها من منظور إسلامي، (د. ط)، القاهرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مركز الدراسات المعرفية.

5 . صالح حسين الداهري، وهبي مجيد الكبيسي، (بدون سنة): علم النفس العام، ط 1، مؤسسة حمادة، دار الكندي، إربد . الأردن.

6 . عبد الله بن ناصر الصبيح، (2009): تمهيد في التأصيل : رؤية في التأصيل الإسلامي لعلم النفس ط 02، دار كنوز إشبيليا، الرياض.

7 . عز الدين توفيق، (1988): مشروعية التأصيل لعلم النفس، مجلة الفرقان، إسلامية ثقافية ع15، السنة الرابعة، دار قرطبة، الدار البيضاء . المغرب.

8 . علي محمد الصلابي، فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، (2006): مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة.

9 . قريشي فيصل، التدين وعلاقته بالكفاءة الذاتيةلدى مرضى الاضطرابات الوعائية القلبية، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة حاج لخضر باتنة . الجزائر، .2011

10 . كمال عبد اللطيف، (بدون سنة): الشروط المعرفية والتاريخية، مجلة فكر ونقد، مجلة ثقافية فكرية، ع 18، 06 / 08/ 2014، http:// www.aljabriabed.net .

11 . محمد زهران وآخرون، (2009): موسوعة علم النفس الشاملة . علم النفس ونشئته . الجزء الأول، ناشرون الأصدقاء، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان.

12 . مصطفى حلمي، (2005): مناهج البحث في العلوم الإنسانية بين علماء الإسلام وفلاسفة الغرب، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

13 . مصطفى سويف، (2000): علم النفس فلسفته وحاضره، ومستقبله ككيان اجتماعي، (د. ط)، (د. م)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.

14 . نزار العاني، (2008): الإسلام وعلم النفس: مسرد لبحوث ودراسات التأصيل الإسلامي لعلم النفس، ط 1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، بيروت، لبنان.

دوافع سلوك العنف لدى طلبة الجامعة الجزائرية

(دراسة ميدانية على عينة من طلبة قسم العلوم الاجتماعية بجامعة أم البواقي)

د . سامية ابريعم
قسم العلوم الاجتماعية
جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي - الجزائر

الملخص:

هدفت الدراسة إلى معرفة دوافع سلوك العنف لدى طلبة الجامعة الجزائرية في الحياة الجامعية، ولتحقيق ذلك قامت الباحثة بتطبيق مقياس الدوافع المسببة لسلوك العنف لدى الشباب الجامعي من إعداد كل من "تهاني محمد عثمان منيب وعزة محمد سليمان"، على عينة تتكون من (178) طالبا وطالبة في السنة الثانية (ل،م،د) بقسم العلوم الاجتماعية بجامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي .

وقد أشارت النتائج إلى أن أهم الدوافع المتعلقة بسلوك العنف لدى طلبة الجامعة الجزائرية هي على الترتيب: الدوافع الإعلامية، ثم الدوافع النفسية يليها الدوافع المتعلقة بالجوانب الأسرية والدوافع التربوية والثقافية.

Abstract :

The study aimed to find out the motives of violent behavior among Algerian university students in university life. To achieve this, the researcher applying causing violent behavior among young university motives scale of the preparation of each of the Congratulations "Mohamed Osman penitent and Azza Mohammed Suleiman" , on a sample of (178) students and sophomore (l, m, d), Department of Social Sciences at the University of the Arab Benmehidi - or residuals.

The results showed that the most important motivation for the behavior of violence among the Algerian university students are respectively: media drives, and then followed by the psychological motivations motives related to aspects of family educational, cultural and motives.

مقدمة:

أصبح العنف من الظواهر الاجتماعية الخطيرة التي باتت واضحة على مرأى ومسمع الجميع مثل أي ظاهرة اجتماعية منتشرة والتي تعتبر من السلوكيات الخطيرة التي تحدث آثارًا اجتماعية سيئة ولا يمكن قبولها في أي مجتمع بشري وخاصة المجتمعات التي تمتاز بحضارة إنسانية راسخة اتسمت بالهدوء والاستقرار والقيم الروحية والإسلامية.

ومع أن العنف ليس ظاهرة حديثة بل هو موجود منذ بداية النشاط البشري على سطح هذه المعمورة إلا أن أشكاله تعددت وكثرت مظاهرة في الآونة الأخيرة بشكل واضح في جميع المجتمعات مما دفع الكثير من المفكرين في

أوائل القرن التاسع عشر إلى الاهتمام بدراسة العنف ومظاهرة وأنماطه وباتت هناك الكثير من المعادلات الجادة لإنشاء علم خاص بدراسة العنف.

وعلى العموم أصبح العنف ظاهرة عالمية تكاد تعيشها مختلف المجتمعات المعاصرة نامية ومتقدمة شرقية وغربية، وعلى اختلاف أنظمتها السياسية وأيدولوجيتها وتوجهاتها الثقافية، فإن العنف في منشئه وأفعاله وردود أفعاله ونتائجه، ينتقل عبر المجتمعات والثقافات والجماعات بشكل متسارع حتى أصبح جزءاً لا يتجزأ من ثقافة العالم المعاصر[1] .

ولم يأت هذا الاهتمام من فراغ فهناك الكثير من العوامل التي دفعت إلى تفشي هذه الظاهرة، فعلى سبيل المثال، أدت الفجوة القائمة بين فئات المجتمع المختلفة لظهور المزيد من أشكال العنف داخل المجتمعات النامية، أما المجتمعات المتقدمة فقد خرجت من الأطر التقليدية لوظائفها الأساسية التي تمارس فيها، وللعنف أشكاله الكثيرة والمتنوعة منها العنف المدرسي، والعنف ضد الأطفال، والعنف ضد المرأة، والعنف السياسي، بأشكاله المختلفة وهو الأكثر ظهورًا في عالمنا المعاصر.

وعلى العموم قد تزايدت سلوكيات العنف في الحياة الاجتماعية والسياسية بين شباب العالم بأسره حتى أصبحت من المعالم المميزة لهذا القرن، حيث نعيش اليوم في عالم عنيف كثرت فيه الجرائم كالقتل، والسرقة، والتمرد، والاعتداء، والتحطيم، وإتلاف الممتلكات العامة والخاصة، والإضرابات ...إلخ .

وقد يستخدم الشباب العنف ليس للتدمير والتخريب فحسب بل أيضاً بدعوى الدفاع عن ضعيف أو مظلوم أو حق من الحقوق، وقد يستخدمه بعضهم للوصول إلى هدف من الأهداف إذا وجد حائلا بينه وبين تحقيق هذا الهدف، كما يستخدم الشباب العنف عند شعورهم باليأس والإحباط والاغتراب، وذلك عندما يشعر بالضياع نتيجة الصراع النفسي والضغوط[2].

وهذا ما يؤكده أصحاب النظرية النفسية الذين اعتمدوا فى تفسيرهم لأبعاد العنف، على ما توصلت إليه النظرية الفرويدية التي ارتكزت فى تحليلها إلى التكوين البيولوجي والفسيولوجي في مراحلها الأولى حيث ارجعت سلوك العنف إلى نقائص في التكوين العضوي، واختلال الحالة المزاجية نتاج بعض التغيرات الوظيفية لبعض أعضاء الجسم، فيحدث تأثير متباين على الحالة العقلية والنفسية، الأمر الذى يؤدى لحالة عدم الاتزان الانفعالي والصراع النفسي، والتي تجعل الإنسان أقرب إلى اقتراف العنف.

وتمثل تلك التفسيرات النظرية للمراحل الأولى لنشأة الاتجاه النفسي وجاءت المرحلة الثانية في تفسيراته لتتناول **نظرية الإحباط والغضب** وقدم خلالها "**جون دولارد**" النموذج الشخصي والمجتمعي للعنف الذي يعتمد في اقترافه شعور الفرد بإعاقة تحول دون تحقيقه لأهدافه وتوقعاته الأمر الذي يشعره بحالة إحباط تؤدى للغضب وارتكاب العنف، ويؤخذ على تلك الاتجاهات إرجاع تحليلاتها في تفسير العنف إلى النقائص البيولوجية والاستعداد الفطري لدى الإنسان دون الأخذ بالعوامل المجتمعية المصيغة لمفردات الحياة اليومية[3].

وهذا ما دفعنا لإجراء الدراسة الحالية للوقوف على أهم الدوافع والأسباب المؤدية إلى ظاهرة العنف لدى طلبة الجامعة الجزائرية، حيث لوحظ في الآونة الأخيرة تزايد نسب حالات العنف بين الطلبة داخل أسوار الجامعات لأسباب مختلفة، الأمر الذي يستحق الدراسة.

مشكلة الدراسة :

تعد المرحلة الجامعية مرحلة حاسمة للطلاب من حيث التطلع نحو مستقبل حياتهم المهنية والأسرية وفيها تتحدد الأهداف والسعي نحو تحقيقها في عالم متغير متقلب اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا، مما ينعكس على الحالة النفسية لطلاب الجامعة، فقد يلجأ ون إلى بعض الاستجابات العنيفة مما ينعكس بالسلب على المجتمع، خاصة وأن طلاب الجامعة هم عدة المستقبل لأي مجتمع من المجتمعات، فهم الرصيد الأساسي لكل أمة وعمادها المتين من القوى البشرية .

فإذا فشل المجتمع في استيعاب قوة شبابه وإمكاناته الكبيرة، يصبح مهدداً بالعديد باضطرابات التي تهدد أمنه واستقراره وتعوقه عن التنمية، فضلاً عن احتمالية إصابة المجتمع بالفوضى وتبديد طاقاته، وبالتالي فشله في التصدي للعديد من المشكلات والمظاهر السلوكية المرضية التي قد تتفشى في بنائه الاجتماعي على وجه العموم ولدى الشباب على وجه الخصوص[4].

والعنف سواء كان فرديا أو جماعيا ليس أسلوبا حضارياً، حيث تتخذ مواقفه الصفة الإجرامية التي تنعكس بشكل سلبي على المجتمع، ونظراً لما يتسم به العنف من استخدام القوة المادية نحو الأفراد والممتلكات فإنه يعتبر سلوكاً هداماً للمجتمع باعتباره ضد معايير السلوك المتعارف عليها، وضد مصالح الأفراد الآمنين في المجتمع[5] .

وقد يستخدم طلاب الجامعات العنف ليس للتدمير والتخريب فحسب بل أيضا بدعوى الدفاع عن ضعيف أو مظلوم أو حق من الحقوق، وقد يستخدمه بعضهم للوصول إلى هدف من الأهداف إذا وجد حائلاً بينه وبن تحقيق هذا الهدف، كما قد يستخدم طلبة الجامعة العنف عند شعورهم باليأس والإحباط والاغتراب وقلق المستقبل، خاصة عندما يشعرون بالضياع نتيجة لصراع الأجيال والضغوط الاجتماعية والاقتصادية، كذلك ما ننتج عن العولمة من صراع قيمي[6] .

لذلك تهتم الدراسة الحالية بالبحث عن أهم الدوافع التي تكمن وراء ظاهرة العنف لدى طلاب الجامعة الجزائرية، خاصة في ظل الأوضاع والتغيرات الاجتماعية والسياسية القائمة وارتباطها المباشر بالوضع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للمجتمع الجزائري.

وتتبلور مشكلة الدراسة الحالية في الإجابة عن التساؤل الرئيسي:

- ماهي الدوافع التي تكمن وراء سلوك العنف لدى طلبة الجامعة الجزائرية ؟ .

فرضية الدراسة :

- توجد دوافع عديدة تكمن وراء ظهور سلوك العنف لدى طلبة الجامعة الجزائرية.

أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة الحالية إلى التعرف على الدوافع التي تكمن وراء ظهور سلوك العنف في الوسط الجامعي في الجزائر.

أهمية الدراسة :

1 - تلقي الضوء علي مشكلة العنف في الجامعات الجزائرية .

2 – تحاول هذه الدراسة أن تكشف عن الدوافع المسببة لتفشي ظاهرة العنف في الجامعات الجزائرية حتى نتمكن من الحد من تلك السلوكيات السلبية التي تؤثر على سير العملية التعليمية .

3 – تبلغ أهمية الدراسة في أنها تتناول ظاهرة العنف في الوسط الجامعي الذي لم يأخذ نصيبا كافيا من الدراسة في مجتمعنا الجزائري بالرغم من تزايد السلوكيات العنيفة داخل أسوار الجامعة، وهذا في حدود إطلاع الباحثة .

حدود الدراسة :

أ – الحدود البشرية :

تقتصر عينة الدراسة على طلاب السنة الثانية (ل، م، د) في قسم العلوم الاجتماعية في جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي .

ب – الحدود الزمنية :

طبقت الدراسة خلال السداسي الأول من السنة الجامعية 2015/2014.

ج – الحدود المكانية:

جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي- الجزائر.

التعاريف الإجرائية لمصطلحات الدراسة :

1 – العنف:

- تعريف جيمس (James) :

هو في معناه المجرد يشير إلى الاستخدام الفعلي للقوة لإلحاق الضرر والأذى بالأشخاص والتدمير والإتلاف للممتلكات العامة والخاصة[7] .

ويعرف العنف إجرائيا في هذه الدراسة بأنه كل سلوك يصدر عن الفرد ويهدف إلى إيقاع الأذى بالآخرين، أو بالممتلكات.

2 – الدوافع:

- تعريف فؤاد حيدر :

هي حالة داخلية جسمية أو نفسية أو فكرية تثير السلوك في ظروف معينة وتواصله حتى تصل إلى غايتها[8].

وتعرف الدوافع إجرائيا في هذه الدراسة بأنها كل ما يحرك السلوكات، إذ لا يوجد سلوك بدون قوة دفع أو تحريك .

3 – الدوافع المسببة للعنف :

تعرف الدوافع المسببة للعنف إجرائيا في هذه الدراسة بأنها مجموعة القوى أو العوامل التي تدفع الطلبة الجامعيين نحو استخدام القوة وإلحاق الأذى بالآخرين وبالممتلكات الخاصة والعامة، والتي تتحدد بالدرجات التي يتحصل عليها أفراد عينة الدراسة بالإجابة على مقياس الدوافع المسببة لسلوك العنف لدى الشباب الجامعي من إعداد كل من (**تهاني محمد عثمان منيب، عزة محمد سليمان**)، ولقد حددت الباحثتان الدوافع المسببة للعنف التي يقيسها المقياس كالتالي :

1 – دوافع أسرية اجتماعية اقتصادية، 2 – دوافع نفسية، 3 – دوافع إعلامية، 4 – دوافع دراسية وثقافية[9] .

الدراسات السابقة :

تعتبر الدراسات السابقة ذات دور إيجابي لكل باحث، وبناء على ذلك فإن الباحثة ستلقي الضوء على بعض الدراسات التي توافرت لديها من خلال اطلاعها في هذا المجال للتعرف على أهم النتائج التي توصل إليها الباحثون كالتالي :

الدراسات الأجنبية :

1 - دراسة (فيليس وآخرون Phillis،1998) :

عنوان الدراسة : بروفيلات العنف لدى الشباب .

هدفت هذه الدراسة إلى تحديد سلوكيات العنف ومشكلات الصحة العامة والمشكلات السلوكية والعاطفية لدى الشباب، ولقد طبقت الدراسة على عينة تتكون من (4500) طالب من طلاب المدارس الثانوية، وقد أسفرت نتائج الدراسة على مايلي :

- أكثر من نسبة (50%) من أفراد العينة تورطوا في سلوكيات العنف، وأكثر من (25%) من أفراد نفس العينة ارتكبوا جرائم كإدمان المخدرات والاتجار بها.

- كذلك أظهرت النتائج أن الشباب الذين اتصفوا بسلوكيات وجرائم العنف مقارنة بنظرائهم العاديين يعانون من مشكلات في الصحة العامة وتدني التحصيل الأكاديمي وضعف العمليات العقلية المعرفية والمشكلات السلوكية والعاطفية التي تدفعهم إلى ارتكاب الجرائم[10] .

2 – دراسة (جوس جودالوب وأخرون، Guadlupe et al، 2002):

عنوان الدراسة: العنف لدى الشباب.

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة أسباب العنف لدى الشباب، حيث ناقش فيها الباحثين دائرة العنف في المجتمع الأمريكي في سياق الديناميات الفردية والأسرية، وتأثير الخبرة المدرسية والمعايير الاجتماعية وقد تم تطبيق الدراسة على عينة تتكون من (833) شابا في أمريكا، وتم استخدام استبيان أسباب العنف لدى الشباب من إعداد الباحثين، وتوصلت نتائج الدراسة إلى أن الميراث الاجتماعي والمؤسسي للعنف يدعم سلوكيات العنف ضد الأطفال والشباب دون النظر بعين الاعتبار لفردية الشباب وثقافتهم النوعية وشعورهم بالاغتراب واختتم دراسته بمجموعة من الاستراتيجيات العلاجية التي تركز على برنامج لتنمية التحصيل والذكاء لدى الشباب وتنمية الوعي المجتمعي بأخطار العنف[11].

الدراسات العربية:

2 - دراسة (محمد السيد عبد الرحمن الجندي،1999) :

عنوان الدراسة : دوافع سلوك العنف لدى تلاميذ المدارس الثانوية .

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على دوافع سلوك العنف لدى تلاميذ المدارس الثانوية، ومدى اختلاف هذه الدوافع من وجهة نظر التلاميذ والآباء والمعلمين والأخصائيين النفسيين والاجتماعيين. وقد اشتملت عينة الدراسة على (400) تلميذ وتلميذة من تلاميذ السنة الأولى الثانوي بمحافظة الشرقية تتراوح

أعمارهم بين (15-16) سنة، وقد قام الباحث بتطبيق كل من استبيان دوافع سلوك العنف لدى تلاميذ المدارس الثانوية، واستخبار الذات الاسقاطي، واستمارة المقابلة، ومقياس المستوى الاجتماعي والاقتصادي، وقد توصلت الدراسة إلى أن دوافع سلوك العنف لدى تلاميذ المدارس الثانوية كالآتي :

- الدوافع المتعلقة بالجوانب الدينية، ثم الدوافع المتعلقة بالجوانب المدرسية، والدوافع المتعلقة بالجوانب الاقتصادية وأخيراً الدوافع المتعلقة بالجوانب النفسية[12] .

3 - دراسة (عدلي السمري،2000) :

عنوان الدراسة : سلوك العنف بين الشباب " دراسة ميدانية على عينة من طلبة وطالبات المرحلة الثانوية" .

استهدفت الدراسة الوقوف على سلوك العنف بأشكاله بين طلاب وطالبات المدارس الثانوية العامة والفنية، وكذا معرفة بعض العوامل المرتبطة بسلوك العنف ومبرراته لدى الطلاب والتعرف على آراء بعض من أولياء أمورهم ورؤية المؤسسات التعليمية متمثلة فى المعلمين، استعانت الدراسة بعينة عمدية من الطلاب مرتكبى سلوك العنف.

وقد خلصت الدراسة: إلى أن أسباب لجوء الطلاب للعنف تعرضهم للقهر والظلم وإحساسهم بالاضطهاد من قبل زملائهم، وأكدت نسبة 44 ٪ من العينة أن العنف وسيلة لأخذ الحق بالقوة عندما تعجز أو ترفض إدارة المدرسة فى إعطاء الحق لصاحبه. كما أكدت 75 ٪ من عينة المعلمين غياب العلاقة الاجتماعية بين الطالب والمعلم، وقد أظهرت نتائج العينة للمعلمين أن نسبة 100٪ من سلوك العنف للطلاب موجه لأقرانهم وان نسبة 40٪ موجه لإدارة المدرسة، وقد أظهرت نتائج عينة أولياء الأمور التأثير السلبي لوسائط التنشئة الاجتماعية وخاصة المدرسة والإعلام إلى جانب سوء الأحوال الاقتصادية والمشكلات الاجتماعية بالأسرة عُدت من أهم عوامل اقتراف الطلاب سلوك العنف فى المدارس. وقد اعتمدت الدراسة على قضايا تنظيرية تكاملية لكن غاب عنها طرح الإجراءات المنهجية وبعض أساليها الإحصائية التي تحدد طبيعة العلاقة بين متغيرات الدراسة[13] .

4 - دراسة (محمد عبد الله المطوع، 2006):

عنوان الدراسة : العنف في مجتمع الإمارات: أشكاله وأسبابه ونتائجه. دراسة ميدانية على طلاب جامعة الإمارات العربية المتحدة .

تهدف هذه الدراسة للتعرف على آراء عينة من طلاب جامعة الإمارات العربية المتحدة حول تعرضهم أو ذويهم للعنف أو ممارسته ضد الآخرين، ومعرفة الأسباب التي تدعوا إلى ارتكاب العنف وآثاره والوسائل الممكنة لمواجهة هذه الظاهرة واستعانت الدراسة بإطار منهجى مستخدما الأسلوب الوصفى، وقد أظهرت النتائج :

1 - أن العنف اللفظي هو الأكثر شيوعا بين طلاب الجامعة الرافضين لممارسة الإيذاء البدنى.

2 - أكدت الدراسة على ممارسة العنف المادي ضد المرأة مستخدما أسلوب الضرب باعتباره أحد أساليب التنشئة الاجتماعية[14] .

5 - دراسة (تهاني محمد عثمان منيب وعزة محمد سليمان، 2007) :

عنوان الدراسة : العنف لدى الشباب الجامعي .

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على طبيعة سلوك العنف لدى الشباب الجامعي بأبعاده المختلفة وكذلك التعرف على الدوافع النفسية والاجتماعية التي تكمن وراءه، فضلا عن التحقق من وجود علاقة ارتباطية بين سلوك العنف بأبعاده المختلفة ومتغيرات الاغتراب والمستوى الاجتماعي والاقتصادي، وقد طبقت الدراسة على عينة تتكون من طلاب وطالبات من أقسام مختلفة بكلية التربية جامعة عين شمس قوامها (200) طالبا ممن تتراوح أعمارهم مابين (19-23 سنة)، ولقد قامت الباحثتان بتطبيق الأدوات التالية : مقياس العنف لدى الشباب الجامعي، مقياس الدوافع المسببة لسلوك العنف لدى الشباب الجامعي، ومقياس الاغتراب لدى طلاب المرحلة الجامعية من الجنسين، واستمارة المستوى الاجتماعي والاقتصادي، ومقياس الثقافة الأسرية، وقد أسفرت نتائج الدراسة إلى مايلي :

- وجود دوافع وأسباب تكمن وراء ظاهرة العنف في الحياة الجامعية، حيث احتلت الدوافع النفسية المرتبة الأولى والتي تتمثل في فقدان الأمن والشعور بالحرمان، يليها الدوافع الأسرية والتي تتمثل في ضعف الرقابة الوالدية الدينية مع ارتفاع مستوى المعيشة، ثم جاءت الدوافع المتعلقة بسلبية وسائل الإعلام تجاه القيم الدينية والأخلاقية متقدمة على الدوافع التربوية المتعلقة بالبيئة الجامعية والتي تتمثل في تدني الخدمات المقدمة للطلاب والطالبات في الوسط الجامعي وانعدام التفاعل السوي مع أساتذتهم.

- وجود العديد من العلاقات الارتباطية بين أبعاد العنف المتمثلة في العنف الفردي والجماعي والميل للعنف من ناحية، والاغتراب والدوافع والمستوى الاجتماعي الاقتصادي من ناحية أخرى، كذلك أن الاغتراب والمستوى الثقافي من العوامل المنبئة باندلاع العنف بين الشباب الجامعي[(15)] .

التعقيب على الدراسات السابقة :

لقد تمت الاستفادة من الدراسات السابقة في ألقاء الضوء على الجوانب التي تم دراستها في موضوع العنف بين طلاب الثانوية والجامعة وعلاقتهما بمتغيرات أخرى وبالتالي ساعدت في اختيار موضوع الدراسة.

كما تحصلت الباحثة على العديد من المقاييس الخاصة بالعنف والتي استفادت بها الباحثة من استخدامها في هذه الدراسة.

أما بالنسبة للنتائج الخاصة بالدراسات التي تناولت أسباب ودوافع العنف فقد أوضحت نتائج تلك الدراسات أن هناك عدداً من الدوافع أو الأسباب التي تكمن خلف ظاهرة عنف الشباب في العالم وهي عدم الوفاء باحتياجات الحياة الضرورية لهم، وعدم توفر فرص العمل، والتكدس والازدحام في أماكن الإقامة أو السكن والمشكلات الاقتصادية، والأعباء والضغوط النفسية والاجتماعية المترتبة على ذلك، كذلك تدني مستوى الرعاية الصحية والمشكلات التعليمية، كما توصلت بعض الدراسات إلى وجود دوافع دينية وثقافية أخلاقية وأسرية ومدرسية واقتصادية ونفسية.

أيضا توصلت مجموعة من الدراسات السابقة إلى أهم العوامل المنبئة التي يمكن أن تعتبر ضمن العوامل المنبئة بالعنف لدى الشباب الجامعي، ومن أبرزها المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والمستوى الثقافي للأسرة والاغتراب النفسي والاجتماعي.

كما اهتمت بعض الدراسات بكيفية مواجهة مشكلة العنف لدى الشباب ومن ثم قدمت عدة برامج واستراتجيات للحد من هذه الظاهرة مستخدمة أساليب فنية وعلاجية تخفف من حدة الشعور بالاغتراب وتعمل على إيجاد ثقافة بيئية تحد من العنف، وذلك انطلاقا من الأسباب والدوافع التي كانت وراء ظاهرة العنف لدى الشباب.

إجراءات الدراسة الميدانية :

منهج الدراسة :

للتحقق من فرضية الدراسة الحالية، تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي .

مجتمع الدراسة :

يشمل مجتمع الدراسة طلاب وطالبات السنة الثانية (ل، م، د) في قسم العلوم الاجتماعية بجامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي، والبالغ عددهم (216) طالبا وطالبة للسنة الجامعية 2015/2014 .

عينة الدراسة :

العينة الاستطلاعية:

اختيرت العينة الاستطلاعية من أجل التحقق من الخصائص السيكومترية للأداة المستخدمة في الدراسة، كذلك للتعرف على مجتمع الدراسة ومن ثمة تحديد عينة الدراسة الأساسية، ولقد تكونت العينة من طلاب وطالبات السنة الثانية (ل، م، د) في قسم العلوم الاجتماعية بجامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي، قوامها (30) طالبا وطالبة ولقد تم اختيارهم بأسلوب غير عشوائي وبطريقة العينة القصدية ولقد تم اختيار طلاب السنة الثانية (ل، م، د)، تجنبا لوجود الاضطرابات الانفعالية لدى طلبة السنة الأولى التي يمكن أن يسببها الانتقال من مرحلة التعليم الثانوي إلى مرحلة التعليم الجامعي، كذلك تفاديا للقلق والخوف والضغوطات الذي ينتج عن تحضير مذكرة التخرج لدى طلبة السنة الثالثة جامعي.

العينة الأساسية:

تكونت عينة الدراسة من (178) طالبا من طلاب السنة الثانية (ل، م، د) في قسم العلوم الاجتماعية بجامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي، وتم اختيارهم بأسلوب غير عشوائي وبطريقة العينة القصدية كما تم في عينة الدراسة الاستطلاعية .

- **خصائص العينة :**

وهي موضحة في الجدول التالي :

- **حسب متغير الجنس :**

جدول رقم 01 : يوضح خصائص العينة من حيث متغير الجنس

الجنس	العدد	النسب المئوية
ذكور	36	%20.22
إناث	142	%79.77
المجموع	178	%100

يتبين من الجدول رقم (01) فيما يتعلق بتوزيع عينة الدراسة وفقا لمتغير الجنس أن نسبة (25.49%) من أفراد العينة هم ذكور، وأن نسبة (74.50%) هم من جنس الإناث، وهذه النسبة متفاوتة ويعود ذلك إلى ارتفاع نسبة الإناث المتمدرسات في الجامعة.

- **حسب متغير العمر:**

تتراوح أعمار أفراد العينة من 19 إلى 23 سنة.

أدوات الدراسة :

استخدمت الباحثة في الدراسة الحالية المقياس التالي:

*** مقياس الدوافع المسببة لسلوك العنف لدى الشباب الجامعي :**

أعدت هذا المقياس كل من **"تهاني محمد عثمان منيب وعزة محمد سليمان"**، ويهدف إلى معرفة الأسباب والدوافع المتسببة لسلوك العنف في الوسط الجامعي، وقد شمل المقياس على (40) بنداً تم صياغتهم صياغة عربية بسيطة مع وضع بدائل للإجابة على كل بند من المقياس هي : (لاتنطبق، نادرا، بدرجة متوسطة، ينطبق جداً) مع وضع الدرجات (1،2، 3، 4) بحيث تشير الدرجة المرتفعة إلى ارتفاع سلوكيات العنف وبذلك تتراوح الدرجة الكلية للمقياس بين (40- 160)، ويتكون المقياس من أربعة محاور كالتالي :

المحور الأول : الدوافع الأسرية.

المحور الثاني : الدوافع النفسية .

المحور الثالث : الدوافع الإعلامية .

المحور الرابع : الدوافع التربوية والثقافية .

ولقد قامت معدة المقياس بتقنينه وذلك بحساب صدقه عن طريق حساب كل من الصدق العاملي وصدق الاتساق الداخلي وصدق المقارنة الطرفية فجاءت جميع معاملات الارتباط مرتفعة ودالة عند مستوى (0.01)، كما تم تقدير ثبات المقياس عن طريق حساب معامل ألفا كرونباخ[16] .

أما في الدراسة الحالية للتأكد من مدى ملائمة المقياس مع البيئة المحلية، قامت الباحثة بتطبيقه على عينة الاستطلاعية والتي تتكون من (30) طالبا وطالبة من طلاب السنة الثانية (ل،م، د) في قسم العلوم الاجتماعية بجامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي تتراوح أعمارهم مابين (19-22 سنة).

وقد تم حساب صدق وثبات المقياس في الدراسة الحالية كالتالي:

أ – صدق المقياس :

تم حساب صدق المقياس عن طريق حساب الصدق التمييزي (المقارنة الطرفية) :

حيث قامت الباحثة بأخذ (27%) من أعلى درجات المقياس و(27%) من أدنى درجات المقياس للعينة التي تتكون من(30) فرداً، وهذا بعد ترتيب هذه الدرجات تصاعديا فتصبح مجموعتان تتكون كل منها من(08) فرداً لان (30 x0.27 = 08)،ومنه نأخذ (08) أفرادا من المجموعة العليا(08) أفراد من المجموعة الدنيا، ثم نستعمل أسلوبا إحصائيا ملائما وهو اختبار "ت" لدلالة الفرق بينهما وهذا باستخدام نظام (Spss,16.0) وكانت النتائج كما هي مبينة في الجدول التالي:

جدول رقم (02) : يوضح قيمة **"ت"** لدلالة الفرق بين المجموعة الدنيا والمجموعة العليا في مقياس الدوافع المسببة لسلوك العنف لدى الشباب الجامعي

مقياس	المجموعات	ن	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	" ت "	مستوى الدلالة
الدوافع المسببة للعنف لدى الشباب الجامعي	المجموعة الدنيا	8	71.25	10.49	13.49	0.01 دال
	المجموعة العليا	8	127.12	5.19		

يتبين من الجدول أن قيمة "ت" دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة (0.01) مما يعني أن المقياس يتوفر على القدرة التمييزية بين المجموعتين الدنيا والعليا ومنه فالمقياس يعتبر صادقا فيما يقيسه .

ب – ثبات المقياس:

لمعرفة ذلك قامت الباحثة بحساب ثبات مقياس الدوافع المسببة لسلوك العنف لدى الشباب الجامعي باستخدام معامل ثبات ألفا لكرونباخ وباستخدام نظام (Spss,16.0)، تم التوصل إلى معامل ثبات قدره(0.921) وهذا المعامل دال إحصائيا عند مستوى الدلالة (0.01) مما يشير إلى أن المقياس يتمتع بقدر عالي من الثبات.

عرض النتائج ومناقشتها :

1 – عرض النتائج :

نص الفرضية:

توجد دوافع عديدة تكمن وراء ظهور سلوك العنف لدى طلبة الجامعة الجزائرية.

وللتحقق من صحة هذه الفرضية تم حساب كل من والمتوسطات الحسابية المتوسط الحسابي والانحراف المعياري وبعد المعالجة الإحصائية بنظام (Spss.16.0) تحصلنا على النتائج التالية :

جدول رقم (03) : يوضح الدوافع المسببة للعنف لدى طلبة الجامعة الجزائرية

الدوافع	**عدد الفقرات**	**المتوسط الحسابي**	**النسب المئوية**	**الترتيب**
الدوافع النفسية	10	8.61	%31.28	2
الدوافع الأسرية	9	7.93	%22.89	3
الدوافع الإعلامية	9	6.58	%39.45	1
الدوافع التربوية والثقافية	9	7.69	%6.38	4

يتبين من الجدول رقم (03) والذي يتعلق بالمتوسطات الحسابية والنسب المئوية لدرجات استجابات الطلبة في عينة الدراسة على مقياس الدوافع المسببة لسلوك العنف لدى الشباب الجامعي، أن أهم الدوافع المتعلقة بسلوك العنف لديهم هي على الترتيب كالتالي : الدوافع الإعلامية، ثم الدوافع النفسية يلها الدوافع

المتعلقة بالجوانب الأسرية، والدوافع التربوية والثقافية، بحيث بلغت نسبتهم على التوالي (39.45%)، (31.28%)، (22.89%)، (6.38%).

وهذا يدل على أن أهم الدوافع المسببة للعنف لدى الطلبة في الجامعة هي الدوافع الإعلامية والدوافع النفسية .

2 – تفسير ومناقشة النتائج :

إن البيانات المتحصل عليها من خلال عرض النتائج الخاصة بالفرضية التي تنص على وجود دوافع عديدة تكمن وراء ظهور سلوك العنف لدى طلبة الجامعة الجزائرية باستخدام المتوسط الحسابي والنسب المئوية والموضحة في الجدول رقم (03) والمتعلق بالتعرف على الدوافع المسببة للعنف لدى أفراد عينة الدراسة، يتضح جليا أن من أهم الدوافع المسببة للعنف هي الدوافع الإعلامية، ومن الطبيعي أن يحتل العامل الإعلامي المرتبة الأولى بنسبة (39.45%) نظراً لما ينقله من أحداث العنف وهذا يؤكد خطورة وسائل الإعلام في توجيه سلوك الشباب نحو العنف وقد يرجع ذلك للأثر الفعال والسريع للرسالة الإعلامية المطبوعة والمسموعة والمرئية وما تبثه من مسلسلات وأفلام عنيفة لا أخلاقية تهدد النسق القيمي للشباب، كذلك ما تنقله وسائل الأخبار من أحداث الشغب والعنف الذي يمارسه في العديد من دول العالم، مما يشجع عندهم الرغبة في تقليدهم حتى لو لم يعانوا من نفس الأسباب والضغوطات.

كما أن وسائل الإعلام تعمل على نقل تأثيرات العولمة السياسية والثقافية، فالمواد التي تبثها تثير العنف في نفوس طلبة الجامعة، حيث أكد "أكبر سيد أحمد " أن الأساتذة لم يشهدوا في تاريخهم أشد من الإعلام الغربي، حيث تبرز العولمة الثقافية كسبب هام من أسباب العنف والتطرف لدى الشباب الجامعي[17].

ثم تأتي الدوافع النفسية في المرتبة الثانية بنسبة تصل إلى (31.28%) من حيث دوافع العنف لدى الطلبة الجامعيين في الجامعة الجزائرية، وفي الحقيقة من الطبيعي أن تحتل الدوافع النفسية المرتبة الثانية لأن الشباب الجامعي يعاني الشعور بالحرمان من إشباع حاجاته ومعاملته بالقسوة منذ صغره، وهذا سوف يساعده على أن ينشأ قاسيا ناقما على الناس، يتخذ من العنف وسيلة للثورة على مجتمعه وبيئته وما يحمله من مفاهيم ومعايير ومثل متحديا جميع الاعتبارات غير عابئ بها.

أيضا فإن فقدان الأمن والأمان بالنسبة للحاضر والمستقبل وفقدان الثقة بالنفس، فضلا عن النظرة التشاؤمية للمستقبل والشعور بالفراغ والفشل والدونية وعدم تقدير الذات، وهي مشاعر محبطة للعزيمة والإرادة التي هي في حقيقة الأمر مصدر قوة الشباب وعدته نحو التقدم والإنجاز والانطلاق، وفي نفس الوقت مقدمة حتمية للوقوع في براثن العنف والشغب .

كذلك يلعب الإحباط لدى بعض طلبة الجامعة دوراً كبيراً، حيث هناك من يتمرد ويظهر العنف أو السلوك المتطرف نتيجة شعوره بالهزيمة أو الفشل، وكلما كان موضوع الإحباط مهما لدى الشخص أو يتعلق بمجال حيوي ومباشر كان الإحباط أشد، وظهرت ردة الفعل بصورة أقوى واعنف.

أيضا قد يكون من بين الدوافع النفسية التي تدفع إلى السلوك العنيف لدى طلبة الجامعة هي وجود بعض اضطرابات الشخصية منها اضطراب الشخصية الفصامية التي تعد العامل النفسي المهم من بين

العوامل النفسية لظهور العنف هذه الشخصية تمثل حالة مرضية تجعل صاحبها منفصلا عن الواقع مخطئا في تقدير ظروفه، خاليا من المشاعر، وغير مكترث بشيء (أي غير مبال)[18].

وتأتي الدوافع الأسرية في المرتبة الثالثة بنسبة تصل إلى (22.89%) من حيث دوافع العنف لدى الطلبة الجامعيين والتي تتمثل في ضعف الرقابة والتوجيهات الوالدية للأبناء خاصة مع ارتفاع المستوى الاقتصادي للأسرة، فضلا عن عدم اهتمام الوالدين بمشكلات أبنائهم سواء النفسية أو الاجتماعية أو التعليمية باعتبارهم وصلوا إلى سن يجب فيه أن يعتمدوا على أنفسهم، كذلك افتقاد الأبناء للقدوة داخل الأسر، أيضا استخدام الآباء لمجموعة من أساليب المعاملة الغير سوية ومن أبرزها التذبذب في المعاملة والتفرقة والإهمال والقسوة، فالدراسات أثبتت أن العنف هو نتيجة لاستخدام الآباء لمثل هذه الأساليب أثناء تنشئتهم الأسرية للأبناء، فسلوكيات العنف التي أصبحت منتشرة اليوم في الجامعات الجزائرية من إضرابات وتخريب ممتلكات الجامعة والاعتداء على الأساتذة سواء بالضرب، أو بالشتم في الحقيقة تعود إلى خلل في التنشئة الأسرية للأبناء .

أيضا فالأبناء الذين يعيشون في أسر متصدعة تعاني من الخلافات المستمرة بين الآباء فإن ذلك يولد لديهم رغبة في الانتقام من أي شي، ويظهر ذلك في صورة سلوكات عنيفة في الوسط الجامعي .

وجاءت الدوافع والأسباب التربوية والثقافية في المرتبة الرابعة بنسبة (6.38%) ويعود ظهور هذه الدوافع إلى عدم إشباع حاجات الطلبة الدراسية، وعدم فسح المجال أمامهم للممارسة الأنشطة الثقافية والدينية والاجتماعية والرياضية في المؤسسات الجامعية بصفة مستمرة، كذلك إلى ضعف العلاقة بين الأستاذ والطالب، مما يؤكد على أن البيئة الجامعية التي يعيش فيها الطلبة لها دور في نشأة السلوك العنيف لدى الطلبة، وهذه النسبة المتحصل عليها بالرغم من صغرها مقارنة بالنسب الأخرى إلا أنها لا تلغ جانب المسئولية التي تلقى على عاتق الجامعة في نشأة السلوك العنيف، فإذا قصرت الجامعة في دورها سيؤدي ذلك بانصراف الطلبة عنها والانضمام إلى جماعات قد تكون غير سوية في تفكيرها ومن ثمة تمارس سلوكات العنف داخل الحرم الجامعي وخارجه، وهذا ما نلمسه في الواقع فعل الرغم مما حققته الجامعة من تنمية علمية واجتماعية إلى حد ما في العالم العربي بصفة عامة والجزائر بصفة خاصة، إلا أنها مازالت تعتبر مقصرة في متابعة إنتاج المعارف المتجددة وإنتاج مواطنين واعين متكيفين مع الواقع وغير متطرفين ولا عنيفين، قادرين على التصدي إلى الثقافة الجديدة التي يروج لها عالميا ومحليا والتي في الحقيقة هي ثقافة تمهد للعنف، ولا تقيم وزنا للأخلاق والقيم .

وقد اختلفت هذه النتائج مع نتائج دراسة (فيليس وآخرون Phillis،1998) من حيث دوافع العنف حيث توصلت هذه الأخيرة إلى أن الشباب الذين اتصفوا بسلوكيات وجرائم العنف مقارنة بنظرائهم العاديين يعانون من مشكلات في الصحة العامة وتدني التحصيل الأكاديمي وضعف العمليات العقلية المعرفية والمشكلات السلوكية والعاطفية التي تدفعهم إلى ارتكاب الجرائم

كذلك اختلفت نتائج الدراسة الحالية مع دراسة (محمد السيد عبد الرحمن الجندي،1999) حيث توصلت إلى أن دوافع سلوك العنف لدى تلاميذ المدارس الثانوية كالآتي :الدوافع المتعلقة بالجوانب الدينية،

ثم الدوافع المتعلقة بالجوانب المدرسية، والدوافع المتعلقة بالجوانب الاقتصادية وأخيراً الدوافع المتعلقة بالجوانب النفسية، في حين الدوافع النفسية في الدراسة الحالية جاءت في المرتبة الثانية .

أيضا اختلفت نتائج الدراسة الحالية مع نتائج دراسة (تهاني محمد عثمان منيب وعزة محمد سليمان،2007)، حيث توصلت هذه الدراسة إلى وجود دوافع وأسباب تكمن وراء ظاهرة العنف في الحياة الجامعية، حيث احتلت الدوافع النفسية المرتبة الأولى والتي تتمثل في فقدان الأمن والشعور بالحرمان يليها الدوافع الأسرية والتي تتمثل في ضعف الرقابة الوالدية الدينية مع ارتفاع مستوى المعيشة، ثم جاءت الدوافع المتعلقة بسلبية وسائل الإعلام تجاه القيم الدينية والأخلاقية متقدمة على الدوافع التربوية المتعلقة بالبيئة الجامعية والتي تتمثل في تدني الخدمات المقدمة للطلاب والطالبات في الوسط الجامعي وانعدام التفاعل السوي مع أساتذتهم، في حيت توصلت الدراسة الحالية إلى أن الدوافع الإعلامية تليها الدوافع النفسية، ثم الدوافع الأسرية، ثم الدوافع التربوية والثقافية هي المسبة لسلوك العنف لدى الطلبة في الجامعة .

بينما اتفقت نتائج الدراسة الحالية مع نتائج دراسة (تهاني محمد عثمان منيب وعزة محمد سليمان،2007)، في كونها توصلت إلى أن الدوافع التربوية والثقافية احتلت المرتبة الرابعة شأنها شأن ما توصلت إليه الدراسة الحالية .

وقد يعود الاختلاف في النتائج إلى اختلاف المجتمعات من دراسة إلى أخرى، كذلك إلى الزمن الذي طبقت فيه الدراسة ففي خلال السنين الأخيرة شهد العالم العربي أحداث عنف متعددة ومتسارعة مما جعلها الشغل الشاغل لوسائل الإعلام على اختلاف أنواعها سواء المرئية أو المسموعة أو المكتوبة ومن ثم دفع الطلبة إلى سلوكيات العنف والتدمير، ومن ثمة تحتل المرتبة كأحد وأهم الدوافع المسببة للعنف لدى طلبة الجامعة الجزائرية .

استنتاج عام:

توصلت هذه النتائج إلى أهم الدوافع والعوامل المسببة للعنف من وجهة نظر الطلبة الجامعيين والمتمثلة في الدوافع الإعلامية، ثم الدوافع النفسية يليها الدوافع المتعلقة بالجوانب الأسرية، والدوافع التربوية والثقافية، بحيث بلغت نسبتهم على التوالي (39.45%)، (31.28%)،(22.89%)،(6.38%).

مما يؤكد على أهمية المؤسسات الإعلامية بأنواعها العديدة في دفع الطلبة الجامعيين نحو سلوكيات العنف بشتى أنواعه وصوره، كذلك العوامل النفسية التي تساهم بشكل كبير في ظهور العنف خاصة في ظل تراكم الضغوط النفسية وكثرتها ووطأتها على نفوس الطلبة في المدة الزمنية الأخيرة ، أيضا الأسرة مما يلقى بمسؤوليتها عن العنف المرتكب وسط الحرم الجامعي، كيف لا وهي أول مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي توكل لها مهمة تنشئة الأفراد منذ ميلادهم، كذلك لا ننسى الدوافع التربوية والثقافية فحصولها على المرتبة الرابعة بالنسبة للدوافع لا يقلل من تأثيرها في حدوث العنف في الجامعة من حيث تدني مستوى الخدمات الجامعية المقدمة، وعدم قدرتها على إشباع حاجات الشباب ومن ثمة دفعهم إلى العنف والتدمير.

التوصيات :

وعليه، فإنه وفي ضوء ما توصلنا إليه من نتائج واستنتاجات نوصي بعمل كل ما هو ممكن ومستطاع للحد من الأسباب والدوافع المسببة لسلوكيات العنف بين الطلبة في الجامعات الجزائرية وذلك عن طريق مايلي :

- وضع برامج للعلاج النفسي للتخلص من الاضطرابات والمشاكل النفسية
- زيادة التركيز على التوعية الأسرية و دورها في تنشئة أجيال صالحة ميالة للخير وليس للشر.
- زيادة التركيز على المؤسسات الاجتماعية و بيان دورها في تنشئة الشباب و تثقيفهم ضد العنف أي كانوا في أي مكان.
- الاهتمام من قبل المؤسسات الإعلامية بالحد من البرامج والمسلسلات التلفزيونية المروجة للعنف.
- إقامة حملات إرشادية لتوعية الجامعات من مخاطر سوء المعاملة وتدني الخدمات التي تقدمها من ظهور سلوكات العنف لدى الطلبة .

الخاتمة:

تشير المؤشرات والبوادر العامة إلى أن ظاهرة العنف داخل الحرم الجامعي تزداد يوماً بعد يوم، حيث يلاحظ الكثير من المختصين تفاقم هذه الظاهرة التي تقف وراءها عدة دوافع نفسية واجتماعية وإعلامية.

وتشير نتائج الدراسة الحالية إلى وجود دوافع تكمن وراء ظاهرة العنف في الحياة الجامعية، حيث احتلت الدوافع الإعلامية المرتبة الأولى وراء انتشار ظاهرة العنف حيث، ثم جاءت الدوافع النفسية والتي تتمثل في الإحباط والحرمان والشعور باليأس وقلق المستقبل، متقدمة على الدوافع الأسرية والتي تتمثل بشكل خاص في سوء العلاقة مع الوالدين والصراع بين الأجيال ولا ننسى التفكك الأسري، ثم جاءت الدوافع التربوية والثقافية المتعلقة بالبيئة الجامعية والتي تتمثل في تدنى مستوى الخدمات المقدمة للطلبة الجامعيين، أيضا في نقص الحوار معهم.

وفي الأخير نريد أن نشير إلى أن هذه الدراسة مجرد محاولة للتعرف على دوافع سلوك العنف لدى طلبة الجامعة الجزائرية، وبالتالي فنتائجها غير نهائية تبقى بحاجة إلى مزيد من البحث والدراسة بغية الوصول إلى ضبط أكثر لهذه المتغيرات بتحسين شروط البحث كتطبيق الأدوات على عينة أكبر حجما لتكون الاستفادة من نتائجها أكثر.

قائمة المراجع :

1 - Oberschall Anthony, social conflict and movements, prentice hall, inc, N.j, 1983, p 104.

2 – تهاني محمد وعزة محمد، العنف لدى الشباب الجامعي، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، 2007، ص04 .

3 - Taylor, Jan& Others “ The new criminology for a social theory of deviance”. London , Rutledge & kegan paul, 1979,p28

4 – سامي عبد القوي، رؤية عينة من الشباب لظاهرة الإرهاب دراسة نفسية استطلاعية، مجلة علم النفس، العدد(31)، يوليو/أغسطس/ سبتمبر/1994، القاهرة، ص 52.

5 – الجندي محمد عبد الرحمن، دراسة تحليلية إرشادية لسلوك العنف لدى تلاميذ المدارس الثانوية، مجلة الإرشاد النفسي، القاهرة، مركز الإرشاد النفسي جامعة عين شمس، العدد 11، ص ص 134-139.

6- Maria J. Funes; "Social Responses to political violence in the Basque country". Jour. Of conflict resolution, Vol.42, No. 4, p498

7 – محمد بن مسفر القرني، العنف الجماعي، دار الفكر العربي، القاهرة، 2005، ص 39.

8– فؤاد حيدر، علم النفس الاجتماعي، دار العربي، بيروت،1994، ص 194.

9 - تهاني محمد وعزة محمد،مرجع السابق، ص 63.

10- Phyllis Hilary, Profiles of Violent youth , American Journal of Public Health, vol 78,P675.

11 Alex p. Schmid and Albert J.; " Political Terrorism Amsterdam North" Holand publishing, 1988, p 65.

12 -الجندي محمد عبد الرحمن، مرجع السابق، ص58.

13 - محمد عبد الله المطوع، العنف في مجتمع الإمارات: أشكاله وأسبابه ونتائجه. دراسة ميدانية على طلاب جامعة الإمارات العربية المتحدة. حوليات آداب عين شمس مجلد 34، 2006، ص ص 921-971.

14- عدلى السمرى، سلوك العنف بين الشباب (دراسة ميدانية على عينة من طلبة وطالبات المرحلة الثانوية)، القاهرة، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، 2000، ص ص 453 - 496

15 - تهاني محمد وعزة محمد، المرجع السابق، ص ص 3-91 .

16 - تهاني محمد وعزة محمد، المرجع السابق، ص ص 63-.64

17 – سعيد محمود طه وسعيد محمود مرسي عطية، الأبعاد الاجتماعية والتربوية لظاهرة التطرف والعنف في المجتمع المصري (دراسة تحليلية)، مجلة كلية التربية،جامعة الزقازيق، العدد 38، 2001، ص 22.

18 – سيد أحمد منصورو زكريا أحمد الشربيني، سلوك الإنسان بين الجريمة العدوان الإرهاب، دار الفكر العربي، القاهرة، 2003، ص ص 248-249.

الشبكات الاجتماعية:

من التواصل إلى خطر العزلة الاجتماعية

د.حدادي وليدة

قسم علوم الإعلام والاتصال

جامعة محمد لمين دباغين- سطيف

ملخص:

أصبحت مواقع الشبكات الاجتماعية مثل "الفايسبوك" و"التويتر" و"التيوتيوب" ظاهرة عالمية واسعة الانتشار، ساهمت في دفع العلاقات الاجتماعية من الواقع الفعلي إلى العالم الافتراضي، من خلال تسهيل عملية التواصل للمستخدمين مع بعضهم البعض لطرح وتبادل الأفكار والآراء والملفات المرئية والسمعية وبناء العلاقات الاجتماعية والمهنية، إلا أن الاستخدام المتزايد لمواقع الشبكات الاجتماعية قد يؤدي إلى نوع من العزلة الاجتماعية عن الآخرين الواقعيين في حياتهم، والذي يقود إلى تأثيرات سلبية في منظومة العلاقات الاجتماعية (الأسرة، جماعات الأصدقاء، علاقات الدراسة، علاقات الجيرة والقرابة).

Summary:

Social networking sites like Face book, My space and Twitter have emerged with the second generation of the internet network «web.2», what contributed to the achievement of social communication between users and activated the creation of new social relations in the frame work of a virtual environment, that exceed the spatial and temporal boundaries. But the increasing use of social networking sites could threaten the system of social relations with social isolation.

مقدمة:

تعتبر الانترنت من أهم تكنولوجيا الاتصال الحديثة التي فتحت فرصا جديدة إلى حد كبير أمام الأفراد للتفاعل وتبادل الآراء ومناقشة مختلف المواضيع الاجتماعية من خلال بناء علاقات اجتماعية افتراضية، ما فتح المجال واسعا لتجسيد مفهوم القرية الكونية الذي أشار إليه مارشال ماكلوهان، حيث تغلغل الاتصال الوسيطي عبر مواقع الشبكات الاجتماعية في كل منحى من مناحي الحياة كبديل عن الاتصال وجها لوجه، ليتحول الشخص إلى فرد افتراضي يتفاعل ضمن مجتمع افتراضي، يعتمد على التقاء مجموعة كبيرة من المستخدمين من ذوي الاهتمامات المشتركة في مواقع شبكة الانترنت والتعبير عن آرائهم وميولهم وطموحاتهم بحرية دون قيود قد تواجههم في الواقع الفعلي، وقد غيرت مواقع الشبكات الاجتماعية من توجهات الأفراد في التعامل مع القضايا والموضوعات المختلفة، من مجرد مستهلكين سلبيين للمحتويات الإعلامية التي تخضع لسلطة الخط الافتتاحي، إلى مشاركين بقوة في طرح وتبادل الموضوعات والأفكار مع الأصدقاء والزملاء ومستخدمين آخرين لا يعرفونهم.

وقد أصبحت مواقع الشبكات الاجتماعية مثل "الفايسبوك" و"تويتر" و"تيوتيوب" ظاهرة عالمية واسعة الانتشار، ساهمت في دفع العلاقات الاجتماعية من الواقع الفعلي إلى العالم الافتراضي بفضل تقنيات الجيل الثاني من الانترنت، من خلال تسهيل عملية التواصل للمستخدمين مع بعضهم البعض لطرح وتبادل الأفكار والآراء والملفات المرئية والسمعية وبناء العلاقات الاجتماعية والمهنية، ما أدى إلى النمو السريع لعدد المشاركين فيها، حيث استطاعت أن تجعل الأفراد يتعلقون بها بشكل كبير نظرا للخدمات الإعلامية والاتصالية المتعددة التي أتاحتها، والتي تستجيب لرغباتهم واهتماماتهم وتطلعاتهم، بطرق سهلة وغير مكلفة، هذا ما يجعلها تساهم في ربط العديد من العلاقات بعد إلغائها لجميع المسافات، حيث دعمت الممارسات التشاركية بين الأفراد، والتفاعلات المستمرة، فمنذ ظهور وانتشار مواقع الشبكات الاجتماعية، وهي تجذب الملايين من الشباب الذين يعتبرون تلك المواقع أحد الأنشطة اليومية المهمة في حياتهم، وبقراءة سريعة لمؤشرات وأرقام مستخدمي هذه المواقع الاجتماعية، نجد أن هناك ارتفاع لنسبة استخدامها لدى الشباب من 8% في فبراير 2005 إلى 16% في أغسطس 2006، ثم إلى 37% في نوفمبر 2008، وفي سبتمبر 2009 استخدم حوالي نصف مستخدمي شبكة الانترنت من الشباب (47%) مواقع الشبكات الاجتماعية، كما أن نسبة 29% من الشباب تمتلك أكثر من صفحة شخصية في موقعين من مواقع الشبكات الاجتماعية، ونسبة 13% من الشباب هي من لديها أكثر من ثلاث صفحات شخصية في مواقع الشبكات الاجتماعية.[1] وذكر تقرير عالمي حديث أن المنطقة العربية سجلت مع نهاية الشهور الأحد عشر الأولى من عام 2012 قرابة 44 مليون مستخدم نشط للشبكة الاجتماعية على الإنترنت (شبكة الفيسبوك) الاجتماعية. وجاء في التقرير أن توزيع أعداد مستخدمي الفيسبوك في هذه الدول بحسب الجنس انقسم بين: 65 % للذكور، و35 % للإناث، ومن جهة أخرى توزع العدد بحسب الفئة العمرية على النحو التالي : حيث استحوذت الفئة العمرية (من 18 سنة الى 24 سنة) على النسبة الأكبر بحوالي 36 % من إجمالي المستخدمين، وجاءت في المرتبة الثانية الفئة العمرية (من 25 سنة الى 34 سنة) بنسبة 32 %، ثم الفئة العمرية (من 35 سنة الى 44 سنة) بنسبة 11%. وقد جاءت الجزائر في المرتبة الرابعة في قائمة بلدان المنطقة العربية بحوالي 4 ملايين مستخدما من حيث تعداد مستخدمي الفيسبوك.[2] وهذا ما يعكس أن فئة الشباب هي أكثر الفئات استخداما لمواقع التواصل الاجتماعي.
كما يشير تقرير حديث إلى أن فئة الشباب تمثل الغالبية العظمى من مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي في العالم العربي، ففي يونيو 2013 وصلت النسبة المئوية لإجمالي المستخدمين الذين تتراوح أعمارهم من 16 إلى 34عاما إلى 77 %، كما وصلت النسبة المئوية لإجمالي مستخدمي فيس بوك الذين تتراوح أعمارهم من 15 إلى 29 عاما في مايو 2014 إلى67%.[3]

---

[1] . Amanda lenhart, Kristen Purcell, Aaron Smith, Kathryn Zickuhr: Social media & Mobile internet use among teens and young adult, Unpublished report, The Pew internet & American life project, U.S.A, February 2010, p: 4.

[2] . الجزائر الرابعة عالميا في استخدام شبكات التواصل الاجتماعي.. تقرير عالمي يكشف، المستقبل العربي، 18 ديسمبر 2012، في: http://www.djazairess.com/elmustakbal/6694، بتاريخ 6 جوان 2015.

[3] . تقرير وسائل التواصل الاجتماعي في العالم العربي، التقرير الأول 2015، الصادر عن قمة رواد التواصل الاجتماعي العرب، في: arabsmis.ae/reports/ASMISArabicReport.pdf ، بتاريخ: 2015/6/5.

ورغم أن مواقع الشبكات الاجتماعية نجحت في تغيير حياة الأفراد والمجتمعات إلى الأفضل، وذلك بتجاوزها الحدود الجغرافية والثقافية والمعرفية والعرقية والطبقية والسياسية بين المجتمعات، وحتى في المجتمع الواحد نفسه، إلا أنه لا يمكن تجاهل أثر الاستخدام المتزايد لمواقع الشبكات الاجتماعية في سلوكيات المستخدمين، وفي تفاعلاتهم مع الآخرين في الواقع، حيث يمكن أن تساهم هذه المواقع في عزل الأفراد اجتماعيا وتفكيك العلاقات بينهم في المجتمع، ودفعهم إلى الانسحاب الملحوظ لهم من النشاطات الاجتماعية، محولة قوتها وحميميتها إلى فتور وبرود، فقضاء الأفراد لمعظم وقتهم في التعامل مع الانترنت ضمن فضاء المجتمع الافتراضي قد يؤدي إلى نوع من العزلة الاجتماعية عن الآخرين الواقعيين في حياتهم، والذي يمكن أن يقود إلى تأثيرات سلبية في منظومة العلاقات الاجتماعية (الأسرة، جماعات الأصدقاء، علاقات الدراسة، علاقات الجيرة والقرابة).

الشبكات الاجتماعية: فضاء جديد للتواصل

أفرزت تكنولوجيا الاتصال والمعلومات وسائل إعلامية جديدة، التحم واقعها بالواقع اليومي للأفراد، وأصبحت جزءا لا يتجزأ من حياتهم الاجتماعية، تم تصميمها لربط الناس بعضهم ببعض في بيئة افتراضية. ففي السنوات القليلة الماضية، أكدت العديد من الدراسات والبحوث العلمية النمو الكبير لحجم وشعبية مواقع الشبكات الاجتماعية مثل موقع فيسبوك Facebook وموقع Myspace وموقع Twitter، التي سمحت للأفراد وكذا الجماعات في جميع أنحاء العالم بممارسة عملية الاتصال والمشاركة وتفاعل بعضهم مع البعض الآخر. حيث استخدمت الحركات الاجتماعية المواقع الاجتماعية للتحكم في تدفق المعلومات والأخبار وتبادلها بشكل أفضل، والتفاعل فيما بينها على نطاق أكثر انتشارا، وتنظيم أنفسها محليا أو دوليا.

وتعتبر الشبكات الاجتماعية مجموعة من المواقع على شبكة الانترنت، ظهرت مع الجيل الثاني للويب " web 2"، تتيح التواصل بين الأفراد في بنية مجتمع افتراضي، يجمع بين أفرادها اهتمام مشترك أو شبه انتماء (بلد، مدرسة، جامعة، شركة)، يتم التواصل بينهم من خلال الرسائل، أو الاطلاع على الملفات الشخصية، ومعرفة أخبارهم ومعلوماتهم التي يتيحونها للعرض، وهي وسيلة فعالة للتواصل الاجتماعي بين الأفراد، سواء كانوا أصدقاء من الواقع الاجتماعي، أو أصدقاء تم التعرف إليهم من خلال السياقات الافتراضية.[1]

إذن فهي مساحات افتراضية في شبكة الانترنت تسمح للمستخدمين بإنشاء صفحات شخصية للتعريف بأنفسهم، وممارسة مختلف هواياتهم واهتماماتهم، واستخدام الأدوات الاتصالية المتنوعة للتفاعل والتواصل وطرح الموضوعات والأفكار ومناقشتها مع الآخرين من ذوي الاهتمامات المشتركة، سواء كانوا من الأصدقاء الذين يعرفونهم في الواقع، أو الذين يشاركونهم الاهتمام نفسه في الواقع الافتراضي.

وقد عزز ظهور الجيل الثاني لشبكة الانترنت وتوافر الشبكات عريضة النطاق من إمكانيات الانترنت، حيث أصبحت وسيطا تفاعليا، يعتمد على مشاركة المستخدمين في بناء وإنتاج محتوياتها، كما يستطيع المستخدمون الدخول عليها عن طريق الحواسيب الآلية صغيرة الحجم، وأجهزة الهواتف النقالة وتكنولوجيا

---

[1]. محمد جاد المولى حافظ عويس: تأثير الإعلام البديل على تداول المعلومات في مصر (دراسة تحليلية ميدانية)، رسالة دكتوراه غير منشورة، إشراف: شريف درويش اللبان، كلية الإعلام، قسم الصحافة، جامعة القاهرة، 2012، ص:163.

الاتصال الحديثة الأخرى، وبذلك أصبح الجيل الثاني للشبكة عامة ومواقع الشبكات الاجتماعية خاصة أداة مهمة لتدعيم بناء الجماعات الافتراضية وتفاعلاتها الاجتماعية، وتشجيع العمل التعاوني بين مستخدمي الانترنت.

وهذا ما جعل من الشبكات الاجتماعية تتميز عن باقي المواقع الإلكترونية لاتسامها بالخصائص الآتية:

- تعتمد مواقع الشبكات الاجتماعية على الصفحات الشخصية التي تحتوي على خانات للبيانات الشخصية للمستخدمين (السن، الإقامة...)، وتفضيلاتهم المختلفة وصورهم وملفاتهم المرئية، وتحتوي هذه الصفحات أيضا على مساحة للالتقاء والتواصل مع المستخدمين وقائمة عامة من الأصدقاء، إلا أن هذه الصفحات الشخصية تمكن المستخدمين من الظهور بالأسلوب الذي يريدونه أمام الآخرين،[1] لذلك يسعى المستخدمون من خلالها إلى بناء صورتهم الذاتية أمام أصدقائهم وزملائهم، وتشكيل الانطباعات الشخصية عن أنفسهم عندما يدخلون في تفاعلات مع الآخرين، فمواقع الشبكات الاجتماعية إضافة إلى وظيفتها في تحقيق التواصل بين المستخدمين، فهي تحدد هويتهم الشخصية.

- تتميز مواقع الشبكات الاجتماعية بقدرتها على الحفاظ على العلاقات الاجتماعية لمستخدميها، حيث يستطيع المستخدمون البحث عن دائرة معارفهم وأصدقائهم باستخدام خاصية التصفح المتاحة في كثير من مواقع الشبكات الاجتماعية والتواصل معهم بشكل أو بآخر، فهي تقوي الروابط الاجتماعية الضعيفة للمستخدمين، بسهولة وبتكلفة مادية بسيطة، كما تسمح للمستخدمين بالتعرف على مستخدمين آخرين وتبادل الاهتمامات والمعلومات معهم، من خلال دعم طرق جديدة للاتصال بين أفراد المجتمع الافتراضي[2]، ذلك أن مواقع الشبكات الاجتماعية إضافة إلى مجانيتها وسهولة استخدامها، فهي تساعد في تحرير المستخدمين من القيود الكثيرة لبناء روابط اجتماعية جديدة، للوصول إلى مستخدمين يشاركونهم نفس اهتماماتهم.

- تتميز مواقع الشبكات الاجتماعية بطبيعتها الديناميكية من خلال توفير مساحات للتعبير عن الرأي لتجسيد التفاعلية بين مستخدميها وخلق نوع من الحوار والتواصل المستمر بين المستخدمين وأصدقائهم. ففي موقع ماي سبيس "Myspace" يطلق على هذه المساحة اسم التعليقات "Comments"، وأصبحت من الأمور الروتينية لدى المستخدمين الكتابة في الصفحات الشخصية لأصدقائهم، وفي موقع فيس بوك "Facebook" تعرف هذه المساحة باسم الحائط "Wall".

وتتنوع الخصائص الاتصالية في مواقع الشبكات الاجتماعية، فالبعض يمتلك تقنية تبادل الملفات المرئية والصور، والبعض الآخر يوفر خاصية المراسلة الفورية "Instant Messaging" والتدوين "Blogging"، كما تمتلك بعض المواقع خصائص الرسائل والبريد الإلكتروني وخدمات الدردشة "Chat" عن طريق الصوت

---

1 .Danah M.Boyd, Nicole B.Ellison: Social network site –Definition, History, and Scholarship, Journal of Computer-Mediated Communication, Vol.13, No.1, October 2007, p:213.

2 . Danah M.Boyd, Nicole B.Ellison: p :214.

والصورة ومجموعات النقاش "Groups". ويشارك المستخدمون في العديد من الأنشطة الإبداعية في مواقع الشبكات الاجتماعية مثل الكتابة والتدوين وإبراز المواهب الفنية والمشاركة في مشروعات جماعية.[1]

وفي هذا السياق نذكر أهم مواقع الشبكات الاجتماعية المتمثلة في:

1- موقع فيس بوك "Facebook":

يعد موقع فيس بوك من أكثر المواقع شعبية بين مستخدمي شبكة الانترنت، وترجع فكرة إنشاء موقع الفيس بوك إلى صاحبه "مارك زكيربرج" (Mark Zuckerberg) الذي أطلق هذا الموقع في فبراير عام 2004، حيث قام بتصميم موقع على شبكة الانترنت ليجمع زملاؤه في جامعة هارفارد الأمريكية، ويمكنهم من تبادل أخبارهم وصورهم وآرائهم، ويساعد على التواصل بينهم. وكان في بادئ الأمر متوافر لطلاب جامعة هارفارد، ثم فتح الباب أمام الطلاب والطالبات في الكليات والجامعات الأخرى في سبتمبر عام 2006، ولأي فرد لديه عنوان بريدي، وكشبكة اجتماعية شعبية إلى غير الطلاب، تلاه اندفاع ضخم في عدد المستخدمين، وأصبح الموقع يضم إليه أكثر من مليون مشترك شهريا، وقد نمت قاعدة مستخدمي هذا الموقع إلى 400 مليون شخص في العالم عام 2010. وقد وصف الموقع بأنه "موقع يهدف إلى المنفعة الاجتماعية فهو يساعد على التواصل مع الأشخاص من حولك".[2] حيث تشير إحصائيات حديثة إلى أن عدد مستخدمي موقع الفايسبوك بلغ 1.31 مليار مستخدم شهريا، و680 مليون مستخدم على الهاتف النقال، وذلك سنة 2014.[3]

وفي إطار تطور خدمات فيس بوك، أطلق الموقع نسخته باللغة العربية في مارس عام 2009، وأصبح من أكثر الشبكات الاجتماعية جماهيرية خاصة مع تطور خدماته يوما بعد يوم، مما يستميل يوميا مزيدا من المشتركين، حيث كشف موقع socialbacker.com أن الجزائر سجلت مع بداية عام 2012 ارتفاع دخول الفايسبوك بنسبة 8.20% مقارنة بعدد السكان في الجزائر، وبنسبة 60.32% بالنظر إلى مستخدمي الانترنت، حيث بلغ عدد مستخدمي الفيس بوك مليونين و835 ألفا، كما أشار الموقع إلى أن أكثر مستخدمي الفيسبوك كانوا من الذكور بنسبة 68%، وبالنسبة لعامل السن فقد كشف الموقع أن أكثر مستخدمي الفيسبوك كانوا من الفئة العمرية ما بين 18 و24 سنة.[4] وقد صرح المستشار والمدرب في مضمار الإعلام الاجتماعي ومختص في متابعة مواقع التواصل الاجتماعي "خالد الأحمد" في جريدة الديار أن قاعدة مستخدمي الشبكة الاجتماعية الأكثر شعبية على الانترنت الفيسبوك تشهد توسعا وانتشارا متزايدا بين أوساط المستخدمين في العالم العربي، وأشار في إحصائية له إلى أنه مجموع عدد مستخدمي هذه الشبكة في العالم العربي يظهر أنها باتت تضمّ قرابة 83.1 مليون مستخدم في 22 دولة عربية. وأن الجزائر سجلت حوالي 8.2 مليون مستخدم بحصة تقترب من 10% من الإجمالي.[5]

---

1 . Danah M.Boyd, Nicole B.Ellison: p :214.

2. محمد جاد المولى حافظ عويس: مرجع سابق، ص: 164.

3 .Statistic brain : Facebook Statistics. on : http://www.statisticbrain.com/facebook-statistic. date: 6/6/2015.

4. إحصائيات استخدام الفايسبوك في الجزائر 19 جانفي 2012، في: socialbacker.com.

5. الجزائر تسجل أزيد من 8.2 مليون مشارك في الفيسبوك، جريدة الديار، يومية وطنية، الجزائر، 16 ماي 2015، في: http://www.adiyaronline.net/?p=655، بتاريخ: 2015/6/7.

إن الهدف الرئيسي من استخدام موقع فيس بوك هو التواصل مع المستخدمين الآخرين والتفاعل معهم، حتى وإن تضمن ذلك مجرد تبادل رسائل ليست بها معلومة حقيقية، مثل "أتمنى أن تكون بصحة جيدة"، كما أن مناقشة الموضوعات النابعة من الاهتمامات المشتركة بين المستخدمين هي من أهداف استخدامات الموقع، وقد يتم ذلك في حائط المستخدمين wall في صفحاتهم الشخصية، بحيث يترك الأصدقاء رسائلهم في العلن، وهي رسائل قد تعبر عن مشاعر أو تعكس أنشطة فردية أو مشتركة بين المستخدمين وأصدقائهم، أو بالانضمام إلى مجموعات النقاش Groups التي تعتمد على الاهتمامات المشتركة بين المستخدمين، وهي مصممة بهدف السماح لأغلبية المستخدمين بطرح ومناقشة الموضوعات المختلفة، لأنها المكان الأمثل للمشاركة بالموضوعات الاجتماعية والسياسية والأفكار والمشاعر مع المستخدمين الآخرين، وقد يبحث المستخدمون عن مجموعات نقاش حول موضوعات بعينها للانضمام إليها، أو قد ينشئوا بأنفسهم مجموعات نقاش.[1]

وفي السنوات الأخيرة شهدت مجموعات النقاش "Groups" في موقع فيس بوك ازديادا كبيرا لأعداد المستخدمين فيها لأنها أتاحت لهم مساحة مشتركة لكي يلتقوا بآخرين متشابهين معهم، كما يتمتع الموقع أيضا بوجود ما يسمى بتغذية الأخبار News Feed، وهي خاصية في الموقع تتيح للمستخدمين التعرف على أخبار أصدقائهم من المستخدمين عند حدوث أي تغيير في صفحاتهم الشخصية أو شبكة علاقاتهم الاجتماعية، والأحداث الجديدة في مجموعات النقاش المشتركين فيها.[2]

ويحظى موقع التواصل الاجتماعي "فيس بوك" بارتكازه على فكرة التشبيك الاجتماعي سواء تشبيك الأشخاص أو المواقع، فخاصية Facebook Connect تسمح للمستخدم بكتابة أي تعليق على أي موقع دون الحاجة للتسجيل فيه، حيث تنتقل المعلومات الخاصة بالمستخدم تلقائيا إلى ذلك الموقع.[3]

2- موقع تويتر "Twitter":

ظهر موقع التواصل الاجتماعي تويتر "Twitter" في أوائل عام 2006 كمشروع بحثي أجرته شركة Obvious الأمريكية في مدينة سان فرانسيسكو بولاية كاليفورنيا، وبعد ذلك أطلقته الشركة رسميا للمستخدمين بشكل عام في أكتوبر 2006، وبعد ذلك بدأ الموقع في الانتشار كخدمة جديدة على الساحة في عام 2007 من حيث تقديم التدوينات المصغرة، وفي أفريل 2008 قامت شركة Obvious بفصل الخدمة عن

---

1 . Mike Thelwall: Social Networks,Gender, and friending, Ananalysis of Myspace of member profiles, Journal of the American Society for information sience and technology, Vol.59, No.8, June 2008, p:1321.

2 . Lourie Charnigo, Paula Barnett-Ellis : Checking out Facebook.com, the impact of a digital trend on academic libraries, Information Technology and Libraries, Vol.26, No.1, March 2007, p:24.

3. محمد جاد المولى حافظ عويس: مرجع سابق، ص:166.

الشركة، وتكوين شركة جديدة باسم Twitter، ومع ازدياد أعداد من يستخدمه لتدوين أحداثهم اليومية، فقد قرر محرك جوجل للبحث أن يظهر ضمن نتائجه تدوينات التويتر كمصدر للبحث اعتبارا من 2009.[1]

ويعتبر البعض موقع تويتر حالة وسط بين برامج البريد الإلكتروني "الإيميل" والمدونات، فهو أحد المواقع الإلكترونية التي تقدم خدمات مجانية للتواصل الاجتماعي والتدوين المصغر، الذي يسمح للمستخدمين بإرسال أهم اللحظات في حياتهم في شكل تدوينات نصية لا تزيد على 140 حرفا. وقد أوجد موقع تويتر الاجتماعي بيئة افتراضية متميزة، يشارك فيها الملايين، ليتحدثوا ويتابعوا أخبار بعضهم البعض، حيث تشير الإحصائيات التي نشرها موقع تويتر في ذكرى تأسيسه الخامسة إلى أن عدد المشتركين في الشبكة يزيد على 100 مليون مستخدم، وقد حظي موقع التويتر حاليا بجماهيرية عالية والتي تميل الشخصيات المهمة إلى استخدامها حتى تكون أقرب إلى الجماهير، وتتعرف على مدى اهتمام الجماهير بنشاطاتهم، وذلك من خلال كسب أكبر عدد من المتابعين، حيث أصبح لكثير من الشخصيات حساب خاص بها على موقع التويتر، تستعمله كمنصة جديدة لأغراض الاتصال والدعاية، ونشر القرارات والأحداث المهمة، ومعلومات عن تنقلاتهم ولقاءاتهم في الصحافة والإعلام ومهامهم الرسمية، وأحيانا أخبار وطرائف متنوعة.[2]

وقد كشفت شركة تويتر "Twitter" عن نتائجها للربع الأول من عام 2015، تبين أن متوسط عدد مستخدمي "تويتر" النشطين شهريا بلغ حوالي 302 مليون مستخدم على مدى الأشهر الثلاثة الماضية، بزيادة قدرها 16% مقارنة بالربع الأخير من عام 2014، والذي بلغ عدد المستخدمين النشطين فيه 288 مليون مستخدم، مع العلم أن 80% من مستخدمي الشبكة النشطين شهريا يستخدمون تويتر عبر الأجهزة المحمولة[3].

3- موقع يوتيوب "You Tube":

يعتبر موقع "يوتيوب" من أهم مواقع التواصل الاجتماعي، لدوره في نشر الفيديوهات وتبادلها مع المستخدمين الآخرين، واستقبال التعليقات عليها ونشرها بشكل واسع، وكذا إنشاء قنوات تحتوي على بياناتهم الشخصية ومقاطع الفيديو التي يضعونها، وقد تأسس هذا الموقع في فبراير 2005 في مدينة سان برونو بولاية كاليفورنيا في الولايات المتحدة الأمريكية، بواسطة ثلاثة موظفين هم الأمريكي "تشاد هيرلي" والتايواني "تشين" والبنغالي "جاود كريم" الذين يعملون في شركة pay pal المتخصصة في التجارة الإلكترونية.[4]

وتقوم فكرة الموقع على إمكانية إرفاق أية ملفات تتكون من مقاطع الفيديو على شبكة الانترنت دون أي تكلفة مالية، فبمجرد أن يقوم المستخدم بالتسجيل في الموقع يتمكن من إرفاق أي عدد من هذه الملفات ليراها ملايين الأشخاص حول العالم، كما يتمكن المشاهدون من إدارة حوار جماعي حول مقطع الفيديو من خلال إعطائه قيمة نسبية مكونة من خمس درجات للتعبير عن مدى أهمية ملف الفيديو من وجهة نظر

---

[1]. خالد غسان ويوسف المقدادي: ثورة الشبكات الاجتماعية (ماهية مواقع التواصل الاجتماعي وأبعادها)، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2014، ص: 38.

[2]. محمد جاد المولى حافظ عويس: مرجع سابق، ص ص:167-168.

[3]. تويتر تعلن عن نتائجها المالية للربع الأول من عام 2015، البوابة العربية للأخبار التقنية، في: http://aitnews.com/2015/04/29، بتاريخ: 2015/6/7.

[4]. عبد الرزاق محمد الدليمي: الإعلام الجديد والصحافة الإلكترونية، دار وائل للنشر، الأردن، ط1، 2011، ص:194.

مستخدمي الموقع، حيث يعد موقع يوتيوب أول موقع متخصص فقط في تحميل ومشاركة الفيديو الشخصي، إذ يشارك أكثر من 3 مليارات فيديو على يوتيوب يوميا، ووصل عدد القراءات إلى 700 مليار في 2010، وكذلك تحميل وعرض فيديوهات وسائل الإعلام، ويأتي موقع يوتيوب في المركز الثالث ضمن قائمة المواقع الأكثر قبولا على شبكة الانترنت. ورغم أنه لا توجد رقابة على ما يبث أو يرفق على اليوتيوب من مقاطع قد لا تتفق والثقافات والقيم الخاصة بكل الشعوب، إلا أن الموقع لا يسمح بنشر الأفلام الإباحية، والأفلام التي تقوم بنشر مواد سياسية محظورة، أو تسيء لشخصيات معينة، والأفلام التي تحتوي على العنف، لما لها من تأثيرات سلبية على سلوكيات المستخدمين.[1]

كما كشف التقرير السنوي لشركة ديجيتال ميديا ساينس المتخصصة في بحوث الإعلام الرقمي والذكاء الصناعي بمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، من خلال بحث أجري على موقع يوتيوب في عام 2014، أن هناك حوالي 258 مليون مشاهدة يومية على يوتيوب في منطقة الشرق الأوسط.[2]

وقد استطاع موقع اليوتيوب أن يوجد شعبية له منذ انطلاقته بين مستخدمي الانترنت، حيث بات لديه أكثر من مليار مستخدم نشط كل شهر عام 2015.[3]

ويعمل موقع يوتيوب وفق ما يأتي:[4]

- تصنيف مقاطع الفيديو إلى أبواب مختلفة من الكوميديا والفن والرسوم المتحركة، والعلوم والتكنولوجيا.

- يحتوي الموقع على المقاطع للأحداث الحاصلة على أعلى تقييم، والتي تحظى بأكبر قدر من النقاش والأكثر تفضيلا والأكثر اتصالا بمواقع أخرى.

- يتم دمج مقاطع الفيديو الخاصة بموقع اليوتيوب مع مواقع الشبكة التي تستخدم تقنيات حديثة وأيضا جعل مقاطع الفيديو عامة أو خاصة.

- العثور على جماعات فيديو والالتحاق بها وتسهيل الاتصال مع من لديهم الاهتمامات نفسها، والاشتراك في خدمة تبادل مقاطع الفيديو المقصورة على الأعضاء، وحفظ المقاطع المفضلة ووضع قوائم تشغيل المقاطع.

4- موقع لينكد إن Linkedin:

هي شبكة اجتماعية للمحترفين في مجالات مختلفة، يتشاركون مجموعة من الاهتمامات، بحيث تمكنهم من إنشاء علاقات في مجال عملي معين، لتطوير مهاراتهم المهنية وتعزيزها، من خلال وضع ملف شخصي يضم معلومات مهنية شخصية، يسمى دليل المستخدم، ويسمح الموقع بتشكيل فريق من المهنيين

---

1. محمد جاد المولى حافظ عويس: مرجع سابق، ص ص: 169-170.

2. 88 بالمائة من مستخدمي الانترنت في المنطقة يفضلون شبكات التواصل الاجتماعي، البوابة العربية للأخبار التقنية، في: http://aitnews.com/2015/02/23، بتاريخ: 2015/6/7.

3. يوتيوب.. عشر سنوات وأكثر من مليار مستخدم شهريا، في: http://www.aljazeera.net/news/scienceandtechnology/2015/2/14 ، بتاريخ: 2015/6/4.

4. عباس مصطفى صادق: الإعلام الجديد المفاهيم والوسائل والتطبيقات، دار الشروق، عمان، 2008، ص:216.

والدخول في نقاشات حول الوظائف، كما يمكن أصحاب العمل من وضع قائمة وظائف البحث عن مرشحين محتملين.

واعتبارا من مارس 2012، أصبح لينكد إن يقدم أكبر شبكة اجتماعية مهنية في العالم على الإنترنت من خلال 161 مليون عضو في أكثر من 200 بلدا ومنطقة، يعيش 61% منهم خارج الولايات المتحدة الأمريكية، وقام أعضاء لينكد إن بنحو 4.2 مليار عملية بحث موجهة مهنيا على المنصة خلال2011. ويعتبر الطلاب وخريجو الجامعة الجدد أسرع الفئات نموا في لينكد إن.[1]

كما أكدت دراسة إقليمية حديثة تفوق موقع التواصل الاجتماعي فايسبوك "Facebook" على موقع التواصل المهني لينكد إن "LinkedIn" في عدد المستخدمين، في مصر والخليج العربي. وأشارت الدراسة، التي أنجزتها شركة "جلال وكراوي للاستشارات" بالتعاون مع شركة "أورينت بلانيت" (Orient Planet) ممثل شبكة "يوروكوم ورلد وايد" في منطقة الشرق الأوسط، إلى أنّ إجمالي عدد مستخدمي " لينكد إن" بلغ 2.7 مليون، مقابل 21.4 مليون مستخدم لموقع "فايسبوك" في الدول التي شملها البحث، وهي مصر والكويت وقطر والبحرين ودولة الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية. وفي العالم العربي يستخدم ما يزيد على 4 ملايين شخص شبكة لينكد إن".[2]

ورغم تفوق مواقع التواصل الاجتماعي الأخرى عن موقع لينكد إن من حيث الاستخدام في العالم العربي، إلا أنه يعرف تزايدا في عدد المستخدمين خاصة بعد أن أعلنت منصة لينكد إن عن إطلاق خدماتها باللغة العربية، "إذ يشير تقرير الإعلام الاجتماعي العربي ارتفاع معدلات استخدام لينكدن في المنطقة العربية (البحرين، مصر، الأردن، الكويت، لبنان، عمان، المغرب والجزائر) من 3.5 مليون في 2 فيفيري 2012 إلى ما يقارب 4.5 مليون في 26 جوان 2012. ويتفاوت انتشار" لينكد إن" بين هذه الدول، حيث يمثل في الجزائر 0.9 كنسبة من عدد السكان في جوان 2012، حيث يطغى مستخدمو" لينكد إن" الشباب في الجزائر، وتمثل فئة الشباب الذين تتراوح أعمارهم ما بين 25-34 عاما ثلثي هؤلاء الشباب، وأغلبهم من الذكور. كما يأتي موقع لينكد إن بعد الفايسبوك من حيث الانتشار في الجزائر بفارق كبير يليهما التويتر، ما يشير إلى أن البحث عن عمل وخدمات التواصل المهنية التي يقدمها لينكدن مرغوبة أكثر من الاستخدامات الإعلامية والاجتماعية والسياسية للإعلام الاجتماعي التي يقدمها تويتر".[3]

ومنذ أيار/مايو 2013 حتى أيار/مايو 2014، ارتفع عدد مستخدمي موقع "لينكدإن" (LinkedIn) للتواصل بين المهنيين بنسبة 79%... حيث يمثل البحث عن وظيفة مناسبة وتحديد المسار المهني أحد أبرز شواغل الشباب في بداية حياتهم العملية، وربما كان هذا هو السبب في أن أغلب مستخدمي موقع "لينكد إن" للتواصل بين المهنيين ينتمون إلى الشباب (68%) الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و34 عاما، وهي تقارب نسبتهم

---

[1]. تقرير الإعلام الاجتماعي العربي، كلية دبي للإدارة الحكومية، ماي 2013، في: www.arabsocialmediareport.com/UserManagement، بتاريخ: 2015/6/4.

[2]. صراع شبكات التواصل الإجتماعي في المنطقة، ، 6 أوت 2012، في: http://alhayat.com/Details، بتاريخ: 2015/6/7.

[3]. تقرير الإعلام الاجتماعي العربي، المرجع السابق.

على الفيسبوك. ويبلغ عدد مستخدمي "لينكد إن" حوالي 8.5 مليون مستخدم. ويمثل الشبان 45% من المستخدمين في كل من قطر والكويت وهي أعلى نسبة على مستوى العالم العربي في حين تقل النسبة في المغرب إلى 16%، كما تقل نسبة التوازن بين الجنسين على موقع لينكد إن عن المتوسط العالمي، إذ تمثل الإناث 29% من مستخدمي لينكد إن في العالم العربي بالمقارنة مع 44% على المستوى العالمي، وبقي لبنان صاحب أفضل توازن بين الجنسين في العالم العربي (44% للإناث) يليه تونس والمغرب والجزائر[1].

كما أظهر تقرير نشره موقع "كوم سكور" (ComScore) كان ثلثا زوار شبكة التواصل الاجتماعي الخاصة بالأعمال " لينكد إن" ممن تزيد أعمارهم عن الـ 35 عاما، هذا وتفوق "فيسبوك" على غيره عندما يزيد عمر المستخدم عن الـ 44 عاما.[2]

5- موقع ماي سبيس " My Space":

يعد موقع ماي سبيس "My Space" من أهم المواقع الاجتماعية، الذي يعمل على إبقاء التواصل بين المستخدمين من ذوي الاهتمامات والأنشطة المشتركة، كما يساهم الموقع في خلق نوع من الحوار والتواصل المستمر بين المستخدمين وأصدقائهم، من خلال كتابة التعليقات "Comments" في الصفحات الشخصية لهم.

ويقدم ماي سبيس كأكبر موقع للتشبيك الاجتماعي للأصدقاء، أركان خاصة لتقديم لمحات عن حياتهم الشخصية ومدوناتهم ومجموعاتهم وصورهم وموسيقاهم، وتحميل صور ومقاطع الفيديو، ويمكن استقبال خدمات الموقع على الهاتف المحمول، كما يحتوي الموقع على آلية بحث خاصة ونظام بريد إلكتروني داخلي.[3]

أشارت دراسة عملية إلى أن موقع التواصل الاجتماعي ماي سبيس الذي تأسس عام 2003 بلغ ذروة نجاحه في 2008 عندما بلغ عدد المستخدمين الذين يزورونه شهريا إلى 75.9 مليون مستخدم، وبحلول 2011 تراجع الموقع من حيث الانتشار، وكانت شركة نيوز كورب الإعلامية قد اشترته أثناء مرحلة النمو السريع عام 2005 مقابل 580 مليون دولار ثم باعته بعد ذلك بست سنوات مقابل 35 مليون دولار فقط.[4] ويرجع ذلك إلى استقطاب موقع فيسبوك للمستخدمين بشكل كبير جدا، وتفوقه بشكل واضح على مواقع التواصل الاجتماعي الأخرى، والتي من بينها موقع ماي سبيس.

---

[1]. عماد سعد: شبكة التواصل العربية يسكنها نحو 100 مليون.. وفي ازدياد، مجلة الإنساني، تصدر عن اللجنة الدولية للصليب الأحمر، ع58، شتاء 2015، في: https://www.icrc.org/ar/download/file/.../insany، بتاريخ: 2015/6/8.

[2]. تقرير: مستخدمو "فيسبوك" أكبر عمرا من مستخدمي "تويتر" و "لينكد إن"، البوابة العربية للأخبار التقنية، http://aitnews.com/2013/12/08، بتاريخ: 2015/6/6.

[3]. عباس مصطفى صادق: الانترنت والبحث العلمي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، ط1، 2007، ص:218.

[4]. ينتظر مصير "ماي سبيس".. دراسة تتوقع فقدان موقع فيس بوك 80% من مستخدميه خلال 3 سنوات، الأهرام، 26 جانفي 2014، في: http://gate.ahram.org.eg/News/448388.aspx، بتاريخ: 2015/6/8.

حيث كان ماي سبيس واحدا من أكثر المواقع الاجتماعية شعبية على الإنترنت، واحتل صدارة المواقع الأكثر شعبية في الولايات المتحدة في جوان 2006 وحتى عام 2008 ، وكان يقدر عدد مستخدمي ماي سبيس بأكثر من 100 مليون مستخدم معظمهم من أمريكا و أوروبا[1].

وقد أشارت إحصائية صادرة عن إحدى مؤسسات الأبحاث التسويقية، عن وصول أعداد مستخدمي شبكة التواصل الاجتماعي "Myspace" النشطين إلى 50.6 مليون مستخدم عالميا، بنهاية شهر فبراير 2015 .ويقدم موقع ماي سبيس خدمات الشبكات الاجتماعية على شبكة الانترنت بطريقة تفاعلية بين الأصدقاء المسجلين في الخدمة، بالإضافة إلى خدمات أخرى كالمدونات ونشر الصور والموسيقى ومقاطع الفيديو والمجموعات البريدية وملفات المواصفات الشخصية للأعضاء المسجلين. كما أشارت الدراسة إلى أن عدد زوار الشبكة الاجتماعية شهريا يقدر بـ 32.2 مليون مستخدم، وحقق الموقع إيرادات قدرها 119 مليون دولار خلال عام 2014. وأكدت الدراسة على أن عدد مشاهدات الفيديو على الشبكة شهريا بلغت 300 مليون مشاهدة.[2]

6- موقع فليكر "Flickr":

يعتبر موقع فليكر "Flickr" من أهم المواقع الاجتماعية، الذي يسمح بتبادل الصور الشخصية بين الأصدقاء، ومن طرف الهواة الذين يرغبون في نقل الصور التي قاموا بالتقاطها، وكذا تنظيمها في مجموعات شخصية أو عامة تشترك في صفات معينة، مما يجعله المخزن الأول للصور في شبكة الانترنت وفق وصف العديد من المواقع التقنية، كما يسمح الموقع أيضا بتبادل مقاطع الفيديو على الانترنت.

ويوفر موقع فليكر "Flickr" خدمة حفظ الصور للزائرين بشكل عام، إذ بإمكان أي متصفح للموقع مشاهدة هذه الصور، كما يمكن لمحمل الصور أن يجعلها خاصة، فلا تتوفر إلا لصاحب الحساب أو للأشخاص المسموح لهم بمشاهدتها فقط، كما يمكن للمستخدم إذا شاء مشاركة الصور الخاصة في المجموعات العامة.[3]

وتجدر الإشارة إلى أن الخصائص التكنولوجية لغالبية مواقع الشبكات الاجتماعية متشابهة إلا أن الثقافات التي تنبع من هذه المواقع وأهدافها متعددة ومتنوعة. فهي إما موجهة في سياقات عمل مثل موقع لينكدإن " Linkedin"، أو إقامة علاقات عاطفية مثل موقع فرندستر "Friendster"، أو إبقاء تواصل بين المستخدمين من ذوي الاهتمامات والأنشطة المشتركة مثل ماي سبيس " My Space".

وقد بدأت الكثير من مواقع الشبكات الاجتماعية الجديدة في الظهور منذ عام 2003، التي أخذت الغالبية منها شكل الصفحات الشخصية، مخاطبة نوعيات محددة من الجمهور، مثل المواقع المهنية التي خاطبت رجال الأعمال (Linked In, Xing, Visible path)، والمواقع التي تربط المستخدمين وجدانيا بالأشياء والاهتمامات المحببة لديهم مثل موقع دوجستر "Dogster"، وموقع كير "Care2" الذي يسهل من تواصل النشطاء

---

[1]. http://www.gazire.com/cms/news-action-show-id-6564.htm، بتاريخ 2015/6/8.

[2]. سارة عبد الحميد: 50.6 مليون مستخدم لشبكة "Myspace" الاجتماعية، جريدة المال، 23 مارس 2015، في:http://www.almalnews.com/Pages/StoryDetails.aspx، بتاريخ: 2015/6/9.

[3] نفس المرجع، ص: 216.

مع بعضهم البعض، وموقع كوتشسيرفنج "Couchsurfing" الذي يقوم بعمل صلات اجتماعية بين محبي الرحلات حول العالم، وموقع ماي شيرش "Mychurch" لربط الكنائس المسيحية بأبنائها. كما تخاطب كثير من تلك المواقع مناطق جغرافية محددة أو جماعات تتحدث لغة بعينها، فعلى سبيل المثال بدأ موقع أوركات "Orkut" في الولايات المتحدة الأمريكية باللغة الإنجليزية، ولكنه أصبح بعد ذلك من المواقع التي يستخدمها البرازيليون الناطقون باللغة البرتغالية، وهناك مواقع صممت من أجل فئات عرقية وسياسية ودينية وهويات بعينها.[1]

وحسب الإحصائيات بلغ عدد المستخدمين المشتركين في موقع فليكر Flikr **عام 2011** ما يقارب 51 **مليون مستخدم**، وهو أكبر موقع لمشاركة الصور وعرضها في الانترنت. [2] **كما ارتفع العدد إلى 92 مليون** مستخدم عام 2013.[3]

وقد أشارت إحصائيات حديثة إلى أن "فليكر"يستضيف أكثر من 5 مليارات صورة ويتم رفع 3500 صورة كل ثانية، وهو أحد الخدمات التابعة لشركة ياهو.[4]

المجتمعات الافتراضية والعلاقات الاجتماعية:

أحدثت تكنولوجيا الانترنت تغييرات وتحولات هامة في مختلف المجالات، خاصة الاجتماعية منها، لأنها ظهرت وفقا للاحتياجات الأساسية للمجتمع، وتلبية لرغبات مستخدميها، مما أدى إلى ظهور مفهوم المجتمع الافتراضي كأهم المفاهيم المجتمعية الجديدة التي أفرزتها هذه التكنولوجيا، الذي استطاع أن يدمج الفرد فيه بقوة، خاصة مع تطور مواقع الشبكات الاجتماعية، ليشير بذلك إلى العلاقات الاجتماعية المتفاعلة مثله مثل المجتمع الفعلي، إلا أن هذا الأخير يختلف عنه في كون التفاعلات الاجتماعية فيه تحدث بين أفراد تجمعهم بعض الروابط المشتركة، ويجمعهم المكان والزمان، لأنه يعتمد أساسا على المشاركة الفيزيقية الحيوية.

فالجماعات الافتراضية تشتمل على شبكة من الاتصالات الشخصية، التي تتم في أجواء افتراضية في مواقع الشبكات الاجتماعية على الخصوص، بين مجموعة من الأفراد من ذوي الاهتمامات والممارسات المشتركة، بحيث أصبحت قريبة الشبه بالجماعات الحقيقية من حيث التفاعلات الاجتماعية والروابط المشتركة، التي لا تعتمد على جغرافيا المكان.

---

[1] . Danah M.Boyd, Nicole B.Ellison: p :216.

[2]. إحصائية الانترنت والشبكات الاجتماعية لسنة 2011، موقع ثورة الوب، 19 جانفي 2012، في: http://thawratalweb.com/web/199، بتاريخ: 9 جوان 2015.

[3]. أمل الذهبي: عدد مستخدمي شبكات التواصل الإجتماعي حسب أخر الإحصائيات، 2014/12/24، أخبار التقنية، في: http://www.akhbar-tech.com/9044/Social-Media-Active-Users، 10 جوان 2015.

[4]. ياهو تتيح صور فليكر ضمن نتائج محرك بحثها، الشروق أون لاين، عدد 12 جانفي 2013، في: http://www.echoroukonline.com/ara/articles/153766.html، بتاريخ: 10 جوان 2015.

وبذلك تعتبر الجماعات الافتراضية شكلا من أشكال الحياة الاجتماعية الجديدة، التي يراها البعض في واقع الأمر نقلا دقيقا للجماعات المادية من الواقع إلى شبكة الانترنت، على الرغم من اعتمادها بقوة على تكنولوجيا الاتصال والمسافات البعيدة بين المشاركين فيها.[1]

وتنقسم الجماعات الافتراضية عموما إلى أربعة أنواع رئيسية تلبي كل منها احتياجات المستخدمين، هي:[2]

- الاهتمامات: ترتكز هذه الجماعات على الأفراد من ذوي الاهتمامات والخبرات والعواطف المشتركة في مجالات واسعة.

- بناء العلاقات: يتضح العنصر الشخصي والاجتماعي في هذه النوعية من الجماعات، والتي يشكلها أفراد في حاجة إلى تبادل خبرات الحياة الخاصة مع آخرين يواجهون نفس التحديات.

- الصفقات: وفيها يتبادل المستخدمون البيانات والمعلومات بغرض تسهيل المعاملات الاقتصادية فيما بينهم.

- الخيال: تمد الجماعات الافتراضية الأفراد بفرصة مهمة لاستكشاف هوايات جديدة في عالم تخيلي، ومن ثم فإن المنافع الأساسية للجماعات الافتراضية كثيرة، تبدأ من تدعيم والحفاظ على التجمعات الموجودة أساسا في الواقع لتصل إلى تشكيل جماعات جديدة في شبكة الانترنت بهدف الترفيه وقضاء وقت الفراغ.

وقد أثر تطور الجيل الثاني للإنترنت على بنية المجتمعات المعاصرة، وأنماط الاتصال السائدة فيها، من خلال المساهمة في خلق فضاءات اجتماعية جديدة للتواصل رغم البعد الجغرافي من جهة، ومن جهة أخرى ساهمت في هدم العلاقات الاجتماعية التقليدية القائمة على التواصل الفيزيقي بين الأفراد. ومن هذا المنطلق يمكن النظر للعلاقات الافتراضية في علاقتها بالعلاقات الاجتماعية التقليدية إلى أن من شأنها تعزيزها والحفاظ عليها، كما أن الإعتماد الكبير عليها له آثارا سلبية خطيرة على العلاقات التقليدية.

- الشبكات الاجتماعية: أداة لتحقيق التواصل الاجتماعي

استطاعت مواقع الشبكات الاجتماعية أن تتيح التفاعل بين مختلف مكونات المجتمع، من خلال خصائصها المتنوعة والقادرة على تلبية الاحتياجات المختلفة للمستخدمين، "حيث يقتضي التحليل الموضوعي القول بأن العلاقات الاجتماعية على الانترنت، أو استخدام الخدمات الإلكترونية للتواصل مع الآخرين، والتفاعل معهم حول الاهتمامات أو النشاطات المشتركة في ظل عالم افتراضي، يمكنه أن يقدم وسيلة ممتازة

[1] . Farhad Daneshgar, Sharon Ho: Sociological factors affecting trust development in virtual communities, International Journal of Networking and Virtual Organisation, Vol.5, No.1, 2008, p:52.

[2] . Frank T.Rothaermel, Stephen Sugiyama : Virtual Internet communities and commercial success (Individual and community-level Theory ground in the atypical case of time zone.com), Journal of Management, Vol.27, No.3, June 2001, p:298.

لمتابعة الهوايات، وتأسيس الصداقات الجديدة، وتعزيز القديمة أيضا، وممارسة الألعاب، والتشارك بالأفكار".[1]

وقد أصبحت الشبكات الاجتماعية منبرا هاما لتبادل وجهات النظر وإجراء المناقشات الحرة في شتى المواضيع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية بين مختلف الأجناس، ما جعلها قادرة على توطيد العلاقات بين الشعوب، وتحقيق الانسجام الاجتماعي، وتوسيع المحيط الاجتماعي في المجتمعات المتميزة بقلة التفاعل بينها والنزعة الفردية، وهي بهذا تعوض البعد الاجتماعي الغائب في الواقع. كما أن التواصل من خلالها مع أشخاص مثقفين ومن بيئات مختلفة يساهم في تعميق مفهوم المشاركة والحوار مع الآخرين وتعلم أساليب التواصل الفعال، إضافة إلى التحفيز على التفكير الإبداعي وبأنماط وطرق مختلفة.

1- **الحفاظ على العلاقات الاجتماعية**:

إن التفاعل الاجتماعي مع الأهل والأصدقاء هو من أهم الخبرات في حياة الأفراد، لأن ذلك يساعدهم على إشباع حاجتهم إلى الانتماء وشعورهم بالقرب النفسي والاجتماعي وإدراك الدعم الاجتماعي.

وتعتبر شبكة الانترنت وسيلة هامة تعمل من خلال مواقع الشبكات الاجتماعية على إبقاء التواصل بين الفرد والأفراد البيئة المحيطة به، فمن يمتلكون شبكات من العلاقات الاجتماعية الجيدة يستخدمون البريد الإلكتروني والمراسلة الفورية لتدعيم والحفاظ على تلك العلاقات، ويرى الباحثون أن التواصل من خلال شبكة الانترنت يؤدي إلى تحسين وزيادة العلاقات الاجتماعية، وذلك بتحرير الأشخاص من المكان المتواجدين فيه إلى أفاق أوسع في فضاء الانترنت.[2]

وقد كشفت نتائج دراسة كوتن "Cotten" وآخرون أن طلاب الجامعة يستخدمون شبكة الانترنت للاتصال بروابطهم الاجتماعية كالأهل والأصدقاء الذين يعيشون بعيدا عنهم، كما أن استخدام الشبكة لأغراض الاتصال يرتبط إيجابا بإدراك الشباب للدعم الاجتماعي من الأهل والأصدقاء. كما وضع كاتز "Katz" وأسبدن "Aspden" فرض الوفرة الاجتماعية "Social Augmentation" ومفاده أن التواصل عبر الشبكة يزود المستخدمين بمنفذ جديد للتفاعل الاجتماعي مع الأهل والأصدقاء، الذي يحسن من حياتهم بشكل أو بآخر.[3] حيث أن المجتمع الافتراضي كشبكة من العلاقات الشخصية يقدم المؤانسة والدعم والشعور بالانتماء الاجتماعي، ويحقق للأشخاص فرصة مشاركة حياتهم الخاصة مع الآخرين، خاصة أن البعد الجغرافي ضمن هذا المجتمع الرقمي الافتراضي، لم يعد يمثل عائقا أمام الحفاظ على العلاقات الاجتماعية وتقويتها، كما أن مواقع الشبكات الاجتماعية تساهم في دعم العلاقات الاجتماعية القديمة والقائمة، لأنها تجمع ذوي

[1]. إبراهيم إسماعيل عبده: العلاقات الاجتماعية عبر الانترنت (دراسة في الفرص الكامنة والمخاطر المستترة)، مركز أسبار للدراسات والبحوث والإعلام، ديسمبر 2009، في: www.asbar.com/ar/monthly-issues، في: 2014/11/13.

[2]. Elisheva F. Gross, Jaana Juvonen, Shelly L. Gable: Internet use and well-being in adolescence, Journal of Social Issues, Vol.58, No.1, Spring 2002, pp:75-90.

[3]. Shelia Cotton, Beth Davison, Heather Hax: Internet communication and changes in contact with others, paper presented the American sociological association annual meetings, Chicago, August 2002, pp: 81-82.

الاهتمامات المشتركة وتحقق لهم المنفعة الاجتماعية التي تجعلهم مرتبطين ببعضم البعض في جميع أنحاء العالم.

2- بناء علاقات اجتماعية جديدة:

استطاعت الانترنت من خلال قدرتها على تجاوز الحدود الجغرافية والثقافية، أن تخلق حوارا وتفاعلا وتواصلا بين أفراد مختلفين في الآراء والانتماء الجغرافي والهوية الثقافية، وأن تحسن من قدرات الأفراد على تكوين علاقات اجتماعية جديدة مع مستخدمي الشبكة، التي تتطور في أحيان كثيرة إلى مقابلتهم شخصيا وإقامة علاقات دائمة معهم.

وتعتبر مواقع الشبكات الاجتماعية قاعدة أساسية لتكوين علاقات جديدة بسبب الاهتمامات المشتركة بين المستخدمين، التي تساهم في انجذاب المستخدمين لبعضهم البعض، ففي ظل التطورات التكنولوجية الهامة في مجال الإعلام والاتصال، أصبح من السهل على المستخدمين توسيع شبكاتهم الاجتماعية، وإنشاء جماعات افتراضية تربطهم علاقات مهمة ومقربة منهم، خاصة وأن استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية وممارسة الأنشطة فيها في تزايد مستمر، ما يؤدي إلى تشكيل حياة افتراضية نشطة فعالة لدى المستخدمين في شبكة الانترنت.

كما أن قدرة الشبكة على إخفاء الملامح الاجتماعية للأفراد، والتي قد تقف حائلا دون إقامة علاقات في الواقع تساعد مستخدمها في التواصل الاجتماعي، خاصة الذين يعانون من الإعاقات الجسدية والعيوب الخلقية المختلفة، وبعض سمات الشخصية السلبية كالخجل أو القلق الاجتماعي، وتجعلهم يتفاعلون بدرجة أكبر مع الآخرين في البيئة الافتراضية، دون الدخول في أي نوع من التصادمات بسبب هذه السمات التي قد تمنع في أحيان كثيرة من بناء علاقات صحية في الواقع، حيث يشير بعض الباحثين إلى أن الأشخاص الأكثر قدرة على التعبير عن أنفسهم وعلى بناء علاقات اجتماعية مقربة من خلال الانترنت أكثر مما يتيحه لهم الواقع، هم الأشخاص الذين يحسون بقلق اجتماعي من خلال تواصلهم وجها لوجه، والأشخاص الذين يشعرون بالوحدة، وهؤلاء الأشخاص بإمكانهم تطوير علاقاتهم عبر الانترنت بسرعة كبيرة، ويمكن لهذه العلاقات أن تتحول إلى علاقات اجتماعية حقيقية يكون التفاعل فيها وجها لوجه.[1]

ومن هذا المنطلق وضع ميكنا "Mickenna" وبارج "Bargh" فرض التعويض الاجتماعي " Social compensation hypothesis"، الذي يرى أن الأفراد الذين ليست لديهم أي علاقات اجتماعية في الحياة، يتجهون إلى الانترنت ليقيموا علاقات اجتماعية مع مستخدمين جدد تعوض غياب الصداقات في الواقع، ومن ثم تعطيهم الفرصة للتفاعل مع الآخرين والتعبير عن أنفسهم بشكل واضح.[2]

ورغم دور مواقع الشبكات الاجتماعية عبر الانترنت في توفير وسائل وتقنيات وظروف تسهل عملية الاتصال، متجاوزة الحدود الجغرافية والزمنية، لتجعل العلاقات الافتراضية مكملة للعلاقات التقليدية، إلا

[1] . Katlyn Y.A Mackenna: relationship formation on the internet (what's the big attraction), Journal of social issues, Vol 58, No.1, pp: 9-30.

[2]. K.Y.A Mckenna, J. Bargh: Coming out in the age of the internet, (Identity demarginqlizqtion through virtual group pqrticipation) Journal of personality and Social Psychology, Vol.75, No.3, September 1998, pp: 681-694.

أن الانتشار الواسع للعلاقات الافتراضية وارتباط الفرد بالفضاء السيبيري، قد يجر على الفرد والمجتمع الكثير من الآثار السلبية التي يجب أخذ الحيطة والحذر منها.

الشبكات الاجتماعية : خطر يهدد منظومة العلاقات الاجتماعية.

أمام التزايد المستمر لاستخدام مواقع الشبكات الاجتماعية على الانترنت أصبح الأفراد يميلون إلى قضاء وقتهم في عالم يوازي عالمهم الفيزيائي، الأمر الذي دفعهم إلى الانقطاع عن العديد من النشاطات الاجتماعية، والتقليل من العلاقات الاجتماعية التقليدية، والاستئناس أكثر بالعلاقات الافتراضية، التي تتميز بتشكيل جماعات مختلفة، لكل واحدة منها اهتماماتها الخاصة ومميزاتها، التي تشبه إلى حد بعيد الجماعات الحقيقية في حياتنا الواقعية، بسبب ديناميكيتها من حيث تكوين عدد أعضائها وتغيره، إلا أنها قادرة بشكل غير مسبوق على تكوين الأبعاد الفيزيائية والاجتماعية للواقع الافتراضي، وتكوين الهويات الإلكترونية الافتراضية، كما يريدها ويتصورها الفرد، فهي تقوم من خلال وسيط تقني قادر على الإخفاء، وإسقاط إمكانية التفاعل المواجهي المباشر، ولذلك فهي بالنسبة له فضاء مناسب للهروب من المعضلات التي قد تواجهه في الواقع الحقيقي.

فهذه البيئة الاتصالية الجديدة غيرت من نمط التواصل في المجتمع، الذي لم يعد قائما على الحضور الفيزيائي، والقرب الجغرافي، والتوافق الزمني، والتماثل الثقافي، وهذا ما من شأنه أن يؤثر سلبا على الروابط الاجتماعية بين الأفراد، خاصة أنها تقدم المؤانسة والدعم، والشعور بالانتماء والهوية الاجتماعية.

1- العزلة الاجتماعية والانفصال عن الواقع:

يقوم استعمال الانترنت على طابع الفردية، حيث بدلا من أن يقوم الفرد بنشاطاته اليومية كالتسوق ومشاهدة البرامج الترفيهية مع أسرته وأصدقائه، أصبح يقوم بها بمفرده على شبكة الانترنت.

لذلك فإن ظهور وانتشار الشبكات الاجتماعية قد أفرز العديد من المشكلات الاجتماعية، فنجد "فيليب بروتون" يطلق مصطلح "الثمالة الاتصالية" (L'iverse de communication) على الاستعمال المفرط لهذه الشبكات، ويؤكد على المخاطر المحتملة والجسيمة على التفاعل الإنساني، التي تقود الأفراد إلى العزلة النفسية والاجتماعية عن محيطهم بفعل الاستخدام المفرط، كما يؤكد "دومينيك نورا" (Dominique Nora) أن هذه الوسائط الاتصالية قد رسمت مجالا علاقاتي جديد، مبني على الاتصال عن طريق الحواسيب والشبكات، عوض الالتقاء بصورة جسمانية-فيزيقية، فأصبح الأفراد افتراضيين، وكائنات حوارية كتابية، وهذا النمط الجديد من الاتصال أثر على عملية التفاعل الفردي والجماعي داخل المحيط الأسري، وداخل المحيط الاجتماعي للمجتمع الأكبر، فأصبح الفرد حبيس غرفته، يتواصل مع ملايين من أقرانه حبيسي الغرف أيضا.[1] ويخشى كثير من الباحثين أن تؤدي الانترنت إلى غياب التفاعل الاجتماعي ونشوء أجيال لا تجيد التعامل إلا مع الحاسب الآلي، فدراسة كريستو فرساندريز التي نشرت في صيف 2002 حول تأثير الانترنت على

---

[1]. مريم مراكشي: استخدام شبكات التواصل الاجتماعي وعلاقته بالشعور بالوحدة النفسية لدى الطلبة الجامعيين – فايسبوك نموذجا (دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة بسكرة، رسالة ماجستير غير منشورة في علم النفس الاجتماعي، جامعة محمد خيضر- بسكرة، إشراف: نصر الدين جابر، 2014/2013، ص:23. (pdf)

انتشار مشاعر الاكتئاب والعزلة الاجتماعية وجدت علاقة قوية بين استعمال الانترنت ومشاعر العزلة الاجتماعية والاكتئاب بين الطلبة في المدارس الأمريكية.[1]

فالاستخدام الكبير لمواقع الشبكات الاجتماعية يمكنه التأثير سلبيا في الروابط الاجتماعية للأفراد، إذ يؤدي ذلك إلى عزلتهم الاجتماعية، والانخفاض الملحوظ في المشاركة المجتمعية مع الأهل والأصدقاء والأقارب، حيث ترى بعض الاتجاهات البحثية أن التفاعل الافتراضي المتزايد على شبكة الانترنت يقلل من تفاعلات الاتصال الشخصي بين الأفراد ويسبب العزلة الاجتماعية والإحباط، والقلق النفسي والتوتر. ويؤكد فرض الإحلال الاجتماعي "Social Displacement Hypothesis" على ذلك، فاتصال الأفراد وتفاعلهم الاجتماعي مع مستخدمي شبكة الانترنت يحل محل التفاعلات الاجتماعية مع الأصدقاء والأهل في الواقع، فقد توصلت نتائج دراسة كروت "Kraut" وآخرون أن الذين استخدموا شبكة الانترنت لمدة عام كامل قضوا وقتا أقل مع أسرهم، كما تقلصت علاقاتهم الاجتماعية، وارتفعت معدلات الوحدة والإحباط لديهم.[2]

كما أنه حاليا نجد الأسر في الغالب ذات نواة واحدة أي بمعنى أبوان وأطفال، حيث أصبح لكل فرد في الأسرة وسائله المنفصلة للوصول إلى مصادره الاتصالية الخاصة.[3] وهنا تكمن الخطورة خاصة عند الأفراد الذين يعانون من الفراغ العاطفي والوجداني، والذين يلجئون إلى التواصل من خلال مواقع الشبكات الاجتماعية حيث يغيب الضبط الأسري، لتكوين علاقات اجتماعية سرية، مأمونة العواقب في ظاهرها، إلا أنها تهدد بشكل كبير حياتهم الاجتماعية، كما يؤثر ذلك على الاتصال داخل الأسرة، حين يصبح أعضاء الأسرة يتفاعلون مع الكمبيوتر بدلا من تفاعلهم مع بعضهم البعض.

حيث يشير البعض إلى أن غياب الصوت البشري في الاتصال عبر الانترنت يقلل من درجة التفاعل، لأن للصوت البشري مهمة أساسية في نقل المشاعر والأحاسيس والانفعالات، ولذلك يطلقون على الاتصال عبر الانترنت اسم الاتصال البارد... إضافة إلى أن استخدام الأفراد للإنترنت للتحدث مع الأصدقاء المقربين وأفراد العائلة، يعني أن هذه المحادثات سوف تحل محل الاتصال وجها لوجه تدريجيا، مما يؤدي إلى تقليل الروابط الاجتماعية بين الأفراد.[4]

ونتيجة لقضاء المزيد من الوقت في استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية، خاصة إذا كان هناك عدم تنظيم في الاستخدام، فإن ذلك سيؤدي إلى عزل الأفراد اجتماعيا ، وتفكيك العلاقات بين الأفراد في المجتمع، "وهذا ما تأكده دراسة مريم مراكشي حول استخدام شبكات التواصل الاجتماعي وعلاقته بالشعور بالوحدة النفسية لدى الطلبة الجامعيين، التي توصلت إلى أن الاستخدام المتزايد لمواقع التواصل الاجتماعي يؤثر بشكل

---

[1]. حسين شفيق: سيكولوجية الإعلام دار فكر وفن للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة 2008، ص:250.

[2] . Robert Kraut, Michael Patterson, Vicki Lundmark, Sara Kiesler, Tridas Mukopadhyay, William Scherlis: Internet paradox A social technology that reduces social involvement and psychological well- Beeing?, American psychologist, Vol.53, No.9, September 1998, pp: 1017-1031.

[3]. شريف درويش اللبان: تكنولوجيا الاتصال (المخاطر والتحديات والتأثيرات الاجتماعية)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2000، ص: 195.

[4]. مريم مراكشي: مرجع سابق، ص ص: 78-79.

كبير على مستوى الاتصال والمشاركة مع أفراد الأسرة داخل المنزل، ويقلل من مقدار التواصل الاجتماعي في المحيط الذي ينتمي له المستخدمون، ما يؤدي إلى شعورهم بالوحدة النفسية، وبالتالي فإن الانسحاب من التفاعل الاجتماعي وقلة المشاركة في الحياة الاجتماعية الواقعية جراء الاستغراق في استخدام موقع الفايسبوك، وقضاء الساعات الطوال في تصفح ما يعرض وسيطرة التفاعلات الافتراضية على حساب التفاعلات الواقعية يؤدي إلى معاناة الفرد من الوحدة النفسية.[1]

كما يشير بعض الباحثين إلى أن فضاء الأفراد وقتا طويلا في التواصل عبر الانترنت بدرجة كبيرة، بما ينطوي عليه ذلك في كثير من الأحيان من حاجة إلى العزلة عن الآخرين خلال فترة الاستخدام، يؤدي إلى إشاعة حالة من العزلة الاجتماعية، وبالتالي إيجاد نوع من التفكك الاجتماعي خاصة في ظل انتشار أنماط جديدة من القيم والسلوكيات المستحدثة في المجتمع العربي كله. كما يشير المتخصصون في هذا الصدد إلى ما بات يطلق عليه انطوائية الكمبيوتر"Computer Phyliac" وتوجد هذه الحالة عندما يستمر الشخص في الجلوس أمام الحاسوب ساعات طويلة كل يوم بشكل يشبه الإدمان، وقد توجد هذه الحال لدى الأفراد الانعزاليين ذوي الشخصيات الانطوائية أو الأشخاص الذين يرغبون في الهروب من ظروفهم ومشكلاتهم الحياتية فيلجأون إلى الحاسوب ليفرغوا فيه طاقتهم وهمومهم، فضلا عن الإجهاد والتوتر النفسي الذي ينتج من استخدام الحاسوب لفترات طويلة.[2]

2- **إضعاف مهارات التواصل**:

تعتبر من أهم المخاطر التي يمكن أن تنجم عن استخدام الشبكات الاجتماعية، خصوصا فئة الشباب، فقضاء وقت طويل أمام شاشة الكمبيوتر في تصفح هذا الموقع يؤدي إلى عزلهم اجتماعيا، ما يغيب مشاركتهم في الفعاليات التي يقوم بها المجتمع، وبالتالي إضعاف مهارات التواصل لديهم، التي تساعدهم في مجالات الاتصال الإنساني، وتنمي لديهم الإحساس بالمسؤولية تجاه الغير، وتقوي لديهم سرعة البديهة، التي تمكنهم من التعامل مع مختلف المواقف، خاصة إذا كان استخدام الشبكات الاجتماعية يتم في التعليق على صور الأصدقاء، أو التنقل من ملف لآخر دون فائدة أو منفعة متوقعة، فتكون مجرد مضيعة للوقت، على حساب تعلم أساليب التواصل الفعال.

3- **الشعور بالوحدة النفسية:**

يؤدي التغير الحاصل في طريقة التواصل إلى مشكلات نفسية تضر بالفرد والمجتمع، كالشعور بالوحدة النفسية نتيجة وجود خلل في علاقات الفرد الاجتماعية بطريقة كمية أو كيفية، ومنه فإن الانغماس في تكوين العلاقات الافتراضية على حساب العلاقات الاجتماعية الحقيقية، قد يضعف الروابط الاجتماعية، ويخلق فجوة نفسية وتباعد عاطفي بينه وبين الآخرين من المحيط الاجتماعي، وفقدان التقبل والحب من جانبهم، ويترتب عن ذلك حرمانه من الانخراط مع أفراد المجتمع الذي يعيش فيه، والذي من خلاله يمارس دوره بشكل طبيعي، وكذا عرقلة اندماجه في الأنشطة الاجتماعية المختلفة المتيحة للتواصل والتفاعل مع الآخرين، فيكون هناك فقدان للصلة الملموسة بالواقع الفعلي، حيث أن الاستخدام المفرط لمواقع الشبكات

---

[1]. نفس المرجع، ص:184.

[2]. إبراهيم إسماعيل عبده: مرجع سابق.

الاجتماعية، يتحول إلى عادة جديدة تفرض نفسها في قائمة الممارسات القائمة مسبقا، وربما مقاومة الممارسات الأخرى ومنافستها.[1]

وفي هذا الصدد يشير الباحث "إبراهيم بعزيز" إلى أن الاستخدام المتزايد لمنتديات المحادثة الإلكترونية كوسيلة للاتصال يزيد من انطواء المستخدمين بها، وانعزالهم عن المحيط الاجتماعي، وبالتالي يزيد شعورهم بالوحدة النفسية أكثر، فالمدردشون يندمجون بصفة شبه كلية في الجماعات الافتراضية، ويرتبطون بشدة بأفرادها، لدرجة تجعلهم يستغنون عن الكثير من الأنشطة والأعمال التي كانوا يقومون بها، ومع مرور الوقت يحس المدردش وكأنه لا ينتمي إلى هذا المحيط، وبأنه منعزل عن غيره.[2]

4- الإدمان والاغتراب الاجتماعي:

تتميز مواقع التواصل الاجتماعي بإغراء وجذب الشباب بشكل كبير، وهذا ما يؤدي بهم إلى الإدمان عليها، والتعلق والارتباط بها، واستخدامها لفترات طويلة، ما يؤثر سلبا على الفرد والمجتمع، من خلال هدر الطاقات وفقدان الإحساس بقيمة الوقت، خصوصا لدى الأفراد الذين يبحثون عن التسلية وملأ أوقات الفراغ، للتخلص من الإحباط والملل، وكذا الانشغال عن أمور أساسية في الحياة مثل الجلوس مع أفراد العائلة وممارسة الأنشطة الاجتماعية المختلفة، والاغتراب عن المحيط الاجتماعي، ما يفرز سلوكيات عديدة كاللامبالاة وعدم تحمل المسؤوليات والهروب من المشاكل وعدم مواجهتها.

"حيث تؤكد "إيريكا شرمان" (Erica Sherman) في دراسة لها حول إدمان الفايسبوك: العوامل المؤثرة على إدمان الفرد عام 2011، أن الأفراد الذين يعانون من قلة تقديرهم لذاتهم، ومن الملل والاكتئاب يلجأون للعلاقات الاجتماعية التي لا تكون وجها لوجه، ويجدون فيها راحة أكبر، وهذا ما وفره الفايسبوك، وجعلهم يدمنون عليه بدرجة عالية"[3]. كما توصل الباحث "خالد منصر" إلى أن الاستخدام المستمر لتكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة يزيد من العزلة والانطواء ومستوى الاغتراب لدى الشباب الجامعي.[4]

5- تهديد القيم الاجتماعية في المجتمعات الإسلامية:

كشفت العديد من الدراسات أن السبب الرئيسي للاستخدام السيء لمواقع التواصل الاجتماعي كالتعرف على الجنس الآخر، أو ممارسة الفاحشة، ومشاهدة المواقع الإباحية التي خلقت العديد من المشكلات في الأسرة المسلمة هو الملل والفراغ، فانعدام المساهمات المجتمعية والتضييق على الشباب، وقلة المرافق الضرورية للترفيه، جعلت الملايين من الشباب بلا هدف في الحياة سوى التسلية عبر مواقع التواصل

---

1. مريم مراكشي: مرجع سابق، ص:24.

2. إبراهيم بعزيز: منتديات المحادثة والدردشة الإلكترونية، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 2008، ص:218.

3. مريم مراكشي: مرجع سابق، ص:31.

4. خالد منصر: علاقة استخدام تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة باغتراب الشباب الجامعي (دراسة ميدانية على عينة من طلاب جامعة باتنة)، رسالة ماجستير غير منشورة في الإعلام وتكنولوجيا الاتصال الحديثة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2011-2012، ص: 222.

الاجتماعي.[1] وهذا ما قد يؤدي إلى انهيار العلاقات الاجتماعية نتيجة الشعور بالرفض تجاه قيم الأسرة أو المجتمع ككل، "حيث أن الفرد ينشأ في ضوء قيم اجتماعية خاصة تكون بيئة الجماعة الأولية، لكن في ضوء ما يتعرض له الفرد خلال تجواله في الانترنت من قيم ذات تأثير ضاغط بهدف إعادة تشكيله تبعا لها بما يعرف في علم النفس بتأثير الجماعة المرجعية، مما قد يؤدي إلى محو آثار الجماعة الأولية عليه، مما يفقده الترابط مع مجتمعه المحيط به ويعرضه للعزلة والنفور ومن ثم التوتر والقلق"[2]. وفي هذا الإطار يشير الباحث "خلاف جلول" إلى أن وسائل الاتصال والإعلام الحديثة أدت إلى تغير العادات الأسرية، وقلة الاجتماعات الأسرية للحوار والتفاهم، وظهور سلوك العنف داخل الأسرة، إضافة إلى انعزال أفراد الأسرة عن بعضهم البعض، وظهور اختلافات بين إجابات الآباء والأبناء حول الالتزام الديني لدى أفراد الأسرة"[3].

خاتمــة:

لقد استطاعت تكنولوجيا الانترنت أن تحدث تحولات عديدة وتطورات سريعة كان لها الأثر الكبير في حياة الأفراد والمجتمعات، خاصة مع ظهور الجيل الثاني من الانترنت الذي أتاح العديد من الخدمات بفضل وسائله المتنوعة، التي تعتبر مواقع الشبكات الاجتماعية من أبرزها، وأكثرها استخداما، كالفيس بوك والتويتر ويوتيوب وماي سبيس، خصوصا وأنها تقدم خدمات متعددة تتنوع من موقع إلى آخر، ساهمت في خلق التفاعل وتبادل الاهتمامات والمشاركة في حوارات ونقاشات بين مستخدميها، لتتحول بذلك إلى بديل عن النشاطات الاتصالية التقليدية، إلا أنه رغم ما حققته من تغييرات إيجابية على عملية التواصل الإنساني عموما، من خلال المساهمة في استمرارية الاتصال الدائم والفوري مع مختلف أفراد الأسرة والأصدقاء، وتكوين علاقات اجتماعية جديدة بطريقة سهلة وسريعة تتجاوز حدود المكان والزمان، إلا أن هذه الخصائص الفريدة والمتعددة التي تميز مواقع التواصل الاجتماعي، والتي جذبت المستخدمين إليها بقوة، خاصة فئة الشباب، جعلتها الوسيلة الأكثر نجاعة في التخفيف من عبء الحياة اليومية وضغوطاتها، والقادرة على منحهم الشعور بالمتعة والتسلية والقدرة على التعبير بكل حرية، واختيار الأشخاص الذين يشاركونهم نفس الاهتمامات للتفاعل وتكوين علاقات افتراضية معهم، غالبا ما تكون علاقات وهمية غير حقيقية، تجعل الفرد ينفصل تدريجيا عن مجتمعه الحقيقي، ويحس بأنه في غنى عن الأفراد المحيطين به في الواقع.

فالاستخدام العشوائي وغير المنظم لمواقع التواصل الاجتماعي يؤثر سلبيا على منظومة العلاقات الاجتماعية، خاصة مع التزايد المستمر والكبير لعدد مستخدميها، الذين يقضون أوقاتا طويلة للتواصل في هذا الفضاء الافتراضي، الذي يمارسون من خلاله مختلف الأدوار، ما يدفعهم للاندماج بشكل كبير فيه، وبالتالي الانسحاب من المجتمع المادي، وهذا ما يؤثر سلبا على كيفية تسيير الاتصالات الاجتماعية، ويعزل الفرد عن مجتمعه الحقيقي مع مرور الوقت، حيث يتعلق ويرتبط الأفراد بشكل كبير بالعلاقات التي ينشئونها عبر مواقع

---

1. خالد غسان ويوسف المقدادي: مرجع سابق، ص ص: 71-75.

2. خالد منصر: مرجع سابق، ص: 88.

3. جلول خلاف: وسائل الاتصال الحديثة وتأثيرها على العلاقة الأسرية، رسالة ماجستير غير منشورة في الدعوة والإعلام، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2002،2003، ص: 232.

الشبكات الاجتماعية، ويقضون وقتا كبيرا أمام الشاشة أكثر من الوقت الذي يخصصونه للأشخاص الواقعيين في حياتهم، والذين تجمعهم علاقات مختلفة.

ومنه أصبح من الضروري بالنسبة للمستخدم إدراك الاستخدام الأمثل، للمحافظة على التفاعل المواجهي، الذي يقي الفرد من الانسحاب الكلي من الواقع الحقيقي، الذي يشكل مخاطر كبيرة على منظومة العلاقات الاجتماعية، ويضر بمصلحة الفرد والمجتمع معا، ذلك أن هذه الطرق والتقنيات الاتصالية الجديدة التي ظهرت مع نشأة وتطور الجيل الثاني للانترنت، أصبحت ضرورة ولا غنى عنها في تعاملاتنا اليومية، في المجتمعات الحالية، لأن الاستخدام الواعي لها بإمكانه تدعيم وتفعيل وتوسيع العلاقات الاجتماعية الحقيقية والحفاظ عليها.

اتجاهات الشباب الجامعي نحو الحفاظ على البيئة في ضوء متغيّر مكان السكن

– دراسة مقارنة بين شباب الريف والمدينة بتيزي وزو –

د . نايت عبد السلام كريمة
قسم علم النفس
جامعة تيزي وزو- الجزائر

ملخص :

إن الأزمة البيئية تمس العالم بأسره، ومن أجل الحدّ من تعامل الإنسان السلبي مع معطيات البيئة وإفساد نظامها والاستغلال المفرط لمواردها، سنّت القوانين والتشريعات الخاصة بحماية البيئة والمحافظة عليها، ومن واجبنا نحن كعلماء النفس، دراسة وتقصّي هذه الظاهرة من جوانب أخرى، ونحن نعلم أن الشباب هو الممثّل لطاقة أي مجتمع، وإذا أردنا الفهم الحقيقي لمدى وجود الوعي البيئي بأي مجتمع، فما علينا إلا بتسليط الضوء على فئة الشباب بالذات، من أجل فهم طبيعة اتجاهاتهم البيئية، قصد الوصول إلى فهم واضح لهذه الظاهرة والكشف الفعلي لخباياها، بهدف تغييرها وتعديلها إن وجد بها أي نقص أو تشوّه.

Abstract:

the environmental crisis, affecting the whole world, and to reduce the harmful effects due to the negative behavior of the man towards the environment and the exploitation of its resources, laws and regulations on the protection of environmental and conservation have been adopted, and it is our duty as researchers in the field of psychology to investigate this phenomenon, and see other aspects, we know that youth is the representative of the energy of the whole society, and if we want understanding the extent of the presence of consciousness to preserve the environment in any community, we must study the youth category, in order to understand the nature of their attitudes environmental, to achieve a clear understanding of this phenomenon ,in order to change or modify it, if we find any deficiencies or deformation.

مقدمة :

نال موضوع البيئة والدراسات البيئية، اهتمام المتخصّصين والرأي العام العالمي، فكثرت الندوات والمؤتمرات التي تناولت قضايا البيئة ومشكلاتها، بالأخّص بعدما أصبحت التربة والهواء والمواد الغذائية عرضة للتلوّث بأنواع شتى من المخلّفات الصّناعية والكيميائية والبيولوجية، وهو ما ساهم بدور كبير في زيادة الأمراض لدى الإنسان والحيوان والنبات، واضطراب مكونات البيئة، ويوصف التلوّث بأنه الوريث الذي حلّ محلّ المجاعات والأوبئة، ويعكس ذلك مدى خطورته على الحياة البشرية والمادية وعلى مستوى الصحة

النفسية والجسدية للفرد، مما أدى إلى حالة جعلت الإنسان يعيش في دوّامة من القلق والاضطراب (**محمّد أحمد المولى، 2009).**

و يشير "**أستلان**" (**Astalin, 2011**) إلى أن المساهمة في إنقاذ البيئة، تتم من خلال نشر الوعي البيئي بين الطلبة، وذلك بإثارة الفضول لديهم لمعرفة المزيد عن البيئة المحيطة بهم، وتعظيم القيم الايجابية نحو البيئة في نفوسهم، وتدريبهم على ممارسة سلوكيات صديقة للبيئة، والقيام بدور فعّال في حماية بيئتهم.

لذلك لا بد من أن تراعى عملية نشر الوعي البيئي بإكساب الفرد الخلفية المعرفية حول القضايا البيئية، ومساعدته في تكوين الاتجاهات الايجابية نحوها، وإكسابه المهارات اللازمة للسلوك بطريقة صديقة للبيئة.

1- مشكلة الدراسة وتساؤلاتها :

لقد ظل موضوع البيئة محوراً أساسياً في الحوار والشراكة على مستوى العالم، على مدى العقود الأخيرة الماضية، وقد تزايد الإحساس العالمي بالأزمة البيئية بفعل ضغط المشكلات وآثارها المدمرة للبيئة وتهديدها حياة الإنسان وحضارته، وارتفعت أصوات دول العالم منادية بضرورة التصدي الجماعي للمشكلات البيئية وتضافر جهود دول العالم من حكومات ومؤسسات ومنظمات وأفراد لإنقاذ البيئة مما تعانيه من تدهور ومشكلات، والعمل على المحافظة على البيئة وصيانة مواردها.

وهذا ما أثار فضول الباحثتين لمعرفة طبيعة الاتجاهات البيئية المتواجدة بأي مجتمع ولدى أي شريحة من شرائحه، وفي هذه الدراسة ارتأينا إلى التركيز على فئة الشباب الجامعي قصد رصد طبيعة الاتجاهات البيئية لديه وبالتالي قياس مستوى الوعي البيئي مما قد يعكس مدى حاجة الطالب الجامعي للتعليم البيئي، وخصوصاً في بيئة مثل الجزائر التي أنتشر فيها التلوث في البر والبحر والجو، حتى بدأت مظاهر الأزمة البيئية تتشكل فأصبحت مخاطرها مصدر تهديد لحياة الإنسان وحضارته، ويرجع ذلك بالأساس إلى هيمنة الإنسان وطغيانه ورفضه للمبادئ الأخلاقية في تعامله مع البيئة.

فعالم الشباب بحاجة إلى الفهم، من واقع أطرهم المرجعيّة، وقد تم اختيار فئة الشباب الجامعي كعينة لهذه الدراسة، لأنها السبب في كلّ تغيير فعاّل وهي القوّة الفعّالة في كل عمل ونهضة، وتنطلق الأستاذة الباحثة المتدخّلة بهذا الموضوع، من فكرة دور مكان وبيئة السكن، في بناء اتجاهات الأفراد نحو المحافظة على البيئة، مع الإشارة إلى أن شباب الأرياف قد يتميّزون عن شباب المدن بالبساطة والقناعة والجدّية مع الامتثال للقيم والمعايير الاجتماعية، بينما انتشرت بين شباب المدن مظاهر الانحراف والخروج عن القيم والتمرّد، رغم ما يتميّزون به من وعي وذكاء اجتماعي والذي اكتسبوه من البيئة الحضرية. فالبيئة المحيطة بالشباب، سواء في الريف أو في المدينة، هي التي تصنع ثقافته واتجاهاته ومرجعياته وسلوكه .

وبهذا يكون الهدف الأساسي من هذه الدراسة، إبراز دور مكان الإقامة (مدينة، ريف) لدى عينة من الشباب الجامعي في تنمية اتجاهاتهم البيئية، وذلك من خلال الكشف عن الفروق في اتجاهاتهم نحو المحافظة على البيئة .

ومن أجل هذا، سعت الدراسة الحالية بالتحديد إلى الإجابة على الأسئلة البحثية التالية :

السؤال الأول:

ما طبيعة الاتجاهات البيئية السائدة لدى طلبة قسم علم النفس ؟

السؤال الثاني:

هل هناك فروق في النسب المئوية لدرجات طلبة قسم علم النفس في اتجاهاتهم البيئية السلبية والايجابية، تبعا لمتغير مكان السكن (ريف، مدينة) ؟

2- فرضيات الدراسة : وللإجابة على التساؤلين التاليين، اقترحت الباحثة الفروض التالية :

الفرضية الأولى :

* نتوقع أن تكون الاتجاهات البيئية الايجابية هي السائدة لدى طلبة قسم علم النفس .

الفرضية الثانية :

* نتوقع أن تكون هناك فروق في النسب المئوية لدرجات طلبة قسم علم النفس في اتجاهاتهم البيئية السلبية والايجابية تبعا لمتغير مكان السكن (ريف، مدينة) .

3- أهمية الدراسة :

- بما أن الاتجاهات توفر الدافعية لبذل الطالب مزيد من الجهد في سبيل فهم أفضل للمعلومات، وتجسد الالتزام بمنحى حل المشكلات، وتقويم الأفكار والمعلومات، واتخاذ القرارات، فمن الهامّ جدّا رصدها لدى الطالب الجامعي، من أجل فهم طبيعتها ومستواها وذلك فيما يخص البعد البيئي .

- تؤدي الاتجاهات الايجابية نحو البيئة إلى زيادة اهتمام الطلبة بقضايا البيئة ومشكلاتها والمشاركة الفعّالة في حماية البيئة وصيانة مواردها، وتحسين قدرتهم على توظيف معلوماتهم البيئية، وتلعب دور هام في استثارة السلوك وتوجيهه صوب التعامل الايجابي مع البيئة .

- يواكب البحث الحالي التوجهات العالمية والعربية للاهتمام بالبيئة والحفاظ على مواردها والتصدي لمشكلاتها، ويعتبر الاهتمام بقياس الاتجاهات البيئية لدى الطلبة بمثابة خطوة أساسية إذا أردنا النجاح في تعديل السلوكيات السلبية لتعامل الإنسان مع البيئة، لأن هذه السلوكيات هي المصدر الرئيس لما تعانيه البيئة من تدهور وما تواجهه من مشكلات، وأن فهم الإنسان لبيئته، (ونخص بالذكر فئة الشباب) وامتلاك الاتجاهات والميول الإيجابية نحو البيئة من شأنها أن تدفعه للمحافظة على البيئة والمشاركة في التصدي لمشكلاتها والحيلولة دون تفاقمها أو حدوث المزيد منها.

4- أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة الحالية إلى التعرّف على طبيعة الاتجاهات البيئية السائدة (ايجابية أم سلبية) لدى طلبة قسم علم النفس وكذا، الكشف عن مدى وجود فروق في النسب المئوية لاتجاهاتهم الايجابية والسلبية وذلك تبعا لمتغير مكان الإقامة (ريف، مدينة).

5- الإطار النظري والمفاهيم الأساسية للدراسة :

*** الاتجاهات :**

قبل كل شيء يجب تحديد مفهوم الاتجاه والذي يمثل بعدا من أبعاد الشخصية **(أبو حويج وآخرون، 2009)** كما يعتبر الاتجاه من أهمّ المفاهيم في علم النفس الاجتماعي، وذلك منذ ظهور تعريفاته الأولى على يد Allportو Zanieckiو Asch وغيرهم وصولا إلى Stoetzelو Newcomb وChérif، والملاحظ أن تعريف Stoetzel

للاتجاه يتميّز بدقة نسبية حيث يعرّفه بأنه " الطريقة التي يتموقع بها الفرد تجاه أشياء ذات قيمة (Stoetzel,1978) **نقلا عن : (زعطوط رمضان، 2005).**

ولقد أخذت الاتجاهات العديد من التعاريف نذكر منها : "هو تنظيم متناسق من المفاهيم والمعتقدات والعادات والدوافع بالنسبة لشيء محدّد " **(السلمي علي،1975 ، ص 162 .)**

ويتكوّن مفهوم الاتجاه كلاسيكيا من ثلاثة أبعاد هي البعد المعرفي، البعد الوجداني والبعد السلوكي **(خليفة عبد اللطيف، 1998)**، غير أن الباحثين انقسموا إلى أربع فئات في اعتبارهم لطبيعة الاتجاه :

- الفئة الأولى والتي ركّزت على المكونات الثلاثة الكلاسيكية
- الفئة الثانية ركّزت على الجانب المعرفي على أساس أن المكون الرئيسي هو المعتقد
- الفئة الثالثة ركّزت على الجانب الوجداني
- الفئة الرابعة والمتأثرة بالمدرسة السلوكية ترى أن الجانب الوجداني والمعرفي لا دليل عليهما وأن الاتجاه مساو للسلوك ذاته .

أما التعاريف التي ركّزت على الجوانب الثلاثة والتي يعتبرها بعض الباحثين مثل "معتز السيد " من أكثرها شيوعا وقبولا فيمثّلها تعريف Reitsman بأنه " توجّه ثابت أو تنظيم مستقرّ للعمليات المعرفية والانفعالية والسلوكية"، وكذا تعريف Green بأنه : " مفهوم يعبّر عن نسق أو تنظيم لمشاعر الشخص ومعارفه وسلوكه أي استعداده للقيام بأعمال معينة ويتمثل في درجات من القبول أو الرفض اتجاه موضوع ما" **نقلا عن : (زعطوط رمضان، 2005) .**

على الرغم من التباين في تحديد مفهوم الاتجاه، إلا أن هناك اتفاق بين المختصين في المجال التربوي وعلم النفس على أن الاتجاهات تتميز بالخصائص الآتية :

* الاتجاهات ليست فطرية وإنما هي مكتسبة، يتعلمها الفرد أثناء حياته وليس للوراثة علاقة بتكوين الاتجاهات.

* اتجاهات الفرد قادرة إلى حد كبير على التنبؤ بسلوكه حيال القضايا المختلفة .

* تتأثر اتجاهات الفرد بشكل عام بعوامل متعددة، من بينها التأثير الاجتماعي للأشخاص المحيطين بالفرد.

* الاتجاهات ليست استجابات لموقف بقدر ما هي تهيؤو تحفز أو استعداد للاستجابة.

* الاتجاهات تقويمية تتضمن جوانب انفعالية إضافة إلى الجوانب المعرفية· .

* الاتجاهات قابلة للقياس والتقويم بأدوات ووسائل مختلفة .

* الاتجاهات متفاوتة في وضوحها وجلائها .

* الاتجاهات قابلة للتعديل والتغيير.

* الاتجاهات موجهه بالشعور، وتعبر عن شيء هو معرفة وتقييم معاً. **(نشواتي، 1984)** .

وتستخلص الباحثة من خلال ما سبق حول طبيعة الاتجاه ومكوناته، أن الاتجاه يكتسب من خلال عملية التعلم، لذلك فهو معرفي، لكن ظهوره تقييمي قيمي.

*** التعريف الإجرائي للاتجاهات البيئية :**

هي الدرجات التي يحصل عليها الطلبة من خلال إجاباتهم على فقرات المقياس والتي تعبر عن محصلة مشاعرهم نحو البيئة والتي تتكون بفعل خبرتهم وتعاملهم مع البيئة. بحيث تكون قادرة على تحريك الطالب وتوجيهه لاتخاذ موقف التأييد أو المعارضة منها.

6- إجراءات الدراسة :

لتحقيق أهداف البحث، قامت الباحثة بالإجراءات المنهجية التالية :

6-1- تحديد عينة الدراسةو خصائصها :

تتكون عينة الدراسة من طلبة قسم علم النفس (ذكورا وإناثا)، بجامعة تيزي وزو، ويبلغ العدد الكلي لهم 80 فردا، منهم 38 ذكور مشكّلين نسبة 47.5 % و42 إناث مشكّلة بدورها نسبة 52,5 %، أما عن مكان الإقامة، فانه يتوزع 39 من الطلبة وبنسبة 48.75% في المدينة، بينما يتوزع 41 من الطلبةو بنسبة 51.25% في الريف (القرى) ويمكن توضيح خصائص العينة هذه، من خلال الجداول التالية رقم 01و رقم 02 :

الجدول رقم : 01 توزيع أفراد عينة البحث حسب الجنس

العينة الجنس	العينة (ن=80)	
	التكرارات	النسب المئوية
ذكور	38	47,5 %
إناث	42	52,5 %
المجموع	80	100,0

الجدول رقم : 02 توزيع أفراد عينة البحث حسب مكان الإقامة (ريف، مدينة)

العينة مكان الإقامة	العينة (ن=80)	
	التكرارات	النسب المئوية
في القرية(الريف)	41	% 51.25
في المدينة	39	%48.75
المجموع	80	100,0

6-2- أداة الدراسة :

بعدما اطّلعت الباحثة على العديد من الدراسات والمقالات ذات العلاقة بموضوع الدراسة الحالية، ولأنها لم تجد أي دراسة مماثلة لفكرة موضوع الدراسة الحالية، سواء تلك التي اطلعت عليها من خلال شبكة الانترنت أو المطبوعة ورقيا، وبما أنه من متطلبات الدراسة الحالية تطبيق مقياس لقياس اتجاهات الطلبة نحو الحفاظ عن البيئة أو بمعنى آخر الاتجاهات البيئية، فان اختيار الباحثة قد وقع على المقياس الذي استخدمه **(البدراني، 2004)** وذلك بالبيئة السعودية، وقد تم تطبيقه على طلبة كلية التربية .

ويحتوي المقياس في صورته الأصلية على بعدين وهما كالتالي :

* البعد الأول : المعلومات البيئية وتشمل 30 فقرة من نوع الاختيار المتعدد رباعي البدائل .

* البعد الثاني : الاتجاهات نحو البيئة ويشمل بدوره 34 فقرة ذات الاختيار الخماسي البدائل وفق مقياس "ليكرت" للتقديرات المجتمعة، ولأن طبيعة الدراسة الحالية تعتمد على قياس الاتجاهات نحو البيئة فقد استعانت الباحثة بمقياس هذا البعد المتكوّن من 34 فقرة.

أ- ثبات مقياس الاتجاهات البيئية :

رغم تميز المقياس بالصدق والثبات في بيئته السعودية، كما أشار إليه معدّ هذا المقياس، وكما أشارت أيضا إليه الباحثة (**محمّد أحمد المولى، 2009**) التي قامت بإعادة حساب ثبات المقياس في دراستها أين بلغ 0.79 إلا أن الباحثة في هذه الدراسة الحالية، قامت بإعادة قياس كل من صدقه وثباته، في المجتمع الجزائري وتحصّلت على النتائج التالية :

قامت الباحثة بحساب معامل ثبات المقياس عن طريق معادلة ألفا كرونباخ، فكانت النتيجة =0,73.

ب- صدق مقياس الاتجاهات البيئية :

قامت الباحثة في إطار الدراسة الحالية، بالتأكد من الصدق الظاهري وصدق المحتوى للمقياس، حيث تم عرضه على بعض الأساتذة المختصين، وكانت معظم ملاحظاتهم ايجابية حيث تلخّصت في الاتجاه نحو التعبير عن بساطة وسهولة و وضوح بنودها.

و لكن رغم الاطمئنان من صدق المحتوى بعد التحكيم، إلا أننا قمنا بحساب صدق هذا المقياس بطريقتين مختلفتين وهي طريقة الصدق الذاتي وصدق المقارنة الطرفية .

قامت الباحثة بحساب معامل الصدق الذاتي للمقياس، فكانت النتيجة =0.85، أما عن صدق المقارنة الطرفية فقد بلغت قيمة (ت) في المقارنة الطرفية لمقياس الاتجاه نحو السلوك الصحي إلى 16 وهي دالة عند مستوى 0.01، مما يشير إلى الصدق التمييزي للمقياس .

ت- طريقة تصحيح المقياس :

يتم تصحيح المقياس على أساس إعطاء درجة من (5 إلى 1) لكل إجابة يجيبها الطالب على فقرات المقياس التي تمثّل اتّجاها ايجابيا، والعكس صحيح بالنسبة للفقرات التي تمثّل الاتجاه السلبي نحو البيئة، وذلك وفق التدرج : (موافق بشدّة، موافق، لا رأي لي، غير موافق، غير موافق بشدّة)، وبذلك تكون الدرجة الدنيا للاختبار تساوي 34 والدرجة القصوى تساوي 170 . وبما أنه تحسب الدرجة النهائية بحاصل جمع الدرجات التي يتحصل عليها الفرد على الفقرات الايجابية والسلبية فهي بذلك تعبّر عن درجة مقياس الاتجاه نحو البيئة، بمعنى أن الدرجة الكلية النظرية لمقياس الاتجاه نحو البيئة هي: 170 درجة (34 x 5)، والدرجة الوسطى تمثل الإجابة على (محايد أو لا رأي لي) وهي 102 درجة (34 x 3)، أما الدرجة الدنيا (السلبية) فهي 34 درجة. ولقد تم اعتبار العتبة الفاصلة بين الأفراد ذوي الاتجاه السلبي وبين ذوي الاتجاه الايجابي نحو البيئة هي 34 x 3 = 102، أي للتمييز بين الفئتين فقد تم اعتبار كل فرد تحصّل على درجة 102 أو أقل لديه

اتجاه سلبي، أي من 34 إلى 102 وكل فرد يتحصل على درجة 103 فما فوق ذو اتجاه ايجابي، أي من 103 إلى 170 .

7- المعالجة الإحصائية للدراسة :

بعد تصحيح أداة القياس وفقا لتعليماتها، وللإجابة على أسئلة البحث، والتحقق من فرضياته، ولوصف عينة البحث من حيث خصائصها، استخدمت الباحثة الإحصاء الوصفي معتمدة بذلك على التكرارات والنسب المئوية .

8- عرض ومناقشة النتائج :

لاختبار صحة فرضيات الدراسة الحالية، قامت الباحثة بالتحليلات الإحصائية الضرورية التي سيتم عرضها بالتفصيل، والتي ستسمح لنا باختبار كل فرض على حدا.

1-8 عرض ومناقشة نتائج الفرض الأوّل :

من أجل التحقق من مدى صحة الفرضية الأولى التي تنص على أنه: " نتوقع أن تكون الاتجاهات البيئية الايجابية هي السائدة لدى طلبة قسم علم النفس" قامت الباحثة بحساب التكرارات والنسب المئوية لكل من الاتجاهات الايجابية والسلبية لدى عينة البحث، كما هو موضح في الجدول التالي :

الجدول رقم : 03 نسب انتشار الاتجاهات البيئية (الايجابية والسلبية) لدى عينة البحث .

العينة طبيعةالاتجاهات	العينة (ن=80)	
	التكرارات	النسب المئوية
الاتجاهات الايجابية	44	% 55
الاتجاهات السلبية	36	% 45
المجموع	80	100,0

من خلال هذا الجدول، يتبيّن أن الفرضية الأولى قد تحقّقت، وهذا يعني أن معظم طلبة علم النفس (عينة الدراسة) لديها اتجاهات ايجابية نحو البيئة حيث بلغ تكرار هذه الأخيرة 44 ممثلة بذلك نسبة 55% من المجموع الكلي لعينة البحث، أما فيما يخص الطلبة ذوي الاتجاهات البيئية السلبية فقد بلغ تكرارها 36 ممثلة بذلك نسبة 45 % من مجموع العينة الكلية .

واستنادا إلى هذه النتائج، يمكن القول بأن شبابنا الجامعي لديه وعي بيئي لا بأس به، وقد نعزو ذلك إلى المقرّرات الدراسية المهتمة نوعا ما بتهيئة الفرد إلى فهم البيئة وكيفية الحفاظ عليها، التي قد تمت برمجتها في الأطوار التعليمية السابقة للمرحلة الجامعية، والتي يبدو أنها قد عزّزت لدى الطلبة بعض المعارف الصديقة للبيئة، بالإضافة إلى إكسابهم سلوكيات ايجابية محافظة لها .

ولكن لابد من التنويه أيضا إلى الدور الكبير والأهمية البالغة الذي يلعبه في بلدنا الإعلام السمعي والبصري الذي عمل كثيرا على توعية الرأي العام بشأن البيئة وكيفية الحفاظ عليها وذلك من خلال برامج

ثقافيةو تلفزيونية عديدة تستهدف جميع شرائح المجتمع المدني، من أجل الحفاظ على البيئة الصحية ومن أجل حياة وصحّة أفضل .

ومن هنا إذن، يمكن التأكيد على ضرورة تعزيز دور الإعلام البيئي من خلال ضرورة وجود إعلام بيئي متخصّص، يستند على المعرفة العلمية المتخصّصة، ولا سيما أن البيئة هي كل ما يحيط بالإنسان والحيوان والنبات ويؤثّر في تكوينه وعلى نموّه وسلوكه . **(طيبي سعاد، 2014).**

2-8 عرض ومناقشة نتائج الفرض الثاني :

من أجل التحقق من مدى صحة الفرضية الثانية والتي تنصّ على أنه :" نتوقع أن تكون هناك فروق في النسب المئوية لدرجات طلبة قسم علم النفس في اتجاهاتهم البيئية السلبية والايجابية تبعا لمتغير مكان السكن (ريف، مدينة)، قامت الباحثة بحساب التكرارات والنسب المئوية لكل من الاتجاهات الايجابية والسلبية لدى عينة البحث، كما هو موضح في الجدول التالي :

الجدول رقم : 04 نسب انتشار الاتجاهات البيئية (الايجابية والسلبية) لدى عينة البحث حسب متغير مكان الإقامة (مدينة، ريف) .

مكان الإقامة / طبيعة الاتجاه	ريف/ ن=41		مدينة/ ن=39	
	التكرارات	النسبة المئوية	التكرارات	النسبة المئوية
اتجاه ايجابي نحو البيئة	**30**	**%73.18**	**14**	**%35.90**
اتجاه سلبي نحو البيئة	**11**	**%26.82**	**25**	**%64.10**
مج	**41**	**100**	**39**	**100**

يتبيّن من الجدول أعلاه أن الاتجاهات الايجابية لدى عينة الطلبة، كانت منتشرة أكثر عند من يقيمون في الرّيف حيث بلغ تكرارها 30 ممثلة نسبة 73.18 % وذلك مقارنة بمن يقطنون بالمدينة أين بلغت التكرارات فقط 14 ولم تتجاوز نسبتها 35.90 % .

أما فيما يخصّ الاتجاهات السلبية نحو البيئة فقد كانت سائدة لدى الطلبة الذين يقطنون في المدينة، حيث بلغت التكرارات 25 ممثلة بذلك نسبة 64.10%، في حين لم تتجاوز التكرارات 11 لدى الطلبة الذين يقطنون في الريف، ممثلة بذلك نسبة 26.82 % .

وبهذه النتائج، تكون قد تحقّقت الفرضية الثانية التي تنصّ على أننا نتوقع وجود فروق بين الطلبة في طبيعة الاتجاهات البيئية، تبعا لمتغير مكان الإقامة .

و تتفق هذه النتائج مع بعض الدراسات السابقة والبحوث في هذا المجال، والتي تؤكد على دور بيئة الفرد أو محيطه الذي يعيش فيه في بناء مرجعياته، فالبيئة المحيطة بالشباب سواء في الريف أو في المدينة هي التي تصنع ثقافته ومرجعياته وسلوكه، ويصعب عليه إحداث قطيعة مع تلك البيئة التي تتكون من البيت والحومة في المدينة، ومن البيت والقرية في الريف، لاستنشاقه ثقافة بيئته منذ طفولته المبكّرة، وشدّة التفاعل وكثافته مع بيئته، خاصة في الأحياء السكنية حيث يقضي الشباب معظم أوقات فراغهم متفاعلين

في بيئتهم المحلّية، فيتأثّرون ببعضهم البعض، وهكذا يساهم في بناء مرجعيات الشباب نمط المعيشة وثقافة البيئة المحلّية الريفية أو الحضرية . **(بومخلوف محمّد وآخرون، 2012)** .

فرغم ما يبديه الشباب من تمسّك بالمرجعيات الدينية والأسرية والوطنية، فان سلوكهم تطبعه اللامبالاة والتمرّد والعصيان أحيانا لأسرهم وللوالدين، يمتدّ أثر ذلك إلى الحياة العمومية، فيما يلاحظ من تراجع مستمرّ لقيم الحياء، التعاون والاحترام في البيئات الحضرية بالخصوص، فنلاحظ سلوك رمي القمامات في أي مكان، عدم الاهتمام بحملات النظافة التطوعية في الأحياء السكنية ...إلى غيرها من مظاهر السلوكيات السلبية، يضاف إلى ذلك تراجع الجدّ والجدّية في العمل وبناء الذات، ونخصّ بالذكر التحرّكات الجمعوية التي تهدف إلى التحسيس والتوعية بشأن البيئة مثلا، ولم يبق من الجادين في نظر شباب المدن غير الشباب الرّيفي.

الاتكالية، قلّة تحمّل المسؤولية، والأنانية، لا يشجّع الإقبال على العمل الجمعوي المفتوح للجميع، ومن جهة أخرى، وقت الشباب مستنزف في الجري وراء النقل والتنقّل وقضاء الحاجات والبيروقراطيات التي أكلت وقتهم ولم تترك لهم من وقت وطاقة يصرفونها في مثل هذه الأعمال، فالشاب مستهلك في مسائل ومشاكل جانبية وهامشية تافهة، هي مشكلات الحياة اليومية . **(بومخلوف محمّد وآخرون، 2012).**

خاتمة الدراسة :

إن التباين والتمايز القائم بين الشباب، يعكس التمايز القائم بين الأسر نفسها، وقد كشفت نتائج بحوث الأسرة والتربية، أن الأسرة الجزائرية ليست نمطية، وإنما هي شديدة التعقيد، تعاني من وضعيات متنوعة وتصنّف إلى أصناف كثيرة، هذه الخاصية للأسرة الجزائرية انعكست بصورة مباشرة على الأبناء .(**شرناعي فتيحة، 2001)** .

من هنا، يمكن القول أنه تتنوع الجماعات الاجتماعية، بتنوّع هذه البيئات وهذه الظروف، فالشباب ابن بيئته ومحيطه وتنشئته، وهو لا يشكّل كيانا نمطيا متجانسا، بل هو فئات متباينة تباينا شديدا، بتباين بيئاته وظروفه ومراحل نموّه وإمكانياته، وما حقّقه من انجازات معرفية واقتصادية، فتأتي أفعاله وتمثلاته للواقع وفق كل ذلك .

فالشباب قد أثّرت فيه الظروف الخارجية وأساليب التنشئة الاجتماعية، وقد تعرّض شباب المدن إلى تغيّرات كثيرة على خلاف شباب الأرياف الذي لازال أكثر تماسكا في مجتمعه المحلّي وأكثر تمسكا بالأعراف والقيم الاجتماعية والخلقية على خلاف شباب المدن .

الاقتراحات :

في ضوء نتائج الدراسة الحالية، وبما أنه لا يمكن تعميم نتائج هذه الدراسة، لحدود هذه الدراسة كصغر حجم العينة مثلا، فانه من أهمو أوّل ما تقترح الباحثة هو :

- القيام بدراسات وبحوث أخرى على عينات أكبر من الطلبة والشباب بصفة عامة قصد التقصي حول اتجاهاتهم البيئية .

- القيام بدراسات أخرى مشابهة للمقارنة أيضا بين الذكور والإناث، لفهم اتجاهات الشباب أكثر تبعا لمتغيّر الجنس بالإضافة إلى متغير مكان الإقامة .

- إدراج مقرّر التربية البيئية كمتطلب جامعي في الجامعات الجزائرية لما لها من أثر في تكوين الاتجاهات الايجابية ورفع مستوى الاتجاهات البيئية بصفة خاصة، والثقافة العامة .

- القيام بأيام دراسية تحسيسية بهدف نشر الوعي البيئي والاهتمام بالبيئة في أوساط الطلبة .

- القيام بدراسات استطلاعية للتعرّف على طبيعة الاتجاهات البيئية لدى المواطنين .

- التأكيد على تطوير ورفع مستوى تطبيق برامج التربية البيئية، وذلك مع جميع الشرائح العمرية وفي مختلف مؤسسات المجتمع المدني .

- ضرورة التدخل ببرامج التربية البيئية والقيام بدراسات قبلية وبعدية لتقصي أثرها في تعديل الاتجاهات البيئية .

- إجراء مزيد من البحوث والدراسات في هذا المجال، وتوظيف مقترحاتها لخدمة المجتمع وتوفير الحماية والوقاية للمواطن والحد من انتشار السلوكيات المخلّة بالبيئة .

- أن تتولى وسائل الإعلام المختلفة المرئية والمسموعة والمقروءة مهام عملية التوعية لأفراد المجتمع وذلك بعقد الندوات واللقاءات والمناقشات، كما يمكن تقديم هذه الخدمات عن طريق المؤسسات التعليمية (المدارس والجامعات) وكذلك المستشفيات والمراكز الصحية المنتشرة بمختلف مناطق الوطن، بالإضافة إلى ضرورة الاهتمام بالإرشاد الأسري المجتمعي(الاهتمام بالأسرة في إطار المجتمع).

قائمة المراجع :

*** أولا : المراجع العربية :**

1 - أبو حويج، مروان و الصفدي، عصام (2009): المدخل إلى الصحة النفسية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، عمان، الأردن .

2- البدراني، علي محمّد أحمد (2004) : الوعي البيئي لدى طلبة قسم علوم الحياة في كلية التربية وعلاقته ببعض المتغيرات، رسالة غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل .

3 - السلمي، علي (1975) : تحليل النظم السلوكية، مكتبة غريب، القاهرة، مصر.

4- بو مخلوف محمّد، وآخرون (2012) : الشباب الجزائري، واقع وتحدّيات، مخبر الوقاية والأرغنوميا، جامعة الجزائر2، مطبعة الملكية، ط1، الجزائر.

5- خليفة عبد اللطيف، محمّد (1998) : دراسات في علم النفس الاجتماعي، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.

6- زعطوط رمضان (2005) : علاقة الاتجاه نحو السلوك الصحي ببعض المتغيرات النفسية الاجتماعية لدى المرضى المزمنين بورقلة، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم علم النفس، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر.

7- شرناعي، فتيحة (2001) : ظاهرة صراع الأجيال في المجتمع الجزائري، رسالة ماجستير، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر.

8- طيبي، سعاد (2014) : دور الإعلام البيئي في حماية البيئة، حوليات جامعة الجزائر1، العدد 25، الجزء 2، الجزائر.

9- محمّد أحمد المولى، مآرب (2009) : مستوى الوعي البيئي لدى طلبة كلية التربية في ضوء بعض المتغيرات، مجلة التربية والعلم، المجلّد 16، العدد 3 .

10- نشواتي، عبد المجيد (1984) : علم النفس التربوي، دار الفرقان، عمان، الأردن.

*** ثانيا : المراجع الأجنبية :**

11 - Astalin, P.2011. A study of environmental awareness among higher secondary students and some educational factors affecting it , International Journal Of Multidisciplinary Research , 1(7): 90-101.

أثر إدارة الجودة الشاملة على جودة الخدمة الصحية من خلال الرضا الوظيفي باستخدام تحليل المسار

(دراسة حالة المستشفى الجامعي بباتنة)

أ. د. زكية مقري أ. جمعة الطيب
كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير
جامعة باتنة

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى اختبار أثر الرضا الوظيفي كمتغير وسيط في العلاقة بين إدارة الجودة الشاملة وجودة الخدمة الصحية المقدمة في المستشفى الجامعي بباتنة. واهتمت الدراسة بتقدير هذا الأثر من وجهة نظر الموظفين بالمستشفى (ممرضين، أطباء، إداريين، عمال). استند هذا العمل على دراسة ميدانية استهدفت عينة قوامها 163 مفردة، وذلك باستخدام العديد من الأساليب الإحصائية (الانحدار الخطي البسيط وتحليل المسار) من خلال الرزمة الإحصائية لـ SPSS V20 و AMOS V20 .

وفقا لنتائج التحليل، هناك تأثير ذو دلالة إحصائية لإدارة الجودة الشاملة على كل من جودة الخدمة المقدمة والرضا الوظيفي بشكل مباشر، فضلا عن وجود تأثير معنوي إحصائيا بين الرضا الوظيفي وجودة الخدمة المقدمة بشكل مباشر. كما أوضحت النتائج وجود تأثير دال إحصائيا لإدارة الجودة الشاملة على جودة الخدمة المقدمة من خلال الرضا الوظيفي كمتغير وسيط عند مستوى الدلالة 0.05. غير أن تأثير هذا الأخير لم يكن كاف لتعزيز هذه العلاقة.

الكلمات المفتاحية: إدارة الجودة الشاملة، جودة الخدمة الصحية، الرضا الوظيفي، المستشفي الجامعي بباتنة.

Abstract:

This study aims to test the impact of job satisfaction as a mediator variable in the relation between total quality management (TQM) and quality of health services provided by Batna University Hospital. The study focused on estimating this impact from the point of view of hospital staff (nurses, doctors, administrators, workers). This work was based on a field study targeting a Layered sample of 163 single, using several statistical methods (simple linear regression, analysis and path) through the Statistical Package for SPSS V20 and AMOS V20.

According of analysis Results of this study, there is a statistically significant effect of TQM on quality of health services and job satisfaction directly. As well as having a statistically significant effect between job satisfaction and quality of service directly. The results also showed the presence of a statistically significant effect of TQM on the quality of health services provided through the job satisfaction as a mediator variable at significance level

of 0.05. However, the impact of the mediation thereof is insufficient to reinforce this relationship.

Key words: Total Quality Management, Quality Health Service, Job Satisfaction, University Hospital of Batna

تمهيد:

يلقى موضوع الجودة المزيد من الاهتمام والخصوصية من قبل المؤسسات الصحية، كون الصحة تعد أحد الأولويات التي تؤثر بشكل مباشر في حياة الأفراد والمجتمعات. ولا شك أن تحسين جودة ما تقدمه هذه المؤسسات من خدمات سيعود بالنفع على الفرد والمجتمع على حد سواء.

وفي أيامنا هذه تجاوز مفهوم الجودة فكرة إنتاج سلعة أو خدمة أفضل مما هو متاح، وامتد إلى وجوب تحقيق رضا العملاء عن السلعة أو الخدمة المقدمة. وهذا التوسع في المفهوم جعل الجودة مسألة إدارية تتمتع بالشمولية والتنسيق على عدة مستويات. وتقع مسؤولية جانب مهم من تحقق هذا المفهوم في المؤسسة على الفرد بصرف النظر عن موقعه وطبيعة عمله، فالمورد البشري هو جوهر إدارة الجودة الشاملة. إن تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات الصحية يشمل التعرف على جوانب الهدر في الوقت والطاقة الذهنية والمادية، كما يعد أفضل النظم التي تمنح الصلاحيات للعاملين وتحثهم على المشاركة والتحسين المستمر وتدفعهم للنجاح في تقديم خدمات ذات جودة لتلبية احتياجات العميل ورغباته. إن تحقيق ذلك يعتمد بشكل أساسي على مدى فاعلية أداء الأفراد العاملين لمهامهم وواجباتهم، والذي يتأثر كثيرا بمستوى الرضا عن العمل أو الوظيفة، لأنه من الطبيعي جدا أن يختلف أداء فرد راض في عمله، بفرد أخر لا يلمس أن المنظمة التي يعمل بها تهتم بحالة الرضا لديه وبمتطلباته. هذا ما يؤكد أهمية الرضا الوظيفي في حياة المنظمة.

يغطي العنصر البشري العامل في القطاع الصحي فئات متباينة من حيث خصائصها وأدوارها في تقديم الخدمة الصحية، إذ يشمل الأطباء، الممرضين والموظفين، ما أوجب على المؤسسات الصحية مسؤولية التفكير بصورة جدية لتوجيه هذا العنصر بما يحقق الكفاءة والفاعلية فيها. ويعتبر الرضا الوظيفي المحرك الأساسي لدافعية الأفراد لأداء العمل بجدية مما يؤدي إلى زيادة فرص الرقي والتقدم في العمل، حيث أن الاهتمام والتركيز على أداء كل موظف هو السبيل لتحسين جودة الخدمة المقدمة.

أولا: الإطار العام للدراسة

1. **مشكلة الدراسة:**

على ضوء ما تقدم يمكن أن نبرز مشكلة الدراسة والتي تتمثل فيما يلي:

كيف يساهم الرضا الوظيفي كعامل معدل في تحسين أثر إدارة الجودة الشاملة على جودة الخدمة الصحية المقدمة بالمستشفى الجامعي بباتنة؟

وتندرج تحت هذا السؤال عدة أسئلة فرعية تتمثل في:

- هل تؤثر إدارة الجودة الشاملة على جودة الخدمة الصحية المقدمة في المستشفى محل الدراسة؟
- هل تؤثر إدارة الجودة الشاملة على الرضا الوظيفي للعامل في المستشفى محل الدراسة؟
- هل يؤثر الرضا الوظيفي للعامل على جودة الخدمة الصحية المقدمة في المستشفى محل الدراسة؟

- هل يعدل الرضا الوظيفي من تأثير إدارة الجودة الشاملة على جودة الخدمة الصحية المقدمة في المستشفى محل الدراسة؟

2. **أهمية الدراسة:**

تستمد الدراسة الحالية أهميتها من أهمية موضوع إدارة الجودة الشاملة في قطاع المؤسسات الصحية، باعتباره موضوع حديث في هذا المجال، ومدى تأثيره في تحقيق مستويات عالية من جودة الخدمات المقدمة من خلال الدور الذي يأخذه الرضا الوظيفي للعامل في تعزيز هذا الأثر. فالرضا الوظيفي هو عنصر محوري في تقديم الخدمات سيما الصحية منها. فإذا كانت المؤسسة تتعهد للعميل بمستوى جودة معين، فإن مسؤولية تنفيذ هذه الوعود وتسليمها يقع على العاملين، وإرضاء هؤلاء يجعلهم يتفانوا في إرضاء العميل من خلال تحقيق توقعاته والتي بني جانب مهم منها على تعهدات المؤسسة.

أما الأهمية العملية لهذه الدراسة تكمن في إمكانية تأشيرها على بعض العوامل التي من شأنها العمل على تطوير جودة الخدمات المقدمة في مستشفى باتنة على المدى البعيد. وعليه، فإن هذه الدراسة تعتبر خطوة مبدئية للحث على القيام بمزيد من الدراسات في هذا المجال.

3. **أهداف البحث:**

تهدف هذه الدراسة بشكل أساسي إلى رصد اثر تطبيق إدارة الجودة الشاملة على جودة الخدمة الصحية في المستشفى، وتحديد ما إذا كان الرضا الوظيفي كمتغير وسيط يعزز هذا الأثر أم لا. وذلك من خلال تحقيق الأهداف التالية: تحديد أثر إدارة الجودة الشاملة على جودة الخدمة الصحية في المستشفى؛

- اختبار أثر إدارة الجودة الشاملة على الرضا الوظيفي للعامل في المستشفى؛
- تحديد أثر الرضا الوظيفي على جودة الخدمة الصحية المقدمة في المستشفى؛
- دراسة دور الرضا الوظيفي كمتغير وسيط في تعديل أثر إدارة الجودة الشاملة على وجودة الخدمة الصحية المقدمة في المستشفى.

4 . فرضيات الدراسة:

تكمن فرضيات الدراسة في أربع فرضيات رئيسية، وهي:

-الفرضية الأولى:

يوجد أثر معنوي مباشر لإدارة الجودة الشاملة على جودة الخدمة الصحية في المستشفى.

-الفرضية الثانية:

يوجد أثر معنوي مباشر لإدارة الجودة الشاملة على الرضا الوظيفي في المستشفى.

-الفرضية الثالثة:

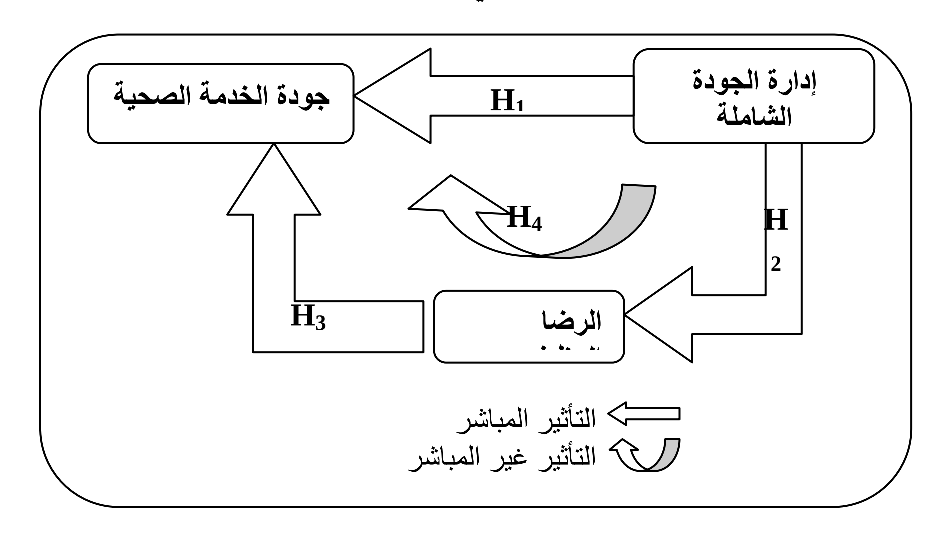
يوجد أثر معنوي مباشر للرضا الوظيفي على وجودة الخدمة الصحية في المستشفى.

-الفرضية الرابعة:

يوجد تأثير معنوي لإدارة الجودة الشاملة على وجودة الخدمة الصحية من خلال الرضا الوظيفي كمتغير وسيط.

5. نموذج الدراسة:

لمعالجة مشكلة الدراسة واختبار فرضياتها تطلب بناء نموذج شمولي مقترح يتكون من ثلاث متغيرات مرتبطة مع بعضها البعض وهي إدارة الجودة الشاملة والرضا الوظيفي وجودة الخدمة المقدمة، حيث يقترح النموذج وجود اثر مباشر لإدارة الجودة الشاملة على الرضا الوظيفي وعلى جودة الخدمة المقدمة. وكذلك وجود اثر مباشر للرضا الوظيفي على جودة الخدمة المقدمة، بينما يوجد اثر غير مباشر لإدارة الجودة الشاملة على جودة الخدمة المقدمة من خلال الرضا الوظيفي كمتغير وسيط.



شكل (1): نموذج مقترح للدراسة /المصدر: من إعداد الباحثتين

ثانيا: الإطـار النظري للدراســة

1. خلفية نظرية حول إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات الصحية

1.1. مفهوم إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات الصحية

إن مفهوم إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات الصحية لا يختلف عما قدمه خبراء الجودة أمثال ديمينغ، جورانن كروزبي وايشيكاو، والتي بدأ تطبيقها في القطاع الصناعي ثم امتدت تدريجيا إلى القطاعات الأخرى بما فيها الخدمات الصحية. فمن حيث المحتوى، تعرف إدارة الجودة الشاملة بأنها عملية ترتكز على منع وقوع الأخطاء أو الاختلافات في مستوى وأسلوب تقديم الخدمة بالقضاء على مسببات هذه الأخطاء والاختلافات مسبقا. وتعرف أيضا على أنها إطار تنظيمي تلتزم من خلاله المنظمات الصحية والعاملون فيها بمراقبة وتقويم جميع جوانب نشاط هذه المنظمات (المدخلات والعمليات والمخرجات) لتحسينها بشكل مستمر.[1] يتضح من التعريفين السابقين أن إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات الصحية هي أسلوب لتحسين فاعلية العمل بشكل عام، وأنها طريقة للتنظيم تشمل المؤسسة بأكملها، وفي ذلك جميع الأنشطة والعاملين على كل المستويات.

---

[1] – حنان عبد الرحيم الأحمدي، "التحسين المستمر للجودة: المفهوم وكيفية التطبيق في المنظمات الصحية"، مجلة الإدارة العامة، المجلد 40، العدد 3، الرياض، أكتوبر 2000، ص. 414.

أما من المنظور الإداري، فإن إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات الصحية تعرف بأنها الاستراتيجية الشاملة التي تهدف من ورائها المؤسسة إلى تحقيق التغيرات في الخصائص والصفات التي تمكن الأفراد جميعهم، المهنيون وهم الأطباء وكوادر التمريض والفنيون والمرضى على حد سواء، من التعلم على استخدام طرق وأساليب الجودة بالشكل الذي يحقق الوفرة بالتكاليف، بالإضافة إلى تلبية متطلبات المرضى والعملاء الآخرين الذين يطلبون الرعاية الصحية.[1] وبناء عليه، فإن هذا التعريف يعتبر إدارة الجودة الشاملة تساهم في بناء استراتيجيات التركيز على المريض وتطبيق برامج التخطيط الفعالة، بالإضافة إلى تنفيذ البرامج التدريبية الضرورية لكافة الأفراد العاملين في أنظمة الرعاية الصحية. وباعتبار أن شمولية إدارة الجودة تمتد إلى تضمينها العامل الزمني والاستمرارية، فإنها تعرف بأنها عملية ذاتية شاملة متسلسلة لضمان التحسين المستمر في جودة الخدمات وبما يتناسب مع حاجة كل مواطن وسهولة الحصول عليها.[2] كما عرفت أيضا على أنها فلسفة واسعة وعريضة في كيفية جعل مجاميع مختلفة من الأفراد تجتمع معا لإنجاز غرض عام، وتسمح لهم فهم طبيعة وأهمية ما يقدمونه من خدمات، وأن يضعوا طاقاتهم وإمكانياتهم في تحقيق التحسين المستمر ولهذا يطلق على إدارة الجودة الشاملة المعرفة المعمقة أو معرفة التحسين.[3]

2.1. مبادئ وركائز إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات الصحية

عندما يتعين على إدارة المؤسسة الصحية استخدام أسلوب إدارة الجودة الشاملة، فإن عليها أن تعتني بالركائز التالية:[4]

- القوى البشرية: إن المهارات والكفاءات البشرية الطبية والتمريضية وحتى الإدارية تعتبر من الأساسيات التي تحقق أهداف المؤسسة، مما يجعل المؤسسة تضع بعين الاعتبار تدريب وتحفيز وتطوير تلك الكوادر من اجل الوصول إلى تقديم خدمات طبية مميزة؛

- المشاركة والتحفيز: من خلال تشجيع الإبداع والتطوير وبث روح المشاركة بين العاملين من اجل العمل كفريق؛

- المعلومات والتغذية العكسية: إن توفير المقاييس والمواصفات والمعايير والمعلومات تشكل عنصرا هاما في تحقيق الأهداف وان صحة المعلومات ودقتها تساعد في اتخاذ قرارات سليمة؛

- التحسين المستمر: يتطلب التحسين المستمر مواكبة التطورات العلمية والتكنولوجية وقد بين (وابت) مكونات التحسين المستمر بتنميط وتوثيق الإجراءات وتحديد النشاطات التي تحتاج إلى تحسين وتطوير واستخدام طرق التحليل وأدوات حل المشاكل بالإضافة إلى توثيق إجراءات التحسن؛

-التزام الإدارة العليا بإدارة الجودة الشاملة: ويتمثل التزام الإدارة العليا بتعزيز ثقافة الجودة وتطوير إمكانيات وقدرات الموظفين وتوفير رؤية استراتيجية وسياسات ثابتة وواضحة للمؤسسة؛

---

[1]- عبد الستار العلي، تطبيقات في إدارة الجودة الشاملة، الطبعة الأولى، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2008، ص ص.300-301.

[2]- د. حنان محمود مخيبر، ادارة المستشفيات، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، دمشق، 2010، ص.115.

[3]- سعد علي العنزي، الإدارة الصحية، دار اليازوري العلمية للنشر، عمان،2009 ،ص.238 .

[4]- مأمون الدراركة، الجودة في المنظمات الحديثة، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2002، ص.47.

- القرارات المبنية على الحقائق وتجاوز الأخطاء وتجنبها؛

- المناخ التنظيمي: تهيئة المؤسسة لاستخدام أسلوب إدارة الجودة الشاملة واعتبارها ثقافة للتنظيم حيث يتم نشر هذه الثقافة بين العاملين والمرضى والمراجعين، ويتم أيضا تصميم النشاطات على أساس تعزيز ثقافة الجودة الشاملة؛

- التركيز على العميل: يشمل مصطلح العميل في إدارة الجودة الشاملة كلا من العميل الداخلي والعميل الخارجي. ويقصد بالعميل الخارجي ذلك الفرد الذي تتمحور حوله كافة الأنشطة والجهود من أجل تحقيق رغباته، وتحفيزه على اقتناء المنتج، أما العميل الداخلي فيمثل الأفراد العاملين في الوحدات التنظيمية المختلفة للمؤسسة. وقد أشارت منظمة الجودة البريطانية للعملاء بشمولية أكبر، حيث عرفت العملاء بأنهم المستثمرون والموظفون وأصحاب المصالح والموردون والمجتمع بأسره وأي شخص له علاقة معينة بالمؤسسة.

ولذلك، ينبغي على المؤسسة أن تضع في حساباتها الأنشطة التي من شأنها أن تحقق للعميل جودة عالية التي تنسجم مع ضرورة تعزيز الثقة بينه وبين المؤسسة.[1]

2. إطار نظري حول جودة الخدمة الصحية

1.2. مفهوم جودة الخدمة الصحية:

يعتبر مفهوم جودة الخدمة الصحية من المفاهيم الغامضة التي يصعب إيجاد تعريف لها وقياسها بدقة. فليس هناك اتفاق عام بين المهتمين بهذا الموضوع على تعريف معياري موحد ومقبول، حيث ينظر كل منهم إلى هذا المفهوم من زاوية معينة. وبالتالي، يتعامل معه ويركز فيه على نقاط قد يختلف فيها مع غيره.[2] فجودة الخدمة الصحية من المنظور الطبي والمهني هي تقديم أفضل الخدمات وفق أحدث التطورات العلمية والمهنية ويتحكم في ذلك أخلاقيات ممارسة المهنة ونوعيتها وطبيعة الخدمة الصحية المقدمة. أما من المنظور الإداري فيعني كيفية استخدام الموارد المتاحة والمتوفرة والقدرة على جذب المزيد من الموارد لتغطية الاحتياجات اللازمة لتقديم خدمة متميزة. ومن وجهة نظر المريض، وهو الأهم، فتعني جودة الخدمة الصحية طريقة الحصول عليها ونتيجتها النهائية.[3]

أما تعريف الهيئة الأمريكية المشتركة لاعتماد منظمات الرعاية الصحية فيصف الجودة على أنها "درجة الالتزام بالمعايير المتعارف عليها لتحديد مستوى جيد من الممارسة ومعرفة النتائج المتوقعة لخدمة أو إجراء أو تشخيص أو معالجة مشكلة طبية معينة".[4]

ويتضح من هذا التعريف أن الجودة تحدد على أساس الالتزام بالمعايير المهنية، وتقاس بأثر رجعي باستخدام المعايير المحددة مسبقا، وبهدف التحسين والتطوير المستمر.

---

[1] – خضير كاظم حمود، إدارة الجودة الشاملة، دار المسيرة للنشر والطباعة، الطبعة الثانية، عمان،2005، ص.99.

[2] – فريد توفيق نصيرات، إدارة منظمات الرعاية الصحية. دار إثراء للنشر والتوزيع، عمان، 2008، ص 83.

[3] – عبود على السكري وآخرون، "تقييم جودة الخدمات الصحية في مستشفى الديوانية التعليمي"، مجلة القادسية للعلوم الإدارية والاجتماعية، مجلد 11، العدد 3، 2009، ص5.

[4] – عبد العزيز مخيمر، محمّد الطعامنة، الاتجاهات الحديثة في إدارة المستشفيات (مفاهيم وتطبيقات)، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، جمهورية مصر العربية، 2003، ص 187.

2.2. أبعاد (مؤشرات) جودة الخدمة الصحية

-الاعتمادية:

أوضح لوفلوك (lovelock) بأن الاعتمادية تشير إلى قدرة مقدم الخدمة على الوفاء والالتزام بتقديم الخدمة باعتماد ودقة وثبات.[1] وبين البكري بأن المعولية في الخدمة الصحية تعني القدرة على الأداء في إنجاز ما تم تحديده مسبقا وبشكل دقيق ويمثل هذا البعد (32%) كأهمية نسبية في الجودة قياسا بالأبعاد الأخرى. وأن من معايير التقييم لبعد الاعتمادية الآتي: دقة السجلات المعتمدة في إدارة المستشفى، المواعيد الدقيقة في الإجراءات الطبية.[2]

-الاستجابة:

يرى لوفلوك بأن الاستجابة تعني قدرة مقدم الخدمة وسرعة استجابته بالرد على طلبات المستفيدين واستفساراتهم.[3] وذكر البكري بان الاستجابة تعني المساعدة الحقيقية في تقديم الخدمة إلى المستفيد (المريض)، ويمثل هذا البعد (22%) كأهمية نسبية في الجودة قياسا بالأبعاد الأخرى.[4]

- الضمان:

أشار محمود والعلاق إلى أن هذا البعد هو العهد ويقصد به معلومات القائمين على تقديم الخدمة وكياستهم، وقدرتهم على استلهام الثقة والائتمان.[5] أما البكري فقد أطلق عليه تسمية التأكيد ويقصد بها السمات التي يتسم بها العاملون من معرفة وقدرة وثقة في تقديم الخدمة ويمثل هذا البعد (19%) كأهمية نسبية في الجودة قياسا بالأبعاد الأخرى، ومن معايير تقييم جودة الخدمة الصحية بموجب هذا البعد الآتي: سمعة ومكانة المستشفى عالية، المعرفة والمهارة المتميزة للأطباء والملاك التمريضي، الصفات الشخصية للعاملين.[6]

- التعاطف:

يرى كل من باراسيرامان وآخرون (Parasuraman, et.al) بأن بعد التقمص العاطفي يشتمل على المتغيرات التالية: اهتمام العاملين في المستشفى بالمستفيدين اهتماما شخصيا، تفهم العاملين في المنظمة لحاجات المستفيدين، ملاءمة ساعات عمل المنظمة لتناسب جميع المستفيدين، حرص المنظمة على المصلحة العليا للمستفيدين.[7] كما يرى البكري أن التعاطف يعني درجة الرعاية والاهتمام الشخصي بالمستفيد، ويمثل

---

[1] - Lovelock .C. Service Marketing, 3rd ed. prentice- Hall, international Edition، New York, 1996, p 465.

[2]- تامر ياسر البكري، تسويق الخدمات الصحية، دار اليازوري، عمان، 2005، ص ص212-231.

[3] - Lovelock .C, op.cit.,p.456.

[4]- البكري، مرجع سابق، ص ص212-231.

[5]- أحمد محمود، بشير العلاق، "العلاقة المنطقية بين جودة الخدمة بالإدراك ورضا المستفيد (دراسة تحليلة)"، مجلة اربد للبحوث والدراسات، المجلد 3، العدد 2، 2001، ص42.

[6]- البكري، مرجع سابق، ص ص 212-231

[7]- Parasuraman A, Zeithmal, Valarie A, & Berry Leonard, "SERVQUAL: A multiple-Item Scale Measuring- Customer Perception of Service Quality", Journal of Retailing, 1988,Vol 64, No 1,pp12-14.

هذا البعد (16%) كأهمية نسبية في الجودة قياسا بالأبعاد الأخرى، ومن معايير التقييم لهذا البعد: الاهتمام الشخصي بالمريض، الإصغاء الكامل لشكوى المريض، تلبية حاجات المريض بروح من الود واللطف.[1]

- الملموسية:

أشار زيتمال وبرايتنر (Zeithmal & Britner) إلى أن الجوانب المتعلقة بملموسية الخدمة هي المباني وتقانة المعلومات والاتصالات المستخدمة فيه، والتسهيلات الداخلية للأبنية والتجهيزات اللازمة لتقديم الخدمة، والمظهر الخارجي للعاملين، والترتيبات الداخلية للمنظمة الصحية، ومواقع الانتظار للمستفيد من الخدمة، وغير ذلك.[2] وأوضح البكري أن الملموسية تتمثل بالقدرات والتسهيلات المادية والتجهيزات والأفراد ومعدات الاتصال، ويمثل هذا البعد (11%) كأهمية نسبية قياسا بالأبعاد الأخرى، ومن معايير التقييم لهذا البعد: الأدوات المستخدمة في التشخيص والعلاج، المظهر الخارجي لمقدمي الخدمة، وأماكن الانتظار والاستقبال المناسبة.[3]

ومما سبق يتضح أن الدراسات أثبتت أنه على الرغم من النظر إلى الأبعاد الخمسة على أنها ضرورية إلا أن الوزن النسبي لها يختلف من زبون لآخر، ومن منظمة لأخرى. إلا أن بعد الاعتمادية يظل في جميع الأحوال في المرتبة الأولى كأهم عنصر أو بعد يعكس جودة الخدمة، بغض النظر عن طبيعة الخدمة.[4]

3. **إطار نظري حول الرضا الوظيفي**

1.3. مفهوم الرضا الوظيفي:

لقد اختلف الباحثون في تحديد مفهوم الرضا الوظيفي أو ما يعرف أحياناً بالرضا عن العمل بأنه "الشعور النفسي بالقناعة والارتياح والسعادة لإشباع الرغبات والحاجات والتوقعات مع العمل نفسه ومحتوى بيئة العمل ومع الثقة والولاء والانتماء للعمل ومع العوامل والمؤشرات الأخرى ذات العلاقة".[5]

يعتبر الرضا في العمل أنه الحالة النفسية أو الانفعالية السارة التي يصل إليها الموظف، عند درجة إشباع معينة، تحدث له جراء تعرضه لمجموعة من العوامل النفسية، الاجتماعية، المهنية والمادية.[6]

---

[1]– البكري، مرجع سابق، ص 212 .

[2] - Zeithmal, Valarie A, and Britner M, op.cit.,pp 28-31

[3]– البكري، مرجع سابق، ص 212 .

[4]– عوض بدير، تسويق الخدمات المصرفية، البيان للطباعة والنشر، القاهرة، 1999، ص 345، نقلا عن قاسم نايف المحياوي، إدارة الجودة في الخدمات: مفاهيم وتطبيقات وعمليات، الطبعة الأولى، دار الشروق، عمان، 2006، ص 96.

[5]– فلمبان، ايناس فؤاد نواوي، الرضا الوظيفي وعلاقته بالالتزام التنظيمي لدى المشرفين التربويين والمشرفات التربويات بإدارة التربية والتعليم بمدينة مكة المكرمة، رسالة ماجستير، قسم الإدارة التربوية والتخطيط، جامعة ام القرى بمكة، الفصل الثاني لعام 1428.1429هـ، ص9.

[6] – الشمري، سالم عواد، الرضا الوظيفي لدى العاملين وآثاره على الأداء الوظيفي، دراسة تطبيقية على (القطاع الصناعي في عمليات الخفجي المشتركة)، ملتقى البحث العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الاقتصاد والإدارة، قسم إدارة الأعمال، ص. 13، www.ressrs.info.

ويعرف الرضا الوظيفي أيضا بأنه شعور الفرد بالسعادة والارتياح أثناء أدائه لعمله، ويتحقق ذلك بالتوافق مع ما يتوقعه الفرد من عمله ومقدار ما يحصل عليه فعلا في هذا الموضوع.[1]

ويعرفه محمّد الحسن التيجاني أنه تجميع للظروف النفسية والفسيولوجية والبيئية التي تحيط علاقة الموظف بزملائه ورؤسائه وتتوافق مع شخصيته.[2] فرضا الفرد عن وظيفته يؤدي إلى الكفاية الإنتاجية العالية. فالفرد الراضي عن وظيفته أو مهنته يقبل عليها بهمة ونشاط ويكون سعيدا بها مما يزيد من كفايته الإنتاجية.

في مجال الموارد البشرية يعتبر الرضا في العمل مصطلح جوهري في فهم الاتجاهات والمواقف في العمل. وعادة يدرس الرضا الوظيفي باعتباره المتغير المفسر لـ: الفعالية التنظيمية، الأداء، الإضرابات، مقاومة التغيير. وبالمقابل تؤكد نتائج دراسات حديثة في مجال التسويق أن الرضا الوظيفي لعمال الواجهة له تأثير ايجابي على جودة الخدمة المدركة وعلى رضا الزبون.

2.3. نماذج قياس الرضا الوظيفي

إن معرفة اتجاهات الأفراد نحو العمل ليست بالعملية السهلة لأنه من الصعب معرفة حقيقة تلك الاتجاهات بدقة من خلال الملاحظة واستنتاجها بدقة من خلال سلوك الفرد، فإلى حد كبير يعتمد قياس الرضا عن العمل على ما يذكره الفرد وعادة لا يفصح أو لا يستطيع الإفصاح بصورة صادقة عما بداخله، ويمكن حصر الأساليب المستخدمة في الوقت الحاضر في أسلوبين:[3]

1. المقاييس الموضوعية:

حيث يمكن قياس اتجاه العاملين ورضاهم عن طريق استخدام أساليب معينة مثل: الغياب، معدل الاستقالة أو ترك العمل، معدل الحوادث في العمل، وكذلك معدل الشكاوي ومستوى إنتاج الموظف.

2. المقاييس الذاتية:

وهي التي تعتمد على جمع المعلومات من العاملين باستخدام وسائل محددة مثل: تصميم استمارة الاستقصاء تتضمن قائمة أسئلة خاصة بالرضا الوظيفي توجه إلى العاملين بالمنظمة من أجل معرفة درجة رضاهم عن العمل، أو باستخدام طريقة المقابلات الشخصية التي يجريها الباحثين مع العاملين في المنظمة ولكل طريقة مزاياها وعيوبها وظروف استخدامها.

وقد بذل الباحثون والمنظرون في السلوك التنظيمي جهود كبيرة من أجل تطوير بعض المقاييس تكون أكثر صدق وثبات، وسنتعرض لأهم الطرق الرئيسية المستخدمة في قياس الرضا نذكر منها: المقاييس الرتيبة والاستبيانات ذات المقاييس المقننة، أسلوب الأحداث الحرجة، المقابلات الشخصية. وهي كما يلي:[4]

---

[1] – الفالح، نايف بن سليمان، "الثقافة التنظيمية وعلاقتها بالرضا الوظيفي في الأجهزة الأمنية"، رسالة ماجستير، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2001، ص. 71.

[2] – محمّد الحسن التيجاني يوسف، "التحفيز وأثره في تحقيق الرضا الوظيفي لدى العاملين في منشآت القطاع الصناعي بالمدينة الصناعية مكة المكرمة"، رسالة ماجستير، الأكاديمية العربية البريطانية للتعليم العالي، ص. 59.

[3] – راوية حسن، السلوك التنظيمي المعاصر، الدار الجامعية، الإسكندرية، 2004، ص. 170.

[4] – راوية حسن، مرجع سابق، ص. 198.

1. **المقاييس الرتيبة والاستبيانات ذات المقاييس المقننة:**

وهي من أكثر الطرق المستخدمة لقياس الرضا الوظيفي باستعمال قوائم الاستقصاء ومن أهم المقاييس المستعملة الآتي:

- **الاستبانة الوصفية للوظيفة (JDI):**

وتقيس معدلات الرضا لخمسة جوانب مختلفة للوظيفة وهي: الوظيفة نفسها، الأجر، فرص الترقية، الإشراف، الزملاء، وضمن كل بعد من هذه الأبعاد قائمة بكلمات أو جمل قصيرة، على العامل أو الموظف أن يحدد ما إذا كانت العبارة تصف الوظيفة أم لا باستخدام إجابات من نوع الإثبات أو النفي أو عدم المعرفة.

- **استبانة مينسوتا لقياس الرضا الوظيفي (MSQ): Minnesota Satisfaction Questionnaire**

وهو مقياس شائع الاستخدام حيث يعبر الفرد عن مدى رضاه من عدمه، حول بعض الجوانب المتعلقة بالوظيفة مثل: الأجر، الترقية، كفاءة الإشراف، أما مقياس التقدير فيتراوح بين راضي جدا إلى غير راضي جدا.

ويشمل هذا المقياس مجموعة من العناصر، منها: استخدام المهارات، الانجازات الشخصية، النشاط في العمل، فرص التقدم داخل الشركة، العلاقات مع المرؤوسين، سياسات وممارسات المنظمة، الراتب الذي يتقاضاه مقابل العمل، العلاقات والجو السائد بين الزملاء، القدرة على الابتكار وتجربة طرق أخرى للعمل، القدرة على العمل بشكل مستقل، القيمة الأخلاقية، الامتنان أو الاعتراف بالعمل المنجز، القدرة على تحمل المسؤولية واتخاذ القرارات، الأمن والاستقرار في العمل، الحالة الاجتماعية، العلاقات مع الرؤساء، المهارات الفنية للمشرفين، التنوع في المهام للإنجاز، ظروف العمل.[1]

وقد قام Roussel بإعداد سلم يحوي خمسة أبعاد، وهي:[2]

- الرضا الداخلي؛
- بيئة وجو العمل؛
- حاجات العلاقات الاجتماعية؛
- التقدم والأجر؛
- احترام قيم العامل.

- **مقياس الرضا عن الأجر (PSQ):**

وهو يهتم بالحالات النفسية اتجاه العوامل المختلفة لجوانب أنظمة الأجور ويتم الإجابة عليه في مقياس متدرج من خمسة مستويات.

2. **أسلوب الأحداث الحرجة:**

[1]- cité par Moutte Jelie, «La relation personnel en contact-client : une relation donnant-donnant ?: une approche exploratoire», les 15èmes Journées Internationales d'Etudes et de Recherches de l'Institut Psychanalyse et Management, Lyon, 14 et 15 Novembre 2006, P. 05-06.

[2] - ibid. P. 06 .

وهو أسلوب يعرف بطريقة القصة لهيرزبرج يتم من خلاله قياس وتقييم الرضا الوظيفي لدى الأفراد، حيث يطلب من الأفراد أن يصف بعض الأحداث المرتبطة بعمله، والتي حققت له الرضا أو عدمه، ثم يتم اختبار وفحص الإجابات لاكتشاف عوامل أو مسببات الرضا أو عدمه، فمثلا إذا ذكر العديد من الأفراد مواقف في العمل تعرضوا فيها لمعاملة سيئة من المشرف أو يمتد دون المسرف لمعاملته الطيبة يظهر أن نمط الإشراف يلعب دورا هاما في الرضا الوظيفي لدى الأفراد.

3. المقابلات الشخصية:

وهي تتضمن مقابلة الأفراد بصفة شخصية وجها لوجه حيث يمكن للفرد أن يفصح عن بعض الأمور والاتجاهات التي لا يمكن الحصول عليها من قوائم الاستقصاء وبالتالي التعرف على الأسباب التي تكون وراء الرضا أو عدم رضا العاملين، وتكون أكثر فاعلية في المنظمات الصغيرة، وخاصة إذا تم التخطيط لها من قبل مختصين في المقابلات الشخصية، وتقل فعاليتها في المنظمات الكبيرة لأن الأفراد في الغالب يخشون الإفصاح على أمور قد تضر بمصالحهم خاصة إذا تعارضت تلك الأمور مع توجهات ومصالح المنظمة.[1]

ثالثا: الدراسة الميدانية

1. مجتمع وعينة الدراسة:

يتمثل المجتمع الكلي لهذه الدراسة في عمال المستشفى الجامعي بباتنة (ممرضون، أطباء، إداريون، عمال). والبالغ عددهم الإجمالي 1494. واستهدفت عينة عشوائية طبقية من أفراد المجتمع. وقد تم توزيع 210 استمارة وبعد تفريغ مجموع الاستبيانات تم استبعاد47 استبيان لعدم صلاحيتها بسبب نقص المعلومات الواردة فيها، أو لامتناع البعض الآخر عن الإجابة. ليبلغ عدد الاستمارات الصالحة للتحليل 163 استمارة، وبذلك تمثل العينة ما نسبته 77.61% من إجمالي الاستمارات الموزعة. والجدول رقم (1) يوضح توزيع الأفراد حسب الوظيفة لهذه العينة:

الجدول رقم (1): توزيع الأفراد حسب الوظيفة

الوظيفة	العدد الإجمالي للمجتمع	العينة	النسب المئوية بالنسبة للمجتمع	النسب المئوية بالنسبة للعينة الاجمالية
ممرض	966	69	7.14	%42.34
طبيب	206	28	1.88	%17.18
إداري	113	47	3.15	%28.83
عامل	206	19	1.28	%11.65
المجموع	1494	163	13.45	100%

2. أداة الدراسة ووسائل جمع البيانات:

1 – راوية حسن، مرجع سابق، ص 198.

تم الاعتماد في جمع البيانات والمعلومات للدراسة الميدانية على المصادر الأولية، تتمثل في تصميم وتطوير استبيان، وذلك استنادا على الأدب النظري في الموضوع بهدف الحصول على البيانات من أفراد مجتمع الدراسة. ويتكون هذا الاستبيان من 16 عبارة تغطي مبادئ إدارة الجودة الشاملة اذ تم انتقاء أربع مبادىء أساسية تتناسب مع اهداف الدراسة، و12 عبارة تغطي محددات الرضا الوظيفي وقد تم اختيار هذه الأبعاد وفقا لنموذج **مينسوتا**، و20 عبارة تغطي الأبعاد الخمسة لجودة الخدمة الصحية.

3. المعالجة الإحصائية وتحليل وتفسير النتائج

1.3. أدوات التحليل الإحصائي

تمت معالجة البيانات لغرض اختبار نموذج الدراسة وفرضياتها، وذلك من خلال استخدام برنامج SPSS وتم استخدام الأساليب الإحصائية الوصفية، إضافة إلى استخدام معامل الارتباط وتحليل تباين الانحدارANOVA والانحدار البسيط لاختبار الفرضيات الثلاثة الأولى. واستعمل تحليل المسار باستخدام برنامج AMOS لاختبار الفرضية الرابعة.

2.3. صدق وثبات أداة الدراسة

تم الاعتماد على استمارة الاستبيان بوصفها مصدرا رئيسيا لجمع البيانات، حيث اعتمد سلم ليكرت ذو خمس مستويات. وتم عرض الأداة على عدد من المحكمين من أصحاب الخبرة والتخصص، وقد أبدوا آرائهم واقتراحاتهم والتي على أساسها استقرت على وضعها النهائي الذي تم توزيعه على العينة المبحوثة. كما تم حساب الاتساق الداخلي للاستبانة وذلك من خلال حساب معاملات الارتباط بين كل فقرة من فقرات محاور الاستبانة والدرجة الكلية للمحور نفسه، وتبين أن معاملات الارتباط دالة عند مستوي معنوية 0.05 =α. وبذلك يعتبر كل محور صادق لما وضع له. أما الصدق البنائي فاستخدم لقياس مدى تحقق الأهداف التي تريد الأداة الوصول إليها، وتبين أن جميع معاملات الارتباط في جميع محاور الاستبانة دالة إحصائياً عند مستوي معنوية 0.05 =α، وبذلك تعتبر جميع محاور الاستبانة صادقه لما وضعت لقياسه. واستعمل معامل ألفا كرونباخ لقياس مدى ثبات أداة القياس، حيث بلغت قيمته 85% كما يوضحه الجدول (2)، وبذلك تقبل نتائج التحليل المبنية على هذه الاستمارة.

الجدول رقم (2): ثبات أداة القياس

المقياس	عدد الفقرات	معامل ألفا كرونباخ
إدارة الجودة الشاملة	16	0.81
الرضا الوظيفي	12	0.85
جودة الخدمة	20	0.77
الكلي	48	0.85

2.3. التحليل الوصفي لمتغيرات الدراسة

1.3.3. ترتيب استجابات أفراد العينة على مؤشرات إدارة الجودة الشاملة:

الجدول رقم (3): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمؤشرات إدارة الجودة الشاملة

مؤشرات الدراسة	الرتبة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الموافقة
التزام الإدارة العليا	1	2.96	.99	متوسطة
التركيز على العميل	2	2.83	.88	متوسطة
التحسين المستمر	3	2.67	.75	متوسطة
مشاركة العاملين	4	2.54	.93	ضعيف
إدارة الجودة الشاملة		2.75	0.72	متوسطة

يوضح الجدول رقم (3) أن المتوسط الحسابي لمتغير إدارة الجودة الشاملة إجمالا يساوي (2.75)، وهي قيمة إيجابية متوسطة تشير إلى اتفاق المستجوبين على أهمية تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المستشفى، وأعطت العينة المبحوثة الأولوية لالتزام الإدارة العليا بمتوسط حسابي (2.96)، مما يشير إلى اهتمام متوسط للإدارة العليا والتزامها بنشر هذه الثقافة، ثم التركيز على العميل جاء في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي متوسط (2.83). مما يشير إلى الوعي العام بأهمية ورضا العميل، ثم مؤشر التحسين المستمر بمتوسط حسابي متوسط (2.67). غير أن مشاركة العاملين جاءت في المرتبة الأخيرة بمتوسط حسابي ضعيف (2.54) مما يدل على إهمال الإدارة رأي العاملين ومشاركتهم في اتخاذ القرارات.

2.3.3. **ترتيب استجابات أفراد العينة على أبعاد جودة الخدمة الصحية**

الجدول رقم (4): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأبعد جودة الخدمة الصحية

مؤشرات الدراسة	الرتبة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الموافقة
الملموسية	2	2.92	1.18	متوسطة
الاعتمادية	5	2.23	1.03	ضعيف
الاستجابة	3	2.50	1.13	ضعيف
الأمان	4	2.26	1.13	ضعيف
التعاطف	1	3.30	1.38	متوسطة
جودة الخدمة		2.64	0.85	متوسطة

إن مؤشر جودة الخدمة كان على درجة من الأهمية من وجهة نظر العاملين حيث كان متوسطه الحسابي (2.64). وقد احتل بعد التعاطف المرتبة الأولى بدرجة موافقة متوسطة، وهذا راجع إلى طبيعة وخصوصية هذه الخدمة التي تحتاج هذا البعد أثناء التعامل، ثم بعد الملموسية بنفس الدرجة مما يعكس الجهود المبذولة من طرف الدولة في هذا المجال. أما باقي الأبعاد فقد كانت درجة الموافقة عليها ضعيف مما يستوجب الاهتمام بها، كالاعتمادية التي جاءت في المرتبة الأخيرة، والتي تعتبر أهم بعد ثم بعد الأمان الذي كان

متوسطه الحسابي (2.26)، وقبله بعد الاستجابة الذي يوضح نقص فعالية هذا الأخير في تحسين مستوى أداء الخدمات الصحية المقدمة في المستشفى الجامعي بمدينة باتنة.

3.3.3.ترتيب استجابات أفراد العينة على مؤشرات الرضا الوظيفي

الجدول رقم (5): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمؤشرات الرضا الوظيفي

مؤشرات الدراسة	الرتبة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الموافقة
التقدم والأجر	1	2.77	1.23	متوسطة
كفاءة الإشراف	3	2.42	1.18	ضعيف
ظروف العمل	2	2.65	1.13	متوسطة
الرضا الوظيفي		2.61	1.04	متوسطة

يوضح الجدول رقم (5) أن المتوسط الحسابي لمتغير الرضا الوظيفي بلغ (2.61)، وهي قيمة إيجابية متوسطة تشير إلى اتفاق المستجوبين على أهمية الرضا الوظيفي للعامل في المستشفى، وأعطت العينة المبحوثة الأولوية للتقدم والأجر بمتوسط حسابي (2.77)، مما يشير إلى أهمية الأجر والتقدم في العمل بالنسبة للعامل، ثم ظروف العمل الذي جاء في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي متوسط (2.65)، مما يؤكد أن ظروف العمل تساعد على التقدم والتطور في العمل ومن ثم الزيادة في الأجر، غير أن كفاءة الإشراف جاءت في المرتبة الأخيرة بمتوسط حسابي ضعيف (2.42) وهذا يشير إلى أن المستشفى يعاني من نقص كفاءة الإطارات المشرفة على بقية العمال.

4.3. اختبار الفرضيات

أ. اختبار الفرضية الأولى

من أجل اختبار الفرضية الأولى نحتاج إلى وضع فرضيتين هما: فرضية العدم والفرضية البديلة، على اعتبار أن فرضية العدم خاضعة للاختبار أي أنها قد تكون غير صحيحة، مما يتطلب وضع الفرضية البديلة.

- H_0: لا يوجد أثر معنوي مباشر لإدارة الجودة الشاملة على جودة الخدمة في المستشفى.
- H_1: يوجد أثر معنوي مباشر لإدارة الجودة الشاملة على جودة الخدمة في المستشفى.

قبل التعرف على الأثر المعنوي المباشر لابد أولا من تحليل علاقة الارتباط بين إدارة الجودة الشاملة ومبادئها وجودة الخدمة الصحية، حسب ما يوضحه الجدول رقم (6):

الجدول رقم (6): معامل ارتباط بيرسون بين إدارة الجودة الشاملة وجودة الخدمة(n=163)

مؤشرات إدارة الجودة الشاملة	جودة الخدمة	مستوى المعنوية
التزام الإدارة العليا	0.46	000
التركيز على العميل	0.50	000
التحسين المستمر	0.70	000
مشاركة العاملين	0.60	000

إدارة الجودة الشاملة	0.69	000

يلاحظ من الجدول رقم (6) أنه توجد علاقة ارتباط ايجابية ومعنوية بين أبعاد إدارة الجودة الشاملة وجودة الخدمة حيث بلغت (0.69) وهي معنوية، ويتضح أيضا أن معامل الارتباط بين مؤشر التحسين المستمر جاء في المرتبة الأولى حيث بلغت قيمته (0.70)، ثم مؤشر مشاركة العاملين بقيمة (0.60)، يليه مؤشر التركيز على العميل بقيمة (0.50)، وفي الأخير جاء مؤشر التزام الإدارة العليا بمعامل ارتباط قيمته (0.46).

ولاختبار قدرة النموذج على التفسير، تم استخدام كل من معامل الارتباط (R) ومعامل التحديد (R^2)، ثم اختبار معنوية هذه النتائج باستخدام تحليل تباين الانحدارANOVA والجدول الموالي يوضح ذلك:

الجدول رقم (7): تحليل تباين الانحدار ANOVA واختبار معنوية معامل الانحدار وفقا لاختبار_ T_

نموذج	معاملات الانحدار		BETA	T	مستوى المعنوية لـ(T)	R	R^2	قيمةF المحسوبة	مستوى المعنوية لـ(F)
	B	الخطأ المعياري							
الثابت	.386	.223	-	1.72	.087	-	-	-	-
إدارة الجودة الشاملة	.819	.078	.693	10.44	.000	0.69	.480	109.13	0.000

يلاحظ من أن قيمة معامل التحديد (R^2) بلغت (0.48) وهذا يعني أن المتغيرات المستقلة تفسر معا ما نسبته 48% من التباين في المتغير التابع (جودة الخدمة) أما النسبة المتبقية فتعود إلى عوامل أخرى غير مدروسة. ومن أجل اختبار معنوية هذه النتيجة نجد قيمة F تقدر بـ (109.13) وهي معنوية لأن قيمة α بلغت (0.000) أي أقل من 0.05، وهذا ما يؤكد معنوية علاقة الارتباط الطردية بين إدارة الجودة الشاملة وجودة الخدمة المقدمة.

ومن أجل تحديد علاقة التأثير فقد تم اعتماد اختبار T لاختبار معنوية هذا التأثير، فالجدول أعلاه يوضح بأن قيمة معامل الانحدار بالنسبة لإدارة الجودة الشاملة بلغت (0.819) وقيمة T المقابلة لهذه الأخيرة هي (10.44) وهي معنوية إحصائيا، حيث بلغت قيمة مستوى المعنوية المحسوب (SIG) القيمة (0,000) وهي أقل من قيمة مستوى المعنوية المعتمد (0.05). وعليه، نرفض الفرضية الرئيسية الصفرية ونقبل الفرضية البديلة القائمة على وجود تأثير دال إحصائيا لإدارة الجودة الشاملة على جودة الخدمة.

ب. اختبار الفرضية الثانية

- H_0: لا يوجد أثر معنوي مباشر لإدارة الجودة الشاملة على الرضا الوظيفي في المستشفى.
- H_1: يوجد أثر معنوي مباشر لإدارة الجودة الشاملة على الرضا الوظيفي في المستشفى.

قبل التعرف على الأثر المعنوي المباشر لابد أولا من تحليل علاقة الارتباط بين إدارة الجودة الشاملة الرضا الوظيفي.

جدول رقم (8): معاملات ارتباط بيرسون بين إدارة الجودة الشاملة والرضا الوظيفي (n=163)

مؤشرات إدارة الجودة الشاملة	الرضا الوظيفي	مستوى المعنوية
التزام الإدارة العليا	.446	000
التركيز على العميل	.399	000
التحسين المستمر	.675	000
مشاركة العاملين	.617	000
إدارة الجودة الشاملة	.652	000

يلاحظ من الجدول رقم (8) أنه توجد علاقة ارتباط ايجابية ومعنوية بين أبعاد إدارة الجودة الشاملة الرضا الوظيفي حيث بلغت (0.65) وهي معنوية. كما أن معاملات ارتباط المؤشرات كانت قوية ومتوسطة ماعدا مؤشر التركيز على العميل الذي كان معامل ارتباطه ضعيف (0.39).

ثم نقوم باختبار قدرة النموذج على التفسير، من خلال استخدام كل من معامل الارتباط (R) ومعامل التحديد (R^2)، ثم اختبار معنوية هذه النتائج باستخدام تحليل تباين الانحدارANOVA والجدول الموالي يوضح ذلك:

الجدول رقم (9): تحليل تباين الانحدار ANOVA واختبار معنوية معامل الانحدار وفقا لاختبار _ T_

نموذج	معاملات الانحدار		BETA	T	مستوى معنوية لـ(T)	R	R^2	قيمةF المحسوبة	مستوى المعنوية لـ(F)
	B	الخطأ المعياري							
الثابت	.022	.286	-	.077	.938	-	-	-	-
إدارة الجودة الشاملة	.940	.101	.652	9.34	.000	0.652	0.42	87.34	0.000

نلاحظ من الجدول أعلاه أن قيمة معامل التحديد (R^2) بلغت (0.42) وهذا يعني أن المتغيرات المستقلة تفسر معا ما نسبته42% من التباين في المتغير التابع (الرضا الوظيفي) أما النسبة المتبقية فتعود إلى عوامل أخرى غير مدروسة. ومن أجل اختبار معنوية هذه النتيجة نجد قيمة F تقدر بـ (87.349) وهي معنوية لأن قيمة α بلغت (.000) أي أقل من 0.05، وهذا ما يؤكد معنوية علاقة الارتباط الطردية بين إدارة الجودة الشاملة والرضا الوظيفي.

ومن اجل تحديد علاقة التأثير فقد تم اعتماد اختبار T لاختبار معنوية هذا التأثير، وهو ما يوضحه الجدول رقم (9)، إذ أن قيمة معامل الانحدار بالنسبة لإدارة الجودة الشاملة بلغت (0.940) وقيمة T المقابلة لهذه الأخيرة (9.346) وهي معنوية إحصائيا، حيث بلغت قيمة مستوى المعنوية المحسوب (SIG) القيمة (0,000) وهي أقل من قيمة مستوى المعنوية المعتمد. وعليه، نرفض الفرضية الرئيسية الصفرية ونقبل

الفرضية الرئيسية البديلة القائمة على وجود تأثير ذو دلالة معنوية لإدارة الجودة الشاملة على الرضا الوظيفي.

ج. اختبار الفرضية الثالثة

- H_0: لا يوجد أثر معنوي مباشر الرضا الوظيفي على جودة الخدمة المقدمة في المستشفى.
- H_3: يوجد أثر معنوي مباشر الرضا الوظيفي على جودة الخدمة المقدمة في المستشفى.

قبل التعرف على الأثر المعنوي المباشر لمتغيرات الدراسة لابد أولا من تحليل علاقة الارتباط بين الرضا الوظيفي وجودة الخدمة، من خلال الجدول التالي:

الجدول رقم (10): معاملات ارتباط بيرسون بين الرضا الوظيفي وجودة الخدمة (n=163)

مؤشرات الرضا الوظيفي	جودة الخدمة	مستوى المعنوية
التقدم والأجر	.576	000
كفاءة الاشراف	.663	000
ظروف العمل	616	000
الرضا الوظيفي	.704	000

يلاحظ من الجدول رقم (10) أنه توجد علاقة ارتباط ايجابية ومعنوية بين أبعاد الرضا الوظيفي وجودة الخدمة حيث بلغت (0.704) وهي معنوية، كما أن معاملات ارتباط مؤشراتها كانت ايجابية ومعنوية على العموم. أما عن اختبار قدرة النموذج على التفسير، من خلال استخدام كل من معامل الارتباط(R) ومعامل التحديد (R^2)، واختبار معنوية هذه النتائج باستخدام تحليل تباين الانحدارANOVA فكان من خلال الجدول الموالي:

الجدول رقم (11): تحليل تباين الانحدار ANOVA واختبار معنوية معامل الانحدار وفقا لاختبار _T_

نموذج	معاملات الانحدار B	معاملات الانحدار الخطأ المعياري	BETA	T	مستوى لمعنوية لـ(T)	R	R^2	قيمةF المحسوبة	مستوى المعنوية لـ(F)
الثابت	1.135	.151		7.535	.000	-	-	-	-
إدارة الجودة الشاملة	.577	.054	.704	10.75	.000	.704	.495	115.72	0.000

يلاحظ من الجدول رقم (11) أن قيمة معامل التحديد (R^2) بلغت (0.495) وهذا يعني أن المتغيرات المستقلة تفسر معا ما نسبته 49.5% من التباين في المتغير التابع (جودة الخدمة) أما النسبة المتبقية فتعود إلى عوامل أخرى غير مدروسة. ومن أجل اختبار معنوية هذه النتيجة نجد قيمة F تقدر بـ (115.727) وهي

معنوية لأن قيمة α بلغت (0.000) أي أقل من 0.05، وهذا ما يؤكد معنوية علاقة الارتباط الطردية بين الرضا الوظيفي وجودة الخدمة. ومن اجل تحديد علاقة التأثير فقد تم اعتماد اختبار T لاختبار معنوية هذا التأثير، والجدول رقم (11) يوضح بأن قيمة معامل الانحدار بالنسبة للرضا الوظيفي بلغت (0.577) وقيمة T المقابلة لهذه الأخيرة (10.75) وهي معنوية إحصائيا، حيث بلغت قيمة مستوى المعنوية المحسوب (SIG) القيمة (0,000) وهي أقل من قيمة مستوى المعنوية المعتمد. وعليه نرفض الفرضية الرئيسية الصفرية ونقبل الفرضية الرئيسية البديلة القائمة على وجود تأثير ذو دلالة معنوية للرضا الوظيفي غلى جودة الخدمة.

د. اختبار الفرضية الرابعة

- H_0: لا يوجد تأثير ذو دلالة معنوية لإدارة الجودة الشاملة على جودة الخدمة المقدمة من خلال الرضا الوظيفي كمتغير وسيط عند مستوى الدلالة 0.05.
- H_4: يوجد تأثير ذو دلالة معنوية لإدارة الجودة الشاملة على جودة الخدمة المقدمة من خلال الرضا الوظيفي كمتغير وسيط عند مستوى الدلالة 0.05.

لاختبار هذه الفرضية تم الاستعانة بتحليل المسار (Path Analysis) باستخدام برنامج AMOS 20 المدعوم ببرنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS20 لتحليل المسار. وللتأكد أولا من ملاءمة نموذج الدراسة تم إجراء تحليل معامل التأكد CFA باستخدام برنامج AMOS بغرض التقييم التجريبي للبناءات المتبناة، حيث أن معامل التأكد في معادلة نمذجة البناء SEM يسمح للباحث من مراقبة المؤشرات الخاصة بكل بعد.

والجدول رقم (12) يقدم مجموعة من مؤشرات صحة المواءمة (goodness-of-fit) لتقييم درجة تفسير النموذج للبيانات الملاحظة، حيث تم الاعتماد على ثمانية مقاييس شائعة لاختبار ملاءمة النموذج، وبمقارنة كل قيم مؤشرات الملاءمة مع القيم المقترح مطابقتها تم التأكد من الملائمة الجيدة لنموذج الدراسة.

الجدول رقم (12): مؤشرات قياس ملاءمة النموذج

مؤشرات الملائمة	القيم المقترحة	قيم المؤشرات
Chi-square/degree of freedom(2/df) مربع كاي/درجة الحرية	≤ 3.00	1.72
Goodness of fit (GFI) صحة الملائمة	≥ 0.9	0.907
Adjusted goodness of fit (AGFI) صحة الملائمة المعدلة	≥ 0.80	0.848
Normed fit index (NFI) مؤشر الملائمة الطبيعي	≥ 0.90	0.90
Comparative fit index (CFI) مؤشر الملائمة المقارن	≥ 0.90	0.95
Incremental Fit Index (IFI) مؤشر الملائمة المتزايد	≥ 0.90	0.95
Tucker-Lewis index (TLI) مؤشر توكر لويس	≥ 0.90	0.93
(RMSEA) الجذر التربيعي لمتوسط الأخطاء التقريبية	0.05 to 0.08	0.078

المصدر: تم إعداده بالاعتماد على نتائج AMOS بعد الاستعانة بـ:

(Office for faculty Excellence Fall, Huil Bian, Structural Equation Modeling With AMOS 2011), p.33.

أما النموذج الهيكلي للدراسة باستخدام برنامج AMOS فهو موضح حسب الشكل رقم (2)، والذي يبين المسارات ونتائج التحليل للتأثيرات المعيارية المباشرة بين ثلاث متغيرات هي: المتغير المستقل (إدارة الجودة الشاملة TQM)، المتغير الوسيط (الرضا الوظيفي SATISF)، المتغير التابع (جودة الخدمة QUALIT)، ويلاحظ من خلال الأسهم ذات الاتجاه الواحد التي تبين علاقة التأثير المباشر بين إدارة الجودة الشاملة والرضا الوظيفي البالغة (0.81)، وأن مسار إدارة الجودة الشاملة يفسر (66%) من الاختلافات في الرضا الوظيفي. بينما تفسر إدارة الجودة الشاملة ومن خلال المتغير الوسيط الرضا الوظيفي (82%) تقريبا من الاختلافات في جودة الخدمة المقدمة. في حين أن التأثير المباشر لإدارة الجودة الشاملة على جودة الخدمة المقدمة قدر بـ(53%).

وبناء على ما سبق يمكن تفسير نتائج تحليل المسار في الجدول رقم (13) الذي يبين التأثيرات المباشرة وغير المباشرة لمتغيرات الدراسة.

الجدول رقم (13): نتائج تحليل المسار وتقديرات التأثيرات المباشرة وغير المباشرة

إلى / من	التأثيرات المباشرة		التأثيرات غير المباشرة		مستوى الدلالة Sig
	إدارة الجودة الشاملة	الرضا الوظيفي	إدارة الجودة الشاملة	الرضا الوظيفي	
الرضا الوظيفي	0.811	0.000	0.000	0.000	0.001
جودة الخدمة	0.533	0.418	0.339	0.000	

المصدر: تم إعداده بالاعتماد على نتائج برنامج AMOS

تبين النتائج الموضحة في الجدول أن المسار الوحيد في النموذج المقترح له تأثير كلي معياري مجزء إلى تأثير مباشر وتأثير غير مباشر. هذا الأخير المتمثل في تأثير إدارة الجودة الشاملة على جودة الخدمة المقدمة من خلال الرضا الوظيفي كمتغير وسيط. حيث بلغ التأثير المباشر لإدارة الجودة الشاملة على جودة الخدمة المقدمة (0.533)، وقد بلغ التأثير غير المباشر لإدارة الجودة الشاملة على جودة الخدمة المقدمة من خلال الرضا الوظيفي كمتغير وسيط (0.339) وهو يبين الدور الذي يلعبه الرضا الوظيفي كمتغير وسيط في أثر إدارة الجودة الشاملة على جودة الخدمة المقدمة في المستشفى الجامعي بباتنة، وبناء على هذه النتيجة يمكننا رفض الفرضية العدمية وقبول الفرضية البديلة التي تنص على أنه يوجد تأثير ذو دلالة إحصائية لإدارة الجودة الشاملة على جودة الخدمة المقدمة من خلال الرضا الوظيفي كمتغير وسيط عند مستوى الدلالة 0.05.

كما نلاحظ من خلال الجدول رقم (13) أن التأثير المباشر لإدارة الجودة الشاملة على الرضا الوظيفي كان قوي (0.811)، في المقابل نجد أن تأثير الرضا الوظيفي على جودة الخدمة المقدمة كان أقل تأثيرا (0.418)، إذا ما قارناه بالتأثير المباشر لإدارة الجودة الشاملة على جودة الخدمة المقدمة في المستشفى (0.533)، هذا ما نتج عنه أن التأثير المباشر إدارة الجودة الشاملة على جودة الخدمة المقدمة في المستشفى الجامعي بباتنة أقوى من التأثير غير المباشر نظرا للتأثير الضعيف للرضا الوظيفي على جودة الخدمة المقدمة،

وهذا ان دل على شيء فهو يدل تدني إدراك عينة الدراسة لأهمية تقديم خدمات ذات جودة ويؤكد هذه النتيجة تقييمهم المتدني لابعاد جودة الخدمة في المستشفى محل الدراسة. وبذلك فإن مجهودات إدارة الجودة الشاملة ستذهب سدى ما لم يتم التركيز على تحسيس كل العاملين في المستشفى حول أهمية تجويد الخدمات المقدمة.

الاستنتاجات الاقتراحات:

1. **الاستنتاجات:**

بصفة عامة، يلاحظ أن هناك قدرا كبيرا من الاهتمام بمتغيرات الدراسة في الآونة الأخيرة، على الأخص ما بين الأكاديميين والممارسين التنظيمين. وعلى الرغم من وجود العديد من البحوث والدراسات المتعلقة بأهمية إدارة الجودة الشاملة وجودة الخدمة المقدمة والرضا الوظيفي، إلا أن القليل من الدراسات التي أسقطتها على القطاع الصحي وذلك لحساسية هذا القطاع في بلادنا. إضافة إلى أنه لم يسبق وجمع بين هذه المتغيرات في نموذج واحد ومحاولة دارسة العلاقة بينهم (في حدود علم الباحثتين).

وفي ضوء النتائج التي توصلت إليها الدراسة الميدانية يمكن الخروج ببعض الاستنتاجات منها:

- أن تقييم المستجوبين لمستوى إدارة الجودة الشاملة في المستشفى الجامعي في باتنة كانت موافقة متوسطة، خاصة بالنسبة للمبادئ الثلاثة الأولى (التزام الإدارة العليا، التركيز على العميل، التحسين المستمر)، أما مشاركة العاملين فقد حظيت بموافقة ضعيفة مما يشير إلى عدم إشراك إدارة المستشفى عمالها في الحوار واتخاذ القرارات.

- أشارت الدراسة أيضا إلى أن جودة الخدمة المقدمة في المستشفى الجامعي على درجة موافقة متوسطة بالنسبة للمستجوبين خاصة بالنسبة لمؤشر التعاطف والملموسية، أما باقي المؤشرات فقد حظيت بموافقة ضعيفة (الاعتمادية، الأمان، الاستجابة)، مما يشير إلى ضعف مستوى جودة المورد البشري العامل في المستشفى.

- بالنسبة للرضا الوظيفي فقد اتفق المستجوبون على درجة موافقة متوسطة عموما، على التقدم والأجر وعلى ظروف العمل، أما كفاءة الإشراف فقد اجمع المستجوبون على عدم الموافقة وهذا ما يفسر ضعف مستوى جودة المورد البشري العامل في المستشفى الذي سبق الإشارة إليه.

- على المستوى الكلي للمتغيرات، تم إثبات وجود علاقة ارتباط طردية قوية بين المتغيرات الثلاثة، وعلاقة التأثير المباشرة كانت ذات دلالة إحصائية للمتغيرات الثلاثة (تأثير إدارة الجودة الشاملة على جودة الخدمة، تأثير الرضا الوظيفي على جودة الخدمة، تأثير إدارة الجودة الشاملة على الرضا الوظيفي).

- كما أن علاقة التأثير غير المباشرة لإدارة الجودة الشاملة على جودة الخدمة المقدمة من خلال الرضا الوظيفي كمتغير وسيط كانت ذات دلالة إحصائية.

- غير أن علاقة الوساطة لمتغير الرضا الوظيفي لم تؤثر ايجابيا، فهي لم تعزز العلاقة بين ادارة الجودة الشاملة والجودة المقدمة للمستفيد من الخدمات الصحية.

الاقتراحـات:

بناء على نتائج الدراسة يمكن تقديم الاقتراحات التالية:

- أن تقوم الإدارة العليا باهتمام أكبر بالموظفين على اعتبار أنهم زبائن داخليون انسجاما مع فلسفة إدارة الجودة الشاملة، وذلك عن طريق تقدير جهودهم المتميزة والعمل على رفع مستوى أدائهم وتعزيز الثقة بينها وبينهم عن طريق إشعارهم بأهميتهم وإشراكهم في عملية اتخاذ القرارات المتعلقة بتسيير شؤون العمل؛
- زيادة الاهتمام بالمرضى والتعامل معهم على أساس أنهم زبائن مما يوجب الحرص على رضاهم والسعي لتحسين الخدمات المقدمة لهم في كافة المجلات؛

ونظرا لما جاءت به نتائج الدراسة على دور الوساطة الذي لعبه الرضا الوظيفي في تعديل العلاقة بين إدارة الجودة الشاملة وجودة الخدمة المقدمة، ومن اجل جعل الرضا الوظيفي يعزز ذلك التأثير توصي الدراسة بـ:

- التركيز على رفع درجة الوعي لدى الموظفين بأهمية تقديم خدمات ذات جودة عالية؛
- ضرورة عقد دورات تدريبية للموظفين من اجل رفع مستوى أدائهم؛
- توفير الإمكانات المادية والبشرية اللازمة ذات الكفاءة للإشراف على العمل داخل المستشفى، وللوفاء بمتطلبات المرضى والذي يعتبر من بين أهم السبل لتحقيق الجودة.

إشكالية المنهج في البحوث الجامعية

رسائل الماجستير وأطروحات الدكتوراه المنجزة بين 2000 و 2010م في

المدرسة العليا للأساتذة: بوزريعة والقبة نموذجا .

د. عمر نقيب
المدرسة العليا للأساتذة
بوزريعة، الجزائر.

الملخص

انصب موضوع الدراسة على إشكالية البحث العلمي في كل من المدرسة العليا للأساتذة في القبة وبوزريعة لكونهما نموذجٌ لمؤسسة جامعية يُفتَرَضُ منها الإسهام في علاج مشكلات المجتمع في مجال تخصّصهما، إعداد الأساتذة والمعلمين. هدفت الدراسة إلى الكشف عن طبيعة الرسائل والأطروحات التي تمّ إنجازها في هاتين المدرستين للوقوف على مدى إسهامها في علاج مشكلات المجتمع التي تدخل في مجال تخصّصهما. ومن أجل تناول هذه الإشكالية، ونظرا لطبيعة الدراسة باعتبارها بحثا أساسيا تمّ تبنّي المقاربة الكيفية التي اقتضت منّا استخدام المنهج الوصفي. وباعتبار أنّ التحليل انصب على الوثائق المكتوبة فقط فقد تمّ استخدام تقنية تحليل المحتوى.

توصّلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها: أنّه على الرغم من أهمية مواضيع الأطروحات والرسائل التي أنجزت في هاتين المدرستين إلا أنّها في مجملها لا تلامس مشكلات المجتمع التي تدخل في مجال تخصّصهما أي، مشكلات إعداد معلم المستقبل إلا قليلا. الأمر الذي يجعلنا نوصي بضرورة العمل على وضع سياسة بحثية تنسجم ومجال تخصّص المدرستين في خدمة المجتمع من خلال الإسهام في علاج مشكلاته ذات العلاقة. وقد تكون نقطة الانطلاق في نظرنا بحصر المشكلات المجتمعية التي تدخل في إطار مجال تخصّصهما كما أشرنا إلى ذلك في عرضنا للمشكلات التي تتحدّى المجتمع حسب ما أشارت إليه الأدبيات العالمية وهو مجال إعدادا المعلمين والأساتذة منج جميع الجوانب وليس في مجال التعليميات فقط بحيث يكرّس البحث من أجل تطوير مشروع إعداد المعلم الكفء بما ينسجم مع متطلبات العصر الرقمي ومجتمع المعرفة.

Summary

The study is concerned with the problem of scientific research in both Bouzareah and Kouba High School for Teachers Education for being the institution that is supposed to contribute in resolving society’s problems in their field of specialization ie: Teachers’ training and preparation for future professional carreer. The purpose of this study was to reveal the nature of the academic theses, ie: Masters and Doctorate, that have been completed in these schools to determine the extent of their contribution in resolving society’s problems but in the schools’ related field of specialization. In order to address this problem and due to the nature of the study, mixed approach was adopted

and descriptive method was employed. As the analysis focused only on the written documents it has been used content analysis technique. The study found a range of results. Despite the importance of the different topics addressed in these academic theses ie: Master and Doctorate, they do not touch the actual problems society in encountered with, in the field of specialization of these two high schools for teachers' education. So it is recommended that more work is needed to develop a sound research policy consistent with the area of specialization in the two schools in order to serve the community by contributing in resolving the related problems. The starting point of such a project is that future studies should develop research problems that actually challenge the society as pointed out by the reviewed international literature. That is, the preparation of teachers not only in the field of Didactics as mentioned in but in in all aspects that would prepare efficient teacher in line with the digital age and the requirements of the knowledge society.

تمهيد

يعدّ البحث العلمي ركناً أساسياً من أركان المعرفة الإنسانية، والسمة البارزة للعصر الحديث. كما ترجع أهمية البحث العلمي إلى أنّ الأمم المتقدّمة هي تلك التي أدركت أنّ عظمتها وتفوّقها؛ بل ورفاهيتها إنّما ترجع بالأساس إلى قدرات أبنائها العلمية والفكرية والسلوكية.

ومع أنّ البحوث تحتاج إلى وسائل كثيرة معقدة، وتغطي أكثر من مجال علمي بعينه، وتتطلب الأموال الطائلة، إلا أنّ الدول المدركة لقيمة البحث العلمي ترفض أي تقصير نحوه لأنها تعتبره دعامة أساسية لنموها وتطورها.

بناء على ما سبق، أصبح الإلمام بمناهج البحث العلمي وإجراءاته من المتطلّبات الأساس لأي حقل من حقول المعرفة، بدءاً بحسن اختيار مواضيع البحوث، وتحديد مشكلاتها، وصياغتها بشكل إجرائي، ودقة اختيار منهج البحث وأسلوب جمع المعلومات وتحليلها وتفسيرها، وانتهاء باستخلاص النتائج منها. غير أنّ الالتفات إلى واقع البحوث الجامعية التي ينجزها الطلبة والباحثون في كلّ سنة جامعية وفي مختلف مؤسسات التعليم الجامعي عندنا، يمكّننا من ملاحظة أن ثمّة ثغرات تكتنف التعاطي المنهجي مع البحوث الأكاديمية؛ إذ لم يبق خافياً على أي متتبّع لما يجري في قاعات مناقشة الأطروحات والرسائل الجامعية مختلفُ أنواع الخلل والثغرات خاصة فيما تعلّق باختيار مواضيع البحوث والدراسات العلمية، الأمر الذي يؤثّر أيّما تأثير على القيمة العلمية لما ينجز من بحوث ولما يُتوصَّل إليه من نتائج ينتظر منها في الحقيقة أن تدعّم المسيرة التنموية للمجتمع.

من هذا المنطلق، اقترحنا موضوع هذه الدراسة بعنوان "**إشكالية المنهج في الدراسات الجامعية**" ليكون التركيز فيه على مشكلة اختيار البحوث والدراسات والبناء المنهجي لإشكالية الدراسة عند طلبتنا وباحثينا الجامعيين لنحاول بيان مواطن الخلل الذي يعاني منه عدد لا بأس به من هذه البحوث في الصياغة المنهجية المحكمة لِ "إشكالية الدراسة" بالشكل الذي يجعلها خادمة لأهداف التنمية المجتمعية ومعالجة المشكلات التي يمكن أن تعترض سبيل هذا المشروع.

وإذا كان الأمر كذلك، فإنّنا ركّزنا في هذه الدراسة على المدرسة العليا للأساتذة في كل من القبة وبوزريعة لكونهما نموذجٌ للمؤسسة الجامعية التي تضطلع بمهمة البحث العلمي الجامعي الذي يُفتَرَضُ منه المساهمة في علاج مشكلات المجتمع، ولكن في مجال تخصّصهما المتعلّق بإعداد الأساتذة والمعلمين. إنّ مركزية الدور الذي يقوم به **المعلم** في علاج مشكلات المجتمع لا يحتاج إلى بيانٍ لوضوح آثاره على الأجيال الصاعدة. إذ على الرغم من كل ذلك، فالمتوقّع أن تنصب الدراسات العلمية في مؤسسات إعداد الأساتذة والمعلمين على رصد وتحديد وعلاج مختلف مشكلات المجتمع التي تدخل في حدود تخصّصها. وعلى الرغم من أن الجامعات أنشئت في بداية الأمر للتدريس وليس للبحث العلمي[1]، إلا أنه في منتصف القرن التاسع عشر حدث تحول في وظائف الجامعة؛ فقد انتقل التركيز فيها من وظيفة التدريس إلى وظيفة البحث البحث العلمي كونه يمثل الأداة الرئيسة لإنتاج المعرفة وتطويرها[2].

ومن المعلوم أنّ الاهتمام بالبحث العلمي في ألمانيا بشكل خاص ثم في المملكة المتحدة ثم في الولايات الأمريكية. كما أولت الولايات المتحدة الأمريكية اهتماما خاصا بالبحث العلمي وجعلته من أولويات اهتمام الجامعة كونه من أهم مصادر التمويل الخارجي. وقد ذكر كريستوف (1999) أنّه تمّ تبنّي شعار "الثورة الأكاديمية الأمريكية" سنة 1968 للحث على البحث العلمي[3]. ونظرا للتأثير العميق والواسع لنتائج البحث العلمي على المشروع الوطني للتنمية، حرصت كثير من البلدان على توفير الشروط التي تمكّنه من أداء دوره المتوقّع منه بشكل مثمر من خلال العمل على إيجاد عوامل الربط بين الجامعة ومؤسسات المجتمع المختلفة. كما تعدّ البحوث التي يتمّ إنجازها في الجامعات ومختلف المخابر والمؤسسات العلمية من أهم المقاييس المعتمدة في تقويم دور الباحثين الجامعيين (حسين وحنفي، 2000،ص: 12) .

فتقييم كفاءة الأستاذ الجامعي الباحث في الجامعات الأمريكية مثلا إنما يتمّ على أساس معيارين أساسيين هما: الكفاءة في التدريس والإنجازات البحثية التي يُتوقّع منها أن تدعّم الجامعة علميا وماليا (رشاد،1999،ص: 467). كما تشترط السلطات الوصية في الدول المتقدمة كالولايات المتحدة وغيرها من الدول الغربية خاصة أن تقوم الجامعات بأنشطتها البحثية العلمية تماما كما تقوم بأنشطتها التعليمية ويجب أن تخصص لذلك ميزانيات ضخمة (الكبيسي وقمبر، 2001،ص: 140).

من هنا. يتبيّن لنا حرص الجامعات الأجنبية على أجراء البحوث العلمية التي مكّنتها من الإسهام في تقدم المجتمع وتنميته من جهة، وزيادة موارد الدخل للجامعات من جهة أخرى، وذلك مقابل الدعم والتمويل المادي الذي تحصل عليه جزاء ما تقوم به من مشاريع وأبحاث للمؤسسات وقطاعات المجتمع .

---

[1] استفدنا في تلخيص المعطيات المتعلقة بمدى اهتمام الدول المتقدمة بالبحث العلمي الجامعي والعمل على ربطه بمشكلات المجتمع من الدراسة المهمة التي أنجزتها عائدة مكرد بعنوان تطوير البحث العلمي بالجامعات اليمنية في ضوء الخبرات العالمية الحديثة، للمؤتمر العلمي الرابع لجامعة عدن حول: جودة التعليم العالي نحو تحقيق التنمية المستدامة، جامعة عدن، 11 – 13. أكتوبر 2010م عدن اليمن.

[2] Cummings , William (1998): : The Service University Movement in the US, Searching for Momentum , Higher Education, No. 35, 1998, p: 69-70 .

[3] 31- Christopher . Lucas() : Crisis in the Academy: Rethinking Higher Education in America, New York St Matins' Press 1999, p: 78.

أما على مستوى الجامعات العربية فعلى الرغم من هذه الأهمية للبحث العلمي إلا أنه مازال هناك انفصال بين مشكلات المجتمع وما تنهض به المؤسسات الجامعية من بحوث علمية التي لم ترقَ إلى مستوى الإسهام الفعّال في دعم مشاريع التنمية وعلاج مشكلات المجتمع(الكبيسي وقمبر، 2001،ص: 181). الأمر الذي جعل البحث العلمي لا يمثّل إلا نشاطا إضافيا في اهتمام الجامعات العربية، وبالتالي فأكثر البحوث انتشار هي البحوث التي تجرى لمجرد الترقية، وتهتم بجانب الفكر أكثر من اهتمامها بجانب التطبيق، بحوثا تنشأ من داخلها بعيدة عن رؤية المجتمع وحاجاته ومشكلاته. كم يغلب عليها الطابع الفردي(مطر، 1990، ص: 38، وحسين وحنفي، 2000، ص: 2، ومرسي، 2002،ص: 27).

أمّا البحوث التطبيقية التي تمثل الحاجة الفعلية للمجتمع ومشكلاته الواقعية التي يمكن أن تخدم نتائجُها مشكلاته وتعالجها (الجندي، 1994، ص: 26) فهي شبه غائبة في الجامعات العربية. ولعل ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى مشكلة الميزانية لأنّ نسبة الإنفاق على البحث العلمي من الناتج المحلي الإجمالي في الدول العربية في عام 1996م (1.5%) مقارنة بحوالي (2.5%) في دول العالم المتقدم (عكاشة، 1999،ص: 38)[1].

نماذج من الدراسات السابقة ذات العلاقة بموضوع الدراسة

اطّلع الباحث على مجموعة من الدراسات ذات العلاقة بإشكالية الدراسة التي تتعلّق بالمشكلات التي تتحدّى المجتمع وتدخل في مجال تخصُّص المدرسة العليا للأساتذة وهو تكوين الأساتذة والمعلمين لمختلف الأطوار التعليمية. وقد وقع اختيارنا على بعضها كنموذج للعرض والتوضيح. مع الملاحظ أنّ مصادر اطلاعنا على الدراسات قد تنوّعت بين الكتب والمقالات والبحوث الجامعية. كما ننبّه أيضا إلى أنّنا اطّلعنا عليها بالرجوع إلى الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) وبالتحديد في المواقع الإلكترونية المتخصّصة، وبعض الكتب المنشورة في المكتبات.

يعتبر البحث العلمي الجامعي أحد أهم الركائز لتحقيق النمو والتنمية وتقدم الأمم. كما أنّ الاستثمار في مجال البحث العلمي يعد أفضل أنواع الاستثمار؛ وهذا ما سلكته جامعات الدول المتقدمة في كافة أنشطتها وتخلفت عنه معظم جامعات الدول العربية والنامية بشكل عام. ولقد كان ذلك سبباً في اتساع الهوة العلمية والتكنولوجية ولذلك، فالتقدم الذي شهدته الدول المتقدمة كان مقترناً بتطوير البحث العلمي وتوفير مستلزماته. أما معظم الدول العربية فإنّها لا تعمل بشكل عام على تشجيع البحث العلمي بالشكل المطلوب. كما أنّها تتبع برامج تنمية غير ملائمة لظروف المنطقة (**محمّد عمر باطويح، 2002**).و لا يوجد ربط بين سياسة البحوث العلمية والتكنولوجية ببرامج التنمية بصورة كاملة وذلك نظراً لعدم التنسيق بين مراكز ومعاهد البحوث في الوزارات المختلفة بالإضافة إلى محدودية الموارد المالية المخصصة لتطبيق الأبحاث العلمية (**غادة عبد الرحيم بشر، 2008**).

ولعلّ ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى غياب رؤية واضحة للتنمية، و غياب أو على الأقل، قصور أهداف واستراتيجيات البحث العلمي، ووجود فجوة بين هيئات البحث والبيئة المحيطة، وعدم ربط نتائج البحث

[1] يمكن العودة إلى عائدة مكرد، مرجع سابق للاطّلاع على تفاصيل هذه المعطيات. فقد نقلناها منه بتصرّف بسيط يناسب سياق هذه الدراسة لاعتقادنا أنّها تغني بوجه ما عن البحث الواسع عن الكثير من المعطيات التي مهّدنا بها لهذه الدراسة واستأنسنا بها لتبرير أهميتها.

بالتنمية، وعدم تثمين نتائج البحث العلمي (**بوكميش لعلي: 2014**) أو بعبارة أخرى، عدم وجود خريطة للأبحاث التربوية على مستوى الوطن العربي (**أريج بنت محمّد بن شيحة، 2007**) ممّا تسبّب في غلبة الاهتمامات الفردية في البحث العلمي؛ كما أنّ البحوث الهادفة يُقصَدُ بها في الغالب الترقي العلمي تمثل الطابع العام لممارسة البحث العلمي (.**رخصانه محمّد إسماعيل، 2010**). الأمر الذي جعل البحث العلمي يغدو نشاطا هامشيا في سلّم اهتمام الجامعات العربية، مما أدى إلى ضعف استثمار الكفاءات العلمية المتخصصة بالجامعات لعلاج المشكلات التي تواجه قطاعات المجتمع (**عائدة مكرد، 2010**).

بينما أبرزت دراسات أخرى ضعف العلاقة بين الجامعة كمؤسسة بحثية وبين المؤسسات الإنتاجية والخدمية؛ فنتج عن ذلك محدودية إسهام البحث العلمي في معالجة مشكلات التنمية، والذي لا يزال دون مستوى الطموح وضعيفاً في جوانب كثيرة. وقد أرجع بعض الباحثين هذه الوضعية إلى ضعف ارتباط الأبحاث العلمية المنجزة بأهداف وسياسات خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية؛ وغياب غياب الخطة البحثية على مستوى الجامعة أو الكلية واعتماد الباحث على خطته، وبالتالي لم تكن الأبحاث موجهة لدراسة مشكلات تنموية بقدر ما هدفت إلى تحقيق اهتمامات الباحث التخصصية (**علي عبده الدوش، 2003**).

وفي مجال تخصّص المدرستين والذي يتعلّق بتكوين الأساتذة والمعلمين لمختلف الأطوار التعليمية تشير الدراسات إلى أنّ ثمة تحديات تواجه إعداد المعلم المسلم في عصر العولمة وسواء تعلّقت بمعايير اختياره أم بإعداده أم بتنمية أدائه أثناء الخدمة. ولهذا وجب النظر في واقع برامج إعداد معلم المستقبل في ضوء متطلبات العصر المعولم وآفاق المستقبل اعتمادا على أهم الاتجاهات الحديثة في نظم إعداد المعلمين (**علي محمّد طه: 1426 هـ**).

وإذا كان من إفرازات عصر العولمة، ظهور مفهوم الجودة ومعاييره، فإنّ هذا الأمر الذي فرضَ على التربية تحديات عديدة تتطلب جميعها إعادة النظر في آليات الفعل التربوي ومؤسّساته لكي نصل بالمتعلم إلى أرقى معايير الجودة التي تحصّنه ضدّ مخاطر العولمة. من هنا، تظهر الحاجة إلى بناء رؤية فكرية يتمّ من خلاله تصميم برامج إعداد المعلم تستجيب لمعايير الجودة في سياق تحديات العولمة (**أحمد إبراهيم الجوهري، منصور عويدات سالم: 2013**). في حين يرى كل من أنّ التحديات التي تواجه المجتمعات العالمية كبيرة.

غير أنّ التحديات التي نواجهها عَرَبياً أعمق وأعقد، الأمر الذي يفرض علينا بناء الإنسان المبدع المتجدّد القادر على الابتكار ليكون في مستوى التفاعل الإيجابي مع هذه التحديات والتمكّن منن استيعاب شروط التقدّم (**أحمد عوضه الزهراني ويحي عبد الحليم إبراهيم:** 2012). كما تشير دراسات أخرى إلى أنّ قصورا شديدا تعاني منه برامج إعداد المعلمين في كليات التربية المختلفة في العالم العربي. ويعود هذا القصور إلى سببين رئيسين، غياب رؤية استراتيجية تحدد ملامح نموذج الطالب الجامعي الذي يحتاج إليه المجتمع مستقبلاً والخلل الذي لازالت تعاني منه برامج إعداد معلم المستقبل في ظل غياب رؤية واضحة لمعلم المستقبل. ولذلك، يقتضي الوضع ربط التكوين الأكاديمي لمعلم المستقبل بمتطلبات المهنة، وربط برامج التكوين بأهداف عملية مباشرة تمكّن المعلم من فهم التحديات وتوظيفها بما يسهم في علاج مشكلات المجتمع(**أبو صبحي محمّد: 2010**).[1] من خلال استعراض هذه النماذج من الدراسات وغيرها يمكن التأكيد

[1] يمكن التأكّد من هذه الدراسات وتفاصيلها بالرجوع إلى الموقع

أنّ الأصل في البحث العلمي الجامعي في الوطن العربي أن يتّجه إلى رصد واستيعاب المشكلات الفعلية التي تواجه المجتمع من أجل الإسهام في علاجها وتمكين المجتمع من تحقيق طموحاته في التنمية الوطنية الشاملة. ولعلّ من أوضح مواطن الخلل التي يمكن أن يتعرّض لها البحث العلمي الجامعي ذهوله عن المشكلات الفعلية التي تدخل في مجال التخصص للمؤسسة العلمية التي تباشر هذا النوع من البحوث والدراسات.

وانطلاقا من هذه الرؤية تمكّنا من تحديد تصوّرنا للإشكالية كما في الفقرات الآتية.

إشكالية الدراسة:

وبناء على التمهيد الذي سبق، تمكّنّا من تحديد إشكالية هذه الدراسة في الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما أهم المشكلات التي تتحدّى المجتمع وتدخل في مجال تخصُّص المدرسة العليا للأساتذة المتعلِّق بتكوين الأساتذة والمعلمين لمختلف الأطوار التعليمية؟
- ما أهم مشكلات المجتمع التي تناولتها الأبحاث العلمية في المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة والقبة في حدود تخصّصهما المتعلّق بتكوين الأساتذة والمعلمين لمختلف الأطوار التعليمية؟
- ما المشكلات التي جاءت في مقدمة اهتمام البحث العلمي في هاتين المدرستين؟
- ما مدى ارتباط البحث العلمي الذي تقوم به المدرستان بمشكلات المجتمع؟
- ما أهم العوائق المنهجية التي تعترض الإنجاز الناجح للبحث العلمي في هاتين المدرستين؟

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- التعرف على مدى ارتباط البحث العلمي في هاتين المدرستين بمشكلات المجتمع وفي حدود تخصّصهما المتعلّق بتكوين الأساتذة والمعلمين لمختلف الأطوار التعليمية.

- التعرف على طبيعة مواضيع الرسائل والأطروحات ومدى صلتها بالمشكلات التي يواجهها المجتمع في مجال تخصص المدرستين المتعلّق بتكوين الأساتذة والمعلمين لمختلف الأطوار التعليمية.

- التعرّف على العوائق المنهجية التي تمنع البحث العلمي في المدرستين من الإسهام في علاج مشكلات المجتمع.

المسلّمات التي انطلقت منها هذه الدراسة:

تنطلق هذه الدراسة من المسلمات الآتية:

- البحث العلمي في المدارس العليا للأساتذة جزء من البحث العلمي الجامعي يخدم قضايا ومشكلات المجتمع في حدود مجال تخصّصهما وهو الذي يتعلّق برصد وتحديد وعلاج مشكلات إعداد المعلمين والأساتذة في التخصّصات المحددة لهما في القانون.
- حسن اختيار مشكلات البحوث وأهدافها وأساليب إجرائها يسهِم في علاج قضايا ومشكلات المجتمع.

حدود البحث:

نظرا للحدود الزمنية لإنجاز الدراسة فقد اقتصرت على:

- - البحث في رسائل الماجستير والدكتوراه دون التعرض للأبحاث التي أنجزها أعضاء هيئة التدريس.

- الرسائل والأطروحات التي أجيزت في المدرستين بين سنتي 2000و 2010 مـ فقط.

المقاربة المنهجية:

استهدفت هذه الدراسة الكشف عن أهم مشكلات المجتمع التي تناولتها الأبحاث العلمية في المدرسة العليا للأساتذة في كل من بوزريعة والقبة، في حدود تخصصهما المتعلق بتكوين الأساتذة والمعلمين لمختلف الأطوار التعليمية. ومن أجل تحقيق هذا الهدف اعتمدت هذه الدراسة على مسح وتحليل رسائل الماجستير وأطروحات الدكتوراه التي تمّ إنجازها في المدرسة العليا للأساتذة في كل من بوزريعة والقبة، وفي حدود تخصصهما المتعلق بتكوين الأساتذة والمعلمين لمختلف الأطوار التعليمية.

إنّ المنهجية التي يتمّ اختيارها من أجل إجراء أي دراسة تخضع لمجموعة من المعايير التي يجب مراعاتها أثناء عملية الاختيار. ومن بين هذه المعايير طبيعة الدراسة وأهدافها والفرضيات التي تصاغ حولها (تايلور.س، بوغدان.ر.1985: 9). ونظرًا لطبيعة مشكلة هذه الدراسة والأسئلة التي أثارتها، فقد تمّ تبنّي المقاربة المنهجية المزدوجة أو منهجية البحث المزدوج (Mixed Research Methodology). من أهم مبرّرات هذا الاختيار كون هذه المنهجية تتضمّن مختلف التقنيات الكفيلة بالكشف عن طبيعة الأفكار والآراء المتضمّنة في هذه البحوث خاصّة إذا علمنا أنّ هذه الدراسة تتعامل أساسًا مع مصادر مكتوبة بهدف تحليلها وتفسيرها ليس من وجهة نظرٍ إحصائية فحسب، وإنّما من أجل استخلاص بعض النتائج ذات الدلالة العلمية.

منهج البحث:

نظرا لطبيعة الإشكالية التي طرحتها هذه الدراسة والأهداف التي سعت إلى تحقيقها، فإنّ المنهج الذي رأينا أنّه الأنسب لإنجازها هو المنهج الوصفي (Descriptive Method) باعتبار أنّه يستهدف الوصف والتحليل والتفسير. ومن الأدوات البحثية الخادمة لهذا الغرض تحليل المحتوى. فقد تضمّنت الدراسة مسح الرسائل والأطروحات التي أُنجزت وتمّت الموافقة عليها في المرحلة الزمنية الممتدة بين 2000و 2010 مـ، ومن ثم تحليلها وفقا للمعايير المستخدمة في تقنية تحليل المحتوى وهي معروفة عند أهل الاختصاص.

خطوات الدراسة:

بعد التأسيس المنهجي للدراسة شرعنا في الإجابة عن الأسئلة التي تمّ طرحها في الإشكالية كما يأتي:

1- للإجابة عن السؤال الأول وهو: **ما أهم المشكلات التي تتحدى المجتمع وتدخل في مجال تخصص المدرسة العليا للأساتذة في كل من بوزريعة والقبة ؟** تمّ إنجاز ما يأتي:

- مراجعة عدد من الدراسات السابقة التي لها علاقة ما بإشكالية الدراسة وهي التي استطاع أن يحصل عليها الباحث من بعض الكتب والرسائل والأطروحات وكذا بعض المواقع الإلكترونية المعتمدة.
- ضبط وتحديد قائمة المشكلات التي أشارت إليها هذه الدراسات.

2- للإجابة عن السؤال االثاني وهو: **ما أهم مشكلات المجتمع التي تناولتها الأبحاث العلمية في المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة والقبة في حدود تخصّصهما** ؟ تمّ إنجاز ما يأتي:

- إجراء مسح لرسائل الماجستير والدكتوراه التي أجيزت في هاتين المدرستين بين ستني 2000و 2010 م.
- ضبط وتحديد قائمة المشكلات التي تعرضت لها الرسائل والأطروحات بالبحث.

3- للإجابة عن السؤال الثالث وهو: **ما هي المشكلات التي جاءت في مقدمة اهتمام البحث العلمي في هاتين المدرستين**؟، تم إنجاز ما يأتي

- ترتيب المشكلات من حيث عدد الرسائل للتعرّف على أي المشكلات انصب عليها الاهتمام أكثر من غيرها في هاتين المدرستين

4- وللإجابة عن السؤال الرابع وهو: **ما مدى ارتباط البحث العلمي في هاتين المدرستين بمشكلات المجتمع**؟ تمّ ما يأتي:

- إجراء عملية الموازنة بين عدد المشكلات التي تناولتها الرسائل بالبحث والمشكلات التي تتحدى المجتمع في حدود تخصّص المدرستين والتي أشارت إليها الأدبيات العالمية للتعرف على مدى ارتباط البحث العلمي فيهما بمشكلات المجتمع.

أهم المشكلات التي تتحدى المجتمع:

إنّ المدارس العليا للأساتذة في الجزائر مؤسسات تربوية جامعية متخصّصة ذات المهمة المحدّدة بنصوص القوانين ذات الصلة.

تضطلع هذه المدارس بمهمة إعداد وإمداد المدرسة الجزائرية بأطوارها الثلاثة بالمعلمين والأساتذة المؤهّلين لمواجهة مختلف مشكلات التعلم والتعليم في هذه الأطوار، ومن ثمّ الإسهام بفعّالية في تحقيق أهداف المشروع التربوي الوطني.

ويتأكّد هذا إذا علمنا أنّ المعلم هو الحجر الأساس في تحقيق هذه الأهداف. وبالنظر إلى طبيعة هذه المهمة، يُتوقّع من هذه المدارس، إن على مستوى التكوين الأولي أو على مستوى التكوين والبحث في أقسام ما بعد التدرّج أن تنصب اهتماماتها على المشكلات التي يواجهها المجتمع في هذا القطاع من أجل الإسهام في علاج مشكلات المجتمع عملا بمبدأ التخصّص.

ولعل من أهم الأنشطة التي تتجلى فيها هذه المساهمة البحوثُ العلمية التي يتمّ إنجازها في هذه المدارس سواء أكانت هذه البحوث مذكرات تخرّج لدى طلبة الليسانس أم رسائل الماجستير أم أطروحات الدكتوراه على مستوى ما بعد التدرّج. وفيما يأتي نماذج لأهم مشكلات المجتمع التي تنتظم داخل مجال تخصص المدرستين والتي تمكّنّا من حصرها بمراجعة الأدبيات المحلية والعالمية، وقد تدخل بوجه ما في مجال تخصّص المدرستين وهي كالآتي:

- العولمة وتداعياتها،
- الرقمنة،
- مستقبل التعلم والتعليم في العصر الرقمي،
- مستقبل دور وموقع المعلم في العصر الرقمي،
- ظاهرة العنف في المدارس،
- التعلم ومشكلة الهوية،
- استعارة الخبرة التربوية العابرة للحدود،

- حدود المواطنة والعالمية،
- التعلم الافتراضي،
- الذكاء الاصطناعي،
- التعلم الإلكتروني.
- أخلقة المهنة في ظل عولمة التربية،
- الذكاء العاطفي والكفاءات الوجدانية،
- المناهج التعليمية،
- مشكلة الهوية والعولمة عند المتعلمين.

الأبحاث العلمية في المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة

اقتصرت الدراسة على رسائل الماجستير والدكتوراه فقط للتعرّف على مدى تناولها المشكلات التي تتحدى المجتمع، وذلك دون التعرض لأبحاث أعضاء هيئة التدريس. وقد قمنا بمسح لهذه الرسائل منذ سنة 2000 إلى سنة 2010، فوصل عدد رسائل الماجستير والدكتوراه التي تمّت مراجعتها أربع مأئة وخمسة **(405)** بحوث يبينها الجدول الآتي:

المدرسة	القبة	بوزريعة	المجموع
	الرياضيات، العلوم الطبيعية الفيزياء الموسيقى الكيمياء	التاريخ والجغرافيا، الأدب العربي، الفلسفة،	8 تخصصات
الدكتوراه	07	00	07
الماجستير	198	200	398
المجموع	205	200	405

في الجدول الآتي قائمة برسائل الماجستير التي لها علاقة مباشرة بمجال تخصص المؤسسة وقد تمّ تسجيلها كما وردت في الوثائق الرسمية للمدرستين:

أولا: المدرسة العليا للأساتذة: القبة

Didactique de Physique: النماذج الفيزيائية – دراسة علميائية وتعليميا نية	1
Didactique de chimie: أعمال ونشاطات المختبر في تعليم الكيمياء بالمرحلة ما قبل الجامعية (التعليم الثانوي) بالجزائر.	2
Didactique de physique: Des difficultés liées à la schématisation dans l'enseignement-apprentissage du concept force : analyse et proposition de médiations	3
Didactique de physique: Etude de l'optique géométrique dans l'enseignement secondaire : difficultés et conceptions des élèves, point de vue didactique et historique	4
Didactique de physique: Etude des ondes mécaniques dans l'enseignement secondaire en Algérie : difficultés et conceptions de apprenant, analyse du scolaire avec proposition et	5

remédiation.	
Musicologie : L'éducation musicale : le rôle de la Musique et son enseignement dans l'école algérienne.	6
Musicologie مادة التربية الموسيقية في المنظومة التربوية الجزائرية وإشكالية تقويمها	7
Didactique de la musique : L'enseignement de la musique assisté par ordinateur, Les TICCE et leur utilisation dans le cours d'éducation musicale	8
Histoire et Didactique de Mathématiques : Résolution de problèmes dans l'enseignement et l'apprentissage des mathématiques	9

أهم المشكلات التي انصب عليها اهتمام البحوث المنجزة في المدرسة العليا للأساتذة القبة

1. تعليمية المواد:

-الفيزياء

-الكيمياء

-الموسيقى

-الرياضيات

- تاريخ العلوم

-الرياضيات

ثانيا: المدرسة العليا للأساتذة: بوزريعة:

التاريخ والجغرافيا

التربية والتعليم في المغرب والأندلس	**01**
دور علماء تلمسان في الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين 18 و19	**02**
تدريس الجغرافيا في التعليم الثانوي	**03**
التربية والتعليم في وادي سوف	**04**

الأدب العربي:

مدى انسجام مناهج اللغة العربية لتحقيق الكفاءة الختامية	01
تدريس النحو في ضوء المقاربة بالكفاءات وأثرها في النمو اللغوي	02
الدرس البلاغي في التعليم الثانوي	03
استراتيجيات القراءة عند الأطفال ذوي الإعاقة في المدرسة العادية	04
تعليميات التعبير الكتابي في ضوء المقاربة بالكفاءات النصية السنة الأولى متوسط	05
إشكالية الانسجام الداخلي والخارجي للنص الأدبي في الكتاب المدرسي السنة الثالثة آداب	06
التراث في قصص الأطفال في الجزائر	07
بناء كفاءة الإنتاج الكتاب في ضوء المقاربة النصية	08
تحليل النص الأدبي في السنة الرابعة من التعليم المتوسط	09

10	النظرية الخليلية الحديثة وكيفية توظيفها في تدريس اللغة العربية
11	الاختبارات اللغوية وتنمية المهارات اللسانية
12	أسس اختيار النص الأدبي التعليمي في المدرية الجزائرية الطور الثانوي
13	تدريس النص الأدبي في السنة الأولى متوسط
14	تدريس البلاغة العربية في المدرسة الجزائرية
15	مقارنة بين كتب القراءة العربية القديمة والجديدة من حيث المفردات الطور الثالث نموذجا
16	دراسة تحليلية تقويمية لطريقة تعليم اللفظة الفعلية في السنة السابعة أساسي
17	النصوص الأدبية في المعاهد التكنولوجية للتربية لتكوين أساتذة التعليم الأساسي
18	التناوب الصوتي في النصوص الأدبية وأثره في تعليميات النصوص الأدبية في المدرسة الجزائرية
19	دراسة تحليلية تقويمية للأخطاء النحوية الواردة في بناء الجملة الاسمية لدى تلاميذ الطور الثاني السنة 6 من التعليم الأساسي
20	تطبيق المقاربة بالكفاءات في تعليمية اللغة العربية بالمتوسطة الجزائرية
21	التعبير الشفوي في المدرستين الأساسية والابتدائية دراسة مقارنة
22	القواعد النحوية للغة العربية في كتاب السنة الخامسة من التعليم الابتدائي
23	النظرية اللغوية الخلدونية وكيفية توظيفها في اكتساب اللغة العربية
24	تدريس نصوص التعليم الثانوي سنة أولى آداب نموذجا في ضوء المقاربة النصية وتعليمية النص الأدبي
25	آليات تحويل النظرية النصية إلى مقاربة تعليمية في تعليم اللغة العربية للمرحلة الثانوية بالجزائر بالمدرسة الجزائرية
26	تعليمية اللسانيات في الجامعة الجزائرية
27	دراسة تحليلية تقويمية لأنواع التمارين النحوية للسنة السادسة من التعليم الأساسي واقتراح أنماط جديدة بناء على النظرية الخليلية الجديدة
28	تعليم اللغة العربية في مؤسسات محو الأمية

الفلسفة:

01	مشكلة التربية الجنسية في الثانوية الجزائرية
02	الفكر التربوي عند ابن خلدون
03	العامل الاجتماعي في التربية عند جون ديوي
04	فلسفة الذكاء الاصطناعي بين النظرية والتطبيق
05	تربية الذات الإنسانية بين النفي والإثبات
06	منهج الإصلاح عند ابن باديس بين السلفية والنهضة
07	الأسس الاجتماعية للإصلاح التربوي عند محمّد عبده
08	التدريس بالكفاءات وإشكالية التقويم في مادة الفلسفة بالتعليم الثانوي في الجزائر
09	تعريب التعليم في الجزائر في الطرح المعرفي والطرح الإيديولوجي
10	مفهوم الإنسان في التربية الإسلامية

أهم المشكلات التي انصب عليها اهتمام البحوث المنجزة في المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة.

تنوعّت المشكلات التي تمّ تناولها في المدرستين؛ إذ لم تنتظم في مجال واضح ومحدّد؛ الأمر الذي يدعونا إلى الاعتقاد في عدم وجود رؤية محدّدة حول طبيعة البحوث التي يتمّ توجيه الطلبة الباحثين إليها. هذا على الرغم من أنّه يمكننا تحديد بعض مجالات البحث من خلال التأمّل في عناوين البحوث المسجّلة في الجداول السابقة.

- تعليمية المواد.
- تاريخ التربية والتعليم.
- تحليل محتوى المناهج.
- اختبارات اللغة.

أهم مشكلات المجتمع التي تناولتها الأبحاث العلمية في المدرستين وتدخل في مجال تخصصهما هي:

تنوعّت المشكلات التي تمّ تناولها في هاتين المدرستين؛ إذ لم تنتظم في مجال واضح ومحدّد؛ الأمر الذي يدعونا إلى الاعتقاد في عدم وجود رؤية محدّدة حول طبيعة البحوث التي يتمّ توجيه الباحثين إليها. بل قد يذهب بنا الظن إلى أنّ الأصل في اختيار مجال هو مبادرة الباحث ليس إلا وإن كان مروره على المجالس العلمية للمناقشة والتقييم والحكم أمر لا شك فيه. وبعد التأمّل في عناوين البحوث التي تمّ الاطّلاع عليها تمكّن الباحث من تحديد بعض مجالات البحث من خلال التأمّل في عناوين البحوث المسجّلة في الجداول السابقة.

- تعليمية المواد.
- تاريخ الفكر التربوي.
- تحليل محتوى المناهج.
- اختبارات اللغة. -تاريخ العلوم.

والجدول الآتي يبيّن النسب المئوية لكل مجال من المجالات البحثية التي انصب عليها البحث في كلتا المدرستين.

المجال	المدرسة العليا للأساتذة: القبة		المدرسة العليا للأساتذة: بوزريعة	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة
تعليمية المواد	08	89	18	% 47.36
تاريخ الفكر التربوي	00	00	11	% 28.94
تحليل محتوى المناهج	00	00	08	% 21.05
اختبارات اللغة	00	00	01	% 02.63
تاريخ العلوم	01	11	00	%.00
المجموع	09	100	38	% 100

المشكلات التي جاءت في مقدمة اهتمام البحث العلمي في المدرستين:

إنّ مشكلة "تعليمية المادة" هي أهم مشكلة تصدّرت سلّم اهتمامات الباحثين في المدرستين؛ إذ احتلت ما يفوق نسبة 71 % من مجموع البحوث التي أنجزت ولها علاقة ما بمجال تخصّص المدرستين ألا وهو إعداد

المعلمين والأساتذة. بينما غالب البحوث في كلتا المدرستين انصبّ اهتمامها على مواضيع "معرفية" ذات العلاقة بالتخصّص الأكاديمي الأصلي فقط وهي التخصّصات التي يكوّن في إطارها المعلم مثل الرياضيات والفيزياء والكيمياء والموسيقى في المدرسة العليا للأساتذة بالقبة، والفلسفة والأدب العربي والتاريخ والجغرافيا في مدرسة بوزريعة.

مقارنة بين مشكلات المجتمع والمشكلات التي تناولتها المدرستان

بالمقارنة بين المشكلات المجتمعية التي جاءت في القائمة المشار إليها سابقاً والتي تدخل في مجال تخصًّ المدرستين وبين المشكلات التي تناولها من خلال رسائل الماجستير وأطروحات الدكتوراه في المدرستين تبيّن من خلال الدراسة أن ثمة ثغرات واضحة في مجالات اهتمام البحث العلمي في المدرستين بالنظر إلى طبيعة المواضيع والمشكلات البحثية التي أشارت إليها الأدبيات العالمية المتعلقة بمجال تخصّص المدرستين وهو مشكلات المجتمع ذات العلاقة بتكوين المعلمين والأساتذة في سياق المتغيرات المختلفة التي أصبحت تطبع الواقع التربوي القطري أو العالمي بفعل ثورة تكنولوجيا الإعلام والاتصال (I.C.T). وفي المخطط الآتي بيان لهذه الثغرات.

- العولمة وتداعياتها،
- الرقمنة،
- مستقبل التعلم والتعليم في العصر الرقمي،
- مستقبل دور وموقع المعلم في العصر الرقمي،
- ظاهرة العنف في المدارس،
- التعلم ومشكلة الهوية،
- استعارة الخبرة التربوية العابرة للحدود،
- حدود المواطنة والعالمية،
- التعلم الافتراضي،
- الذكاء الاصطناعي،
- التعلم الألكتروني
- أخلقة المهنة في ظل عولمة التربية،
- الذكاء العاطفي والكفاءات الوجدانية،
- المناهج التعليمية،
- مشكلة الهوية والعولمة عند المتعلمين.

- **تعليمية المواد**
- **تاريخ الفكر التربوي**
- **تحليل محتوى المناهج**
- **اختبارات اللغة**
- **تاريخ العلوم**

تفسير نتائج الدراسة

إنّ هذه النتائج تقود إلى خلاصات نرى الإشارة إليها، منها:

- إنّ مواضيع الرسائل والأطروحات التي انتظمت داخل مجال تخصّص هاتين المدرستين تميّزت بِقلة تنوّعها.
- عدم مواكبة مواضيع الرسائل والأطروحات للجديد من المشكلات البحثية العالمية المتعلقة بمجال التخصُّص وهو مشكلات إعداد المعلمين والأساتذة إن على مستوى النظرية أو تطبيقاتها.
- غلب على اهتمام الباحثين في هذه الرسائل والأطروحات مشكلة تعليمية المواد (Didactics)، وكأنّ طرق التدريس هي الهم المركزي الذي ينبغي أن يستولي على اهتمام البحث العلمي في هذه المؤسسات الجامعية، في حين أنّ مشكلات التربية والتعليم وبالتحديد مشكلات إعداد المعلم للأدوار المستقبلية هي أوسع بكثير من ذلك؛ إذ أنّ تداعيات عصر الثورة المعلوماتية فرضت على القائمين على الفعل التربوي عالميا إعادة النظر في كثير من القضايا التي كانت بالأمس القريب تعتبر من الطابوهات المعرفية الذي لا يمكن المساس بها مثل مفاهيم كل من الزمان، والمكان، والأفق، والمسافة، والعلاقة والمعرفة والدور والموقع، وغير ذلك من المفاهيم المفتاحية ذات العلاقة العضوية بالفعل التربوي وأبعاده الأساسية: المعلم، المتعلم، المناهج ومتعلّقاته.
- نميل إلى الاعتقاد بأنّ رؤيتنا لمشكلات البحث العلمي في هاتين المدرستين غير دقيقة وتقتصر على تزويد الطالب الأستاذ بما يحتاج إليه من كم معرفي متخصّص وتدريبه على أساليب توصيله إلى المتعلمين. من هنا، يمكن فهم سر اهتمامنا الواسع بموضوع التعليميات (Didactics) مع الذهول الواضح عن مختلف المشكلات المجتمعية الأخرى خاصة تلك المتجدّدة والتي تدخل في مجال تخصّص هاتين المدرستين بفعل الثورة المعلوماتية وتداعياتها التي أصبحت محل نقاش علمي عالمي حاد بين القائمين على الفعل التربوي محليا وعالميا، مؤيّدين ومعارضين، إن على مستوى نظرية الفعل التربوي أو مستوى تطبيقاتها.
- قد يكون السبب في هذه الوضعية غياب سياسة بحثية واضحة المعالم ومحدّدة ومتجدّدة تنسجم والتغيرات التي يشهدها المجتمع من خلال الإصلاحات المستمرة لقطاع التربية والتعليم بحيث على الرغم من كل التغييرات التي حدثت في القطاع فإنّ مشروع إعداد المعلم لا يزال يتمّ برؤية تقليدية غير متجددة تراعي التحوّلات المحلية والعالمية.
- إنّ كون أغلب عناوين الرسائل والأطروحات في المدرستين انصبّت على مواضيع تتعلّق التخصُّص الأكاديمي للباحث توحي وفقا لهذه الدراسة بوجود تداخل في النظر إلى الفرق بين وظيفة البحث العلمي في المدرسة باعتبارها مؤسسة تكوين والجامعة باعتبارها مؤسسة تعليم؛ الأمر الذي أدّى إلى عدم التمييز بين الوظيفة الاجتماعية لكل من الجامعة والمدرسة.

التوصيات

إنّ النتائج التي توصّلت إليها هذه الدراسة تقتضي صياغة بعض التوصيات التي نرى ضرورة العمل على تجسيدها في مشاريع البحث العلمي مستقبلاً:

- العمل على وضع سياسة بحثية تنسجم ومجال تخصّص المدرستين في خدمة المجتمع من خلال المساهمة في علاج مشكلاته ذات العلاقة.
- السعي من أجل حصر أقضى ما يمكن من المشكلات المجتمعية التي تدخل في إطار مجال تخصّصهما وهو مجال إعدادا المعلمين والأساتذة منج جميع الجوانب وليس في مجال التعليميات فقط بحيث يكرّس البحث من أجل تطوير مشروع إعداد المعلم الكفء بما ينسجم مع متطلبات العصر الرقمي ومجتمع المعرفة.

المصادر

دليل رسائل الماجستير وأطروحات الدكتوراه. نشر مكتبة المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2012.

دليل رسائل الماجستير وأطروحات الدكتوراه. نشر مديرية البحث وما بعد التدرّج، كتبة المدرسة العليا للأساتذة، القبة القديمة، الجزائر، 2012.

المراجع العربية

- لعلى بوكميش، **معوقات توظيف البحث العلمي في التنمية بالعالم العربي**، جامعة ادرار، الجزائر، أكاديمية الدراسات الاجتماعية والإنسانية ج /قسم العلوم الاجتماعية، العدد: 12، جوان 2014، ص: 03 – 09.
- محمّد عمر باطويح، **البحث العلمي الجامعي ودوره في تنمية الموارد الاقتصادية.** دراسة نظرية تحليلية. كلية العلوم الإدارية – جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا، اليمن، 2002.
- غادة عبد الرحيم بشر، **اقتصاديات البحث العلمي وتأثيره على النمو الاقتصادي المصري**، جامعة عين شمس التجارة والاقتصاد، . مركز النظم العالمية لخدمات البحث العلمي. www.alnodom.com، 2008.
- عائدة مكرد، **تطوير البحث العلمي بالجامعات اليمنية في ضوء الخبرات العالمية الحديثة**، المؤتمر العلمي الرابع لجامعة عدن حول: جودة التعليم العالي نحو تحقيق التنمية المستدامة، جامعة عدن، 11 – 13. أكتوبر 2010م عدن اليمن.
- آية عبد الله أحمد النويهي، **دور الجامعات في تقدم البحث العلمي وأثره علي المجتمع**، المركز الديمقراطي العربي في قسم الدراسات المتخصصة.
- رخصانه محمّد إسماعيل، **واقع البحث العلمي التطبيقي في جامعة عدن وعلاقته بمتطلبات التنمية**، 2010.
- أريج بنت محمّد بن شيحة، **مشكلات الدراسات العليا التربوية للطالبات بجامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية وحلول مقترحه لها**. بحث مكمل لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التربية، (تخصص أصول التربية). 1428 هـ / 2007 م.
- محمّد إبراهيم مقداد، **دور برامج ماجستير كلية التجارة في الجامعة الإسلامية بغزة في المساهمة في تحقيق التنمية الاقتصادية في فلسطين**. الجامعة الإسلامية – غزة. بحث مقدم إلى مؤتمر عمادة الدراسات العليا، الجامعة الإسلامية – غزة. أبريل 2011م
- غنية شليغم، كاوجة محمّد الصغير، **السياسة البحثية في الجزائر، الآلياتو العوائق**، جامعة ورقلة.

- علي عبده الدوش، **علاقة البحث العلمي بالتنمية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس بجامعة عدن**، رسالة جامعية للحصول على درجة الماجستير، جامعة عدن، اليمن، 2003.

- عامر خضير الكبيسي، **أوجه النقص والقصور في الرسائل والأطروحات إزاء مشكلات التنمية وتحدياتها : الأسباب والمعالجات**، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية. ورقة عمل مقدمة للملتقى العلمي بكلية الدارسات العليا. 2011.

- فوزي حسن الشايب، **الرسائل الجامعية بين الواقع والمأمول**، قسم اللغة العربيّة، جامعة اليرموك، الأردن، 2011.

- رشدي طعيمة، تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية، مفهومه، أسسه، استخداماته، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1987.

المراجع الأجنبية

- Creswell, John W. **Research Design.** Qualitative, Quantitative and Mixed Methods Approaches. Second Edition. University of Nebraska, Lincoln Sage Publications, Iternational Educational and Professional Publisher. Thousand Oaks London, Delhi.

- Cathy N. Davidson and David Theo Goldberg**, The Future of Learning Institutions in a Digital Age**, The MIT Press, Cambridge, Massachusetts, London, England, 2009

- Yves Punie and Marcelino Cabrera with support from Marc Bogdanowicz, Dieter Zinnbauer and Elena Navajas.**The Future of ICT and Learning in the Knowledge Society**, EUR 22218 EN, Technical reports series. Report on a Joint DG JRC-DG EAC. Workshop held in Seville,. 20-21 October 2005.

- Nataša Pantić, Alison Closs And Vanja Ivošević. **Teachers For The Future**, Teacher Development For Inclusive Education in The Western Balkans. August, 2010.

- Kathleen Fulton**, Learning in the Digital Age, Insights into the Issues**, The Skills Students Needs for Technological Fluency, Center for Learning and Educational Technology, Univrsity of Maryland, A Publication of the Milken Exchange on Education Technology, USA, 1997.

الأناشيد الوطنية في مزاب:

قراءة في أشعار عمر بن عيسى بلعيد البرّياني

د. يحيى بن بُهون حاج امحمد

قسم اللغة والأدب العربي - جامعة غرداية

الملخص:

لقد شهد شمال إفريقيا سطوة أعتى قوة استعمارية في العصر الحديث، متمثلة في الاستعمار الفرنسي، وكان نصيب الجزائر منها 130 سنة من الاحتلال، ذاق فيها ألواناً من التعذيب النفسي والجسدي، ومنه التجهيل والتجويع والتهميش... ما فاق كل تصوّر أو خيال؛ وخاض أبناء الجزائر عبر تاريخهم الماجد معارك طويلة بالدم والفكر والقلم في صدّ المستعمر وردّ كيده ودسّه؛ يذود عن الحمى والدين واللسان... العلماء والأدباء ورجال الصحافة المخلصين بكلّ ما أوتوا من قوة عقل وفصاحة وبيان، وقد قيّض الله للجزائر _بعد قرن من الاحتلال الغاشم_ ثلة من الرجال الصالحين المصلحين أسهموا في توحيد الجهود، وشمروا عن سواعدهم لإنقاذ أمتهم من ويلات الاستعمار إلى عهد جديد يتنصرون فيه دِيناً ودُنياً.

وكان لظهور الحركة الإصلاحية سنة 1925 الأمل الجديد للجزائر، إذ شرعت في بعث التعليم العربي الأصيل للبنين والبنات، بعدما حرمهم الاستعمار منه دهراً طويلا؛ وطورت المناهج التربوية بعد ذلك، وحاربت الفساد الأخلاقي ومظاهر التخلف الاجتماعي...، حتى تكللت جهود أولئك المخلصين _رغم مكر الاستعمار وكيده_ بميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931 لتكون بعثاً للأمة الجزائرية المسلمة، إذ شرع أقطابها الذين انتشروا في ربوع الجزائر دعاة علم وإصلاح ومن أبرزهم: الإمام عبد الحميد بن باديس في قسنطينة (شرقاً)، والشيخ البشير الإبراهيمي في تلمسان (غرباً)، والشيخ إبراهيم بن عمر بيُّوض في ميزاب (شمال الصحراء)، والشيخ الطيب العُقبي في نادي الترقّي (بالجزائر العاصمة)... وغيرهم، شرع هؤلاء على وجه الخصوص في إصلاح الأنفس من خلال دروس الوعظ والإرشاد، وكان تفسير القرآن الكريم رسالتهم إلى المجتمع؛ فاشتغلوا بتفسيره وبيان معانيه، وأخذوا يَعرضون نُظم مجتمعاتهم على مفاهيم القرآن الكريم وتعاليمه لعلاج أمراضها وأسقامها من خلال فهم آياته ومعانيه وإسقاطها على الواقع المعاش...

ومن القامات السامقة في ميدان الإصلاح بالجنوب الجزائري الكبير، الشيخ الإمام إبراهيم بن عمر بيُّوض (1899 - 1981)، الذي أقام نهضة علمية وفكرية شاملة الأركان بالقرارة ثم انتقلت من هذه الأخيرة إلى عموم قرى مزاب الأخرى، وكانت وفود الطلبة تأتي القرارة من كل مكان لطلب العلم والتكوين الديني والاجتماعي، فخرّج المعهد أجيالاً كثيرة من الطلبة الصالحين المثقفين المصلحين كانوا جُند الإصلاح، وبُناة النهضة، وجنود الثورة الجزائرية المخلصين الشجعان الثابتين، وبُناة الجزائر المخلصين الناشطين بعد الاستقلال في شتى الميادين...

وممن آزر تلك الجهود الإصلاحية الخيّرة أيضاً بعض الصحف العربية الجزائرية، ممن كانت تُعنى في رسالتها بنصرة الإصلاح والمصلحين في كل مكان؛ فمن أولئك الذين انبروا لمجابهة المستعمر بأقلامهم: رائد الصحافة العربية بالجزائر؛ الشيخ إبراهيم بن عيسى أبو اليقظان (1888 - 1973)؛ الذي رابط في الجزائر

العاصمة صحفيّاً مبرّزاً يُنافح ويُدافع عن الدين الإسلامي واللغة العربية بكل ما أوتي من عزيمة وإرادة، يُجابه المستعمر الفرنسي فاضحاً دسائسه وألاعيبه تارة، ويُحارب الآفات الاجتماعية التي غرسها المستعمر في نفوس الشباب، فأفلح وصحبه في اجتثاثها من الجذور؛ وقد كان مقر جريدة الشيخ أبي اليقظان بالعاصمة الجزائر نادياً أدبياً يلتقي فيه أنصاره يؤازرونه في معركته الطويلة مع المستعمر وأذنابه.

وممن أرّخ لتلك الحركة الإصلاحية بالجنوب الكبير، وكان معجباً بجهاد الشيخ الإمام إبراهيم بن عمر بيّوض في حقل التربية والتعليم بمعهد الحياة العامر بالقرارة، وبالعمل الصحفي المتميز للشيخ أبي اليقظان؛ الشاعر عمر بن عيسى بلعيد البرياني(1880 - 1947)؛ فنظم مجموعة معتبرة من الأناشيد التي تحتفي بتلك المكاسب الوطنية في فترة حرجة من تاريخ الجزائر وهي تئنّ تحت نير الاستعمار الفرنسي، وقد تفوَّق في الشعر الملحون وخلّد بشعره المتميّز جزءاً هاماً من تاريخ وذاكرة قريته بريّان خصوصاً والجزائر عموماً، وناصر حركة الإصلاح وجهود المصلحين.

لقد أمضى هذا الشاعر فترة شبابه ببلدته بريان يواكب يومياتها ويرصد بعين الحذر تحركات المستعمر فيها وأذنابه من الظلمة والمفسدين؛ فكان يفضح ألاعيب المستعمر وأذنابه في قصائده التي تضجّ حماساً وغيرةً على أهله ووطنه، وما أن جمع المصلحون أمرهم لإنشاء جمعية رسمية في بريان سنة 1927 حتى كان عمر بلعيد أحد أعضائها العاملين المخلصين، وصار شاعر الحركة الإصلاحية في بريان، إلى أن تعرّض بسبب شدة لهجته على المستعمر وأذنابه في بريان إلى النّفي، واختار العاصمة الجزائر مقاماً له فمكث بها مدة عشرين سنة كاملة... وفي فترة منفاه وغربته القسريَّة جمع أشعاره في دفاتر عديدة، سماها "ديوان الغريب"، وقد طبعنا الجزء الأول من ديوانه وستلي ذلك طبعات أخرى بحول الله وقوته، كما اخترت التركيز في هذه الحلقة الأولى على هذا الشاعر لأمرين؛ الأول: لأنه لم تسبق دراسة متأنية عن هذا الشاعر وإنتاجه الأدبي من قبل، والثاني: لأنه واكب الحركة الإصلاحية البيّوضيّة من أول عهدها، فكان نعم المؤرخ لها شعراً؛ على أن أخصص الحلقة الثانية _إن شاء الله_ للحديث عن إنتاج طلبة البعثات البيّوضيّة من الشعر في مضمار الإصلاح والوطنية.

وتتلخص أهم محاور هذا البحث حول النقاط الآتية، وهي:

- مقدمة.
- عمر بن عيسى بلعيد البريّاني حياته وآثاره.
- نشاطه الاجتماعي ومحاربته للاستعمار الفرنسي.
- "ديوان الغريب" الموضوعات والمضامين.
- النزعة الإصلاحية والوطنية في "ديوان الغريب".
- "زيارة الدكتور بن جلول لوادي ميزاب" (أفريل 1937).
- "قصة المطبعة العربية لجريدة وادي ميزاب المغرب" (1931).
- "قصة تاريخية في خواطر جريدة وادي ميزاب"(1929).
- الخلاصة الملاحق.
- قائمة المصادر والمراجع.

Abstract
North Africa experienced one among the strong colonial powers of modern épouque, Algeria Vicu 130 years of obscure occupation of French colonialism; whose people have seen all the colors of psychological and physical torture, ignerence, famine and marginalization ... which surpassed any perception of imagination.
But indigenous resisted and pay long scrifices blood and ink repelling end of the colonizer and defend their country, their religion and their language ... Scientists, writers and journalists have devoted their strength to spirit and eloquence.
God has granted Algeria -after a century of occupation - an elite fair and honest reformers that they have contributed to the unification of efforts, and they rolled up their sleeves to save their nation against the ravages of colonialism and move towards a new era of hardware and religious triumph.
The rise of the Reform movement in 1925 gave a shot of hope for Algeria, namely the Muslim instruction for boys and girls, that colonialism deprived them for long periods. This reform movement has developed educational approaches and try to end the moral deterioration and all social evils, ..., these efforts resulted -despite the opprission colonial- birth of the Association of Algerian Muslim Ulama in 1931. Its main leaders were spread throughout Algeria, as a preacher of knowledge and reform, among the most famous Imam Abdelhamid Ben Badis in Constantine (east) and Cheikh Bachir Ibrahimi Tlemcen (west) and Sheikh Ibrahim bin Omar Bayyoud to M'zab (north of Sahara) and Sheikh el Tayeb Okbi a "Nadi Attarkki" (Club of the Association of ulemas in Algiers) ... and others.
The Ulama launched the reform, especially the reform of the spirits by preaching. The interpretation of the Qur'an was their message to the community; they took to interpret and transmit its content, and examined their social traditions in relation to the concepts of the Quran and its information to address internal scourges by understanding the verses and their meanings, and compare it with the reality ...
Among the famous and Briants the Reform movement in the great Algerian desrt Imam Sheikh Ibrahim bin Omar Bayyoud (1899 - 1981), which established a complete scientific and intellectual renaissance Guerrara, from where it spread to other M’zab cities, and delegations of students come from all Guerrara seeking knowledge, civic and religious education. Al-Hayat Institute has trained many generations of intellectuals and reformers, who were now partisant of the reform, the artisans of the Renaissance, the brave and loyal soldiers of the Algerian revolution; faithful builders of independent Algeria as activists in various areas ...
In addition, some Algerian Arabic newspapers have devoted pen to support

reform and reformers everywhere; among these feathers that have faced the colonizer: the leader of the Arab press in Algeria; Sheikh Ibrahim bin Abou Al-Yaqdane Aissa (1888 - 1973), which he dedicated to Algiers as a journalist in supporting and defending the Muslim rite and language arab, bold face intolerable maneuver of French, anssi that its struggle against the scourges for social désenracéner. Its headquarters was a careffeur of partisans.
In the great desert chronic Reform movement were written with enthusiasm, Omar Bala'id who was an admirer of the Jihad of Imam Sheikh Ibrahim bin Omar in the field of education and instruction, the Al-Hayat Institute and admirer of journalistic work of Sheikh Abou Al-Yaqdane; the poet Omar bin IASSA Belaid of Berrianne (1880 - 1947), wrote many poems national in a critical period in the history of Algeria. Where he excelled in poetry popularaire - called Malhoune- and succeeded by his poems mémorisrer of an important part of the history and memory of his village Berrianne above and Algeria in general, and by supporting the reform movement and the efforts of reformers.
This poet has passed his youth in his village daily along with the suspicious movements of French Robber and his dark minions and spoilers; he launched a désahabier the tricks of the colonizer and his cronies in his poems full of enthusiasm and zeal on the Corporation and his country. And when reformers ordered the creation of a formal association Berrianne in 1927, Omar Bela'id was soon to be one of its active and loyal members, and became a poet of the Reform movement Berrianne.
But as a consequence of the severity of his tone towards the colonizers and their lackeys Omar was exili, and he left the choice to reside in Algiers for twenty years ... During the period of exile and alienation coercive it recuillé has his poems in many book, called them "poems of itranger" which was printed the first part. It will be followed by other éditions- If God want all puissant-.
I choisissi to concentrate in this first episode of the poet for two reasons; First, for the poet or literary traces have been Jamis about a comprehensive study; Second, because Omar accompanied the movement of the Bayoudiste reform from day one, that's why it's columnist; hoping to spend the second episode to talk about poetic production on reform and nationalism students from Bayoudiste missions.
The theme of this research addresses the following areas, namely:
- Introduction.
- Omar bin Aissa Bela'id Al- berrayani, his life and its effects.
- His social activity and his fight against French colonization.
- "Poems Al Gharib" themes and content.
- The reformist and nationalist in "Al Gharib poems."
- "The visit of Dr. Ben Djalloul to M'zab Valley" (April 1937).
- "The history of the Arab newspapers Printing “Wed Mizab” (1926-1928) and

“Al-Maghrib” (1931).
- "A historical narrative on the newspaper Mizab Wadi" (1929).
- Conclusion.
- Annexes.

- عمر بن عيسى بلعيد البريّاني حياته وآثاره.

الشاعر عمر بن عيسى بلعيد من مدينة بريان[1] بوادي ميزاب، جنوب الجزائر، ولد حوالي سنة 1880م أو قبلها بقليل، فنشأ بها، وأورثته بجمالها وجوها الساحر حب الجمال فهام به في كل مظاهره الحسية والمعنوية، ولما وصل سنَّ التعلم دخل الكُتَّاب فختم القرآن الكريم، وبرع في القراءة والكتابة. فقرأ كثيرا من الكتب التي فتحت فكره وحببت إليه الفصاحة، ثم رحل إلى آتْ يسجن[2] في العقد الأول من القرن العشرين، فحضر دروس "قطب الأئمة": الشيخ امحمد بن يوسف أطفيَّش[3] في معهده وصار من تلاميذه المتفوقين.

تعلم هناك الفقه وشيء من العلوم العربية، وكان شديد الحب للعلم، ذكي العقل، يتمنى أن يكون من كبار العلماء ليصلح بلده وينقذه من الجهالة، لكن فقره وزُهد أهل بلده في العلم في ذلك العهد اختصر مدته في طلب العلم، فلم يكد يَجد حلاوته حتى صُرف إلى طلب المعاش، ولو استمر في طلب العلم لكان ربما عالما كبيرا ومؤلفا فذا بارعاً.

كان عمر بلعيد شديد الحب للعلم والعلماء، فلازم الشيخ الحاج الناصر كروشي[4] لما استقر في بريان؛ فانتفع بمجالسته وازداد علما منه، وامتلأ بروحه، فكان مصلحا كبيرا مثله، يُنكر البدع التي أُقحمت في الدِّين وشلَّت العقول، ويبغض الخمول والاستجداء للاستعمار وأذنابهم من المفسدين.

- نشاطه الاجتماعي ومحاربته للاستعمار الفرنسي.

كان السيد عمر شديد الغيرة على الدين متمسكا به، شجاعاً لا يهاب الظَّلَمة الأقوياء، يَنقض عليهم بقصائده فيصف كل مَخازيهم، وقد يُسميهم لا يُجمجم ولا يستتر، وكان إلى جانب ذلك مرحاً خفيف الروح،

---

1 – بريَّان: مدينة طيبة الهواء، تقع في شمال صحراء الجزائر، وتبعد عن وادي مزاب بـ 40كم إلى الشمال.

2 – بني يزقن: من أهم قرى وادي ميزاب، وهي مدينة العلم والعلماء، ومن أعلامها البارزين الشيخ امحمد بن يوسف أطفيَّش الشهير بـ"قُطب الأئمة".

3 – يعتبر قطب الأئمة الشيخ امحمد بن يوسف أطفيَّش من أشهر علماء إباضية المغرب الإسلامي في العصور الحديثة، وهو صاحب التآليف العديدة في مختلف الفنون النقلية والعقلية، وصاحب مدرسة خرَّجت فطاحل المصلحين والدعاة على مر عقود من الزمن، ولا يزال تراثه المكتوب مخطوطًا في أغلبه نظرا لضخامته وجزالته... ينظر: ملحق السير، إبراهيم أبو اليقظان، ج3 ص 153 وما بعدها، مخطوط.

4 – ينظر: محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ط1، المطبعة العربية 1971، ج2، ص151.

فَكِهَ المجالس، لا يُمل حديثه ومُجالسته، وكان هادئاً في مظهره ورنة كلامه، ولكن إذا حدّقت في عينيه رأيت فيهما لهيب الثورة، وبريق الأسد الهصور، ونور الإخلاص والصفاء والأدب والظرف[1].

لقد كان عمر بن عيسى بلعيد داعية كبيرا في بلده للعمل والنهضة عند انبعاثها، عاملاً في محاربة المفاسد الاجتماعية والخلقية بكل الوسائل، وعرف في نفسه الاقتدار في الشعر، ولما كانت العربية الفصحى لا يفهمها أهل زمانه بكثرة، وكان هو قصير الباع فيها، ورأى غرام زمانه بالشعر الملحون وشدة تأثر الناس به، واقتياد الطرقيين[2] الخُرافيين للعامة به، عزم أن يَجعله هو وسيلته في إصلاح المجتمع، وسلاحه الرهيب ينقضُّ به على الفساد والجمود[3] في بلده، فنظم قصائده الأولى في الشعر الملحون فظهر نبوغه من أول قصيدة، فأقبل الناس والشباب المثقف خاصة على شعره يسمعونه ويتلذذون به، ويرونه عنه فيتغنون به في مجالسهم وأفراحهم، لأنه يعبر عن وجدانهم ويصور أحلامهم، ويطب لأمراض وطنهم، ويليق بمزاجهم، فكان إقبالهم عليه أكثر.

ابتدأ السيد عمر بلعيد نظم الشعر الملحون في أول شبابه في العقد الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، أول العقد الأول من القرن العشرين، فظهر نبوغه الباكر، وشاع شعره الجميل في بلده بريان، ولما اجتاح بلده بريان ومدن مزاب الفيضان الذي وقع في خريف 1319هـ/1901م، أنشأ قصيدة قصصية جميلة طويلة عنوانها (قصة الوديان بَاللُّوحْ والسُّودَانْ)، ذكر فيها أحداث الفيضان ومناظره، وأطواره وأضراره وضحاياه البشرية، وشاعت في بريان ومزاب وحفظها كثيرون وتغنوا بها.

ولما هاجر الشاعر عمر بلعيد إلى الشمال واستقر في الجزائر العاصمة قبيل الحرب العالمية الأولى اكترى مَحلاً صغيرا لعمله ونومه، مثل الكثير من أبناء نوعه وجنسه من المزابيين، ممن اشتهروا بالهجرة إلى الشمال والضرب في الأرض طلباً للرزق؛ وصار يصنع القِفاف، وهي صناعة هادئة نظيفة يستطيع معها التفكير ونظم الشعر، وقد آثرها لهذه المزايا، فدرّت عليه الكَفاف، وقد كان صنَّاع اليد يتقن صنع القِفاف، فاشتهرت بضاعته في الجزائر العاصمة فوقع الإقبال الكبير عليها، وكان يعيش وحده في بيته في الجزائر العاصمة، فذاق وبال العزوبة في الشباب مع كثرة المغريات، ووحشة الوحدة في الدار، فأنشأ في ذلك قصيدة، وأشار إلى ذلك في عدة قصائد، وكان شعره مرآة لحياته الخاصة، كما كان مرآة لميزاب وبلدته بريَّان والجزائر عامة[4].

- حبه للإصلاح والمصلحين:

لقد كان السيد عمر مصلحاً بأتمِّ معنى الكلمة، إذ ناصر كل المصلحين الذين حاولوا بعث حركة إصلاحية في بلده بريان في العقد الأول والثاني من القرن العشرين، ومنهم الشيخ الحاج الناصر كروشي،

1 – ينظر: نفسه، ص190، بتصرف.

2 – الفكر الطرقي كان سائداً بكثرة في الجزائر في فترة الاستعمار الفرنسي، والمراد هنا بعض الطرق المنحرفة والضالة.

3 – الجمود: مصطلح أطلق أساسًا على التيار المحافظ الرافض لفكرة الإصلاح التي انطلقت جذوتها سنة 1925.

4 – ينظر: نفسه، ص190، بتصرف.

والشيخ محمد الطرابلسي[1]، والشيخ عمارة بن صالح موسى المال[2]، وغيرهم كثير ممن جاء ذكرهم في قصيدته التي كتبها بمناسبة زيارة الدكتور بن جلول إلى مزاب سنة 1937م، وهي مبثوثة في آخر ديوانه، كما كان من أكبر أنصار نادي التَّرقي[3] في الجزائر، ولما ابتدأ الشيخ الطيب العُقبي جهاده فيه كان من أكبر مُؤيديه، والملازمين له ولدروسه الأسبوعية، وهو يعرفه ويجلس معه جلسات خاصة، ويُكن له الشيخ الطيب العُقبي وُدًّا واحتراما كبيرين، ولما نشأت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين استبشر الشاعر خيرا، فرأى فيها حلما من أعظم أحلامه يتحقق، فكان من كبار مؤيديها والمعجبين بها وبأساطينها، وذكر الشيخ الدبوز أنه كان يجلس إليه في كهولته في محل عمله في بريان، فيحدثه عن أساطين جمعية العلماء، فهو يعرفهم لملازمته لنادي الترقي مقر الجمعية المباركة[4].



الشيخ ابو اليقظان مع كبار اعضاء جمعية العلماء

– في الصف الاول : جلوسا ، من اليمين الى اليسار : محمد السعيد الزاهري ، العربي التبسي ، البشير الابراهيمي ، محمد ابراهيم الكتاني (من المغرب ضيفا) ، عبد الحميد بن باديس ، الطيب العقبي ، عبد القادر بن زيان ، مبارك الميلي .

– في الصف الثاني وقوفا : محمد العيد آل خليفة ، فرحات الدراجي ، باعزيز بن عمر ، مصطفى حلوش ، محمد خير الدين علي الخياري ، ابو اليقظان . . اخذت هذه الصورة بنادي الترقي حوالي 1934 .

- وَلَعهُ بالصحافة الإصلاحية:

لقد كان الشاعر عمر بلعيد من أكبر أنصار الشيخ أبو اليقظان[5] في جهاده الصحفي في الجزائر العاصمة، ويزور الشيخ في مكتبه ويقرأ عليه قصائد الملحون القوية التي يُنشئها في الدعوة إلى الإصلاح والذّب

---

1 – هو: محمد بن إبراهيم الطرابلسي، من عائلة ڤرڤر من بريَّان، مصلح من الرواد المنشئين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين عالم في القراءات السبع، نزل طرابلس وحفظ القرآن بها فنسب إليها؛ ناصر الحركة الإصلاحية وله مقالات صحفية في المنتقد والشهاب وصحف أبي اليقظان..

ينظر: معجم أعلام الإباضية، مجموعة من الباحثين، المطبعة العربية غرداية، ط1، 1999، ج2 ص 755- 757.

2 – أحد تلاميذ القطب، من شيوخ بريان البارزين، أحد باعثي الإصلاح الأوائل بها. ينظر: نفسه، ج3، ص625.

3 – هو نادي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بساحة الشهداء، أنشأه أنصار الإصلاح من التجار فكان له الأثر البالغ في نُصرة الجزائر..

ينظر: محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ط1، المطبعة العربية 1971، ج2، ص92.

4 – ينظر: نفسه، ص191، بتصرف.

5 – رائد الصحافة العربية بالجزائر بجرائده الإصلاحية الثمانية، أحد مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومن أعضائها البارزين...

عنه، ومحاربة المفسدين والمستعمرين، فيرى فيه الشيخ أبو اليقظان أكبر نصير، ويجد شعره من أحسن الوسائل لبث فكرة الإصلاح في العامة، وقد حدث الشيخ أبو اليقظان _رحمه الله_ المؤرخ محمد علي دبوز مرارا عن الشاعر وأثنى عليه وعلى شعره، ولما أنشأ أول صحيفة له وهي **"وادي ميزاب"**[1] فرح الشاعر عمر فرحا كبيرا وأنشأ في ذلك قصيدة ينوِّه بها ويذكر مزاياها، ولما عُطِّلت حزن حزنا عظيما وأنشأ في ذلك قصيدة، وقد وردت في ثنايا ديوانه.


الجزائر يوم الجمعة ٢٥ رجب ١٣٤٥ وفي ٢٨ جانفي ١٩٢٧ — ثمن النسخة ٤٠ صانتيما — السنة الأولى عدد ١٨

وادي ميزاب

OUED M'ZAB
Rue de la Lyre 59, Alger
CHÈQUES POSTAUX 84-50

جريدة أسبوعية تصدر مؤقتا كل يوم جمعة

هل يمكن للأديان أن تتطور؟

كما كان _رحمه الله_ كثير القراءة للصحف والمجلات العربية الوطنية والمصرية والتونسية وغيرها، وإذا زاره أحد في محله في بريان وجد عنده بجانب أكوام السعف الذي يصنعه، مجلات وجرائد عربية وطنية عديدة كان يستعيرها من أصدقائه فيقرؤها، ويذكر محمد علي دبوز أنه كان حين يجلس إليه في محله كان يحدثه بأهم مواضيعها، فيأخذ واحدة منها فيقرأ عليه الشاعر أو يقرأ له المؤرخ ما يُعجب به، فيستوقفه في بعض فقراتها ليعلق عليها، ويُمضي وقتا طويلا في القراءة في محل عمله، وبوده أن تستمر القراءة والمجلس الأدبي الذي يكون له مع المثقفين الذين يزورونه في محل عمله، وفي دفاتره التي تركها قصاصات كثيرة من مجلات وجرائد عربية، كان يحفظ فيها بعناية كلما يروقه من نظم ونثر[2].

- العمل السياسي بالجزائر:

لما ابتدأت حركة "حزب الشعب الجزائري" في الجزائر (PPA) في أواخر 1936، حيث برز هذا الحزب بمبادئه الوطنية الصارخة الرافضة لسياسة الاندماج والفَرنَسَة التي حاول الاستعمار تمريرها في أشغال المؤتمر الإسلامي الأول بالعاصمة صيف 1936، ولم يتفطن لتلك الألاعيب ولم يفضحها أمام الملأ إلا مخلصي حزب الشعب، وهم الذين سخروا من مشروع "بلوم فيوليت" فسُقط في أيدي العدو ما كان يصبوا إليه..، وقد راقت الشاعر الروح الثورية لهذا الحزب ومناداته بالاستقلال، فكان يقرأ مناشيره وصحيفته العربية

ينظر: معجم أعلام الإباضية، مجموعة من الباحثين، المطبعة العربية غرداية، ط1، 1999، ج2 ص 52- 56.

1 – أول جريدة إصلاحية أنشأها الشيخ أبو اليقظان، صدر منها 119 عددًا، من 1926/10/01 إلى 1929/01/18.

2 – ينظر: السابق، ص191، بتصرف.

باهتمام، وكان عميد حزب الشعب الجزائري الثائر "إبراهيم غَرَّافة"[1] من أصدقائه الكبار، وهو من بلدة "تغردايت" شُعلةٌ من وطنيةٍ لا يخبوا لها أُوار...، كان تاجراً مثلما كان شاعرنا بلعيد، لكن محله فوق ذلك كان نادياً لحزب الشعب يرتاده الصحفيين اليساريين والشيوعيون ممن كانوا يفضحون تجاوزات الاستعمار، وقد كان دكانهما متجاورين تقريباً، فتعاشرا مدة طويلة في الجزائر العاصمة، خاصة خلال الثلاثينيات وبداية الأربعينيات من القرن الماضي، وكانا متشابهين في كثير من الخِلال، فجمعتهما النزعة الوطنية ونصرة الإسلام واللغة العربية.



في الصورة: الشاعر "**مفدي زكرياء**" الثاني من اليمين وبجانبه الشهيد "**إبراهيم غرَّافة**"، وهما بين يدي البوليس الفرنسي يوم 17 جويلية 1937، وذلك بعد ثلاث أيام من المسيرة التي نظمها "حزب الشعب"، وقد أنشد الجزائريون خلالها النشيد الوطني الأول "**فداء الجزائر روحي ومالي**"[2] بحماسٍ كبير، مطالبين باستقلال الجزائر، رافعين الرايات الوطنية في عاصمة الجزائر.

وللشاعر عمر بلعيد اتصالٌ بالعديد من الوطنيين الجزائريين؛ منهم من هو من أبناء بلدته بريان مثل محمد بن عمر أولاد عابو؛ وقد كان أحد الوطنيين القياديين في الحزب الشيوعي الجزائري، وكذلك بُودِي عمر وإبراهيم بن سليمان لَمنوَّر والقائد أَوْرَاغْ وآخرين...، وبعضهم الآخر كان ينشط في الأحزاب السياسية بالجزائر وعَمالاتها الشرقية والغربية، ومقصدهم بالانخراط في تلك الأحزاب السياسية هو خدمة المصالح الوطنية، طبعاً من دون أن يشعر بهم الفرنسيون، فكانوا بذلك يستطيعون أن يُخلِّصوا أيَّ مناضلٍ وطنيٍ قد يُعتقل من طرف البوليس الفرنسي لِمَا لهم من حُظوة في صفوف أحزابهم، ولَمَّا قامت الثورة التحريرية كان الشاعر عمر بلعيد قد تُوفي، ومن بقي من أولئك الأفذاذ شارك بالغالي والنفيس في نصرة الجزائر، فقضى بعضهم شهيداً في الثورة على غرار الشهيد إبراهيم بن سليمان لَمنَّور.

1 – أحد الأعضاء الوطنيين البارزين في حزب الشعب الجزائري في الثلاثينات، قضى شهيدًا سنة 1947؛ ينظر: نفسه، ج2، ص258.

2 – نشيد "فداء الجزائر روحي ومالي" من نظم مفدي زكريا، وقد طُبع بالمطبعة العربية بالجزائر للشيخ أبي اليقظان.

ويبدو من شعره اعتزازه الكبير بالروح الوطنية فهي جُلُّ ما يأسر قلبه، إذ يقف القارئ لديوانه على أسفه للحالة التي آل إليها شباب وطنه من انغماس في الشهوات وسعي وراء الملذات.

وقد بينت لنا قصيدته بمناسبة زيارة الدكتور بن جلول لوادي مزاب في أفريل 1937، أثر الخناق السياسي الذي فُرض على مزاب والجنوب الجزائري عموماً، لأنه صار يعج بالوطنيين، كيف لا ومنهم "مفدي زكرياء" و"إبراهيم غرَّافة" العضوين البارزين في "حزب الشعب الجزائري"، والذين أقضا مضجع المستعمر الفرنسي، حتى خافت أن يمتد نشاطهما إلى الجنوب...، وقد كانت زيارة الدكتور بن جلول إلى مزاب متنفسًا كبيرًا، حتى إن الشيخ بيوض الذي كان تحت الإقامة الجبرية ولم يُسمح له بأي تجمع شعبي، اغتنم فرصة زيارة ابن جلول لمزاب للقاء جماهير المواطنين..



زيارة فرحات رئيس الحكومة المؤقتة إلى مزاب، بُعيد الاستقلال بقليل؛ من اليسار إلى اليمين: الشيخ إبراهيم بيوض، فرحات عباس، الدكتور ابن جلول، والمؤرخ الشيخ سليمان بن داود ابن يوسف.

- "ديوان الغريب" الموضوعات والمضامين.

يحفل ديوان الغريب بمواضيع عديدة ومتنوعة، وتظهر في كثير من القصائد شخصية الشاعر عمر بلعيد المميزة في طابعها الاجتماعي والإنساني، والتي تبلورت من خلال احتكاكه بالناس من مختلف المشارب، وهو ما يؤكد التصاقه وقربه من مختلف فئات مجتمعه، إذ كان يُجلُّ كلَّ عزيزٍ فيه، ولا يفرِّق بين الناس؛ فالكل عباد الله...، وحتى عندما أنشأ فرقته الفنية الصوتية الخاصة كان يشارك بها في كل أفراح سكان بلدته بريان وحتى خارجها، وكل من يدعوا فرقته من الصالحين لإحياء فرح عنده يُلبِّي دعوته بسرور، ويحيي له الحفلة في أحسن ما يكون، وقد كانت الأعراس وما تزال بميزاب تُحيَ من دون مقابلٍ ومن دون تمييزٍ، لأنَّ فرح كل عضو ف البلدة هو فرح للمجتمع لهذا يشارك الجميع في إنجاحه...، وفي ذلك يقول:

21 فِي ازْمَانِي مَانِي نَاكَرْ نَمْشِي مَنْ وَلَى لَلنَّاسِي

22 بَاقْرَايْنِي وُبِهُم نَنْصَرْ وَاعْرَاسْ الَبْلاَدْ اعْرَاسِي[1]

23 مَا نَخْتَارْ فِيهُمْ مَا انْخَيَّرْ مْعَ انْفُوسْ النَّاسْ انْفَاسِي

24 نَقْرَا وُنَزْهَا وُنَسْهَرْ نَرْفَعْ امْعَاهُمْ احْوَاسِي[2]

بالإضافة إلى ذلك فقد صور لنا الشاعر ببراعة أدبية وفنية عدة مناطق من وطننا الجزائر، بدأً بمسقط رأسه بلدة بَرَّيَانْ من قرى وادي ميزاب بمدينة غرداية، وكذا فعل مع مدينة الجزائر العاصمة أين أقام ردحاً من الزمن مشتغلاً بالتجارة، وحين زار مدناً أخرى من الوطن مثل: سطيف وسيدي بلعباس والبُليدة والأغواط وغيرها...؛ ويظهر من خلال وصفه لجمالها تعلقه بكل شبر من هذا الوطن المعطاء، حتى وإن كان في سنوات الثلاثينيات يتخبط في عز مخلفات الأزمة الاقتصادية العالمية، لكن ذلك لم يمنعه من تلمس طبيعة وطنه العذراء واستنشاق نسائم أريافها وواحاتها..، ففي مدينة "سيدي بلعباس" أعجب الشاعر بالفرق الموسيقية التي تجوب الشوارع، ومنظر الصناعات الحرفية اليدوية التي كانت تزخر بها المنطقة، وكذا سيارات الأجرة المتاحة للجميع، وكذا نوادي الجمعيات الثقافية والأدبية.

ولم يُنس هيام الشاعر بالطبيعة مآسي وطنه والتخلف الاجتماعي وبؤس الحياة التي صار إليها سكانه، فكان هناك إيمان عميق يدفعه إلى استنهاض الهمم، وهو كثير ومتنوع في الديوان.

ديوان الشاعر عمر بلعيد المطبوع يحمل بين دفتيه 25 قصيدة مختلفة الطول ومتنوعة الأغراض، وتتجلى في معظمه نزعته الإصلاحية الواضحة وحبه لوطنه ونصرته لأعمال الحركة الإصلاحية في كامل القطر الوطني لاسيما في ميزاب والجزائر العاصمة، أين نشط أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بكثرة، ودافعوا بإخلاص عن القيم الدينية والخلقية، وطوروا التعليم الحر في المحاضر ونصروا اللغة العربية بكل إيمان، فتعلق الشاعر بأقطاب هذه الحركة المباركة، وصار يسعى إليهم في كل محفل قريب وُجدوا فيه.

- النزعة الإصلاحية والوطنية في "ديوان الغريب"

رافق الشاعر عمر بلعيد الحركة الإصلاحية منذ انبعاثها الأول في القرارة على يد الشيخ الإمام إبراهيم بن عمر بيُّوض، وفي بريان على يد الشيخ الحاج الناصر كروشي، والشيخ محمد الطرابلسي، والشيخ عمارة بن صالح موسى المال، وغيرهم كثير ممن جاء ذكرهم في قصيدته التي كتبها بمناسبة زيارة الدكتور بن جلول إلى مزاب سنة 1937م، وهي نفس الحركة التي عمَّت ربوع وادي ميزاب، وأنشأت لها جمعيات تدافع عن أفكارها ونوادي لأنصارها، يُقدّم فيها مختلف النشاطات الأدبية والدينية على مدار الأسبوع؛ ففي القرارة نادي جمعية الحياة، وفي العطف نادي جمعية النهضة، وفي غرداية جمعية الإصلاح، وفي بنورة جمعية النور، وفي مليكة جمعية النصر، وفي بني يزجن المدرسة الجابرية، وفي بريان جمعية الفتح، وفي وارجلان جمعية الوفاق؛ وكانت

---

[1] – من العادات الاجتماعية الطيبة بميزاب إلى اليوم، أن المجموعات الصوتية والمسرحية تنشط في إحياء ليالي الأعراس للجميع بدون مقابل، وتجري نشاطاتها في أجواءٍ بهيجة مليئة بالأنس والفوائد الأدبية والتربوية في نفس الوقت.

[2] – عمر بن عيسى بلعيد البرياني، ديوان الغريب، تح: يحي بن بهون حاج امحمد، العالمية للخدمات الطباعية، الجزائر، ط1، 2010، ص 14.

تلك الجمعيات بمدارسها الحديثة ونواديها الأدبية منابر للإصلاح يتبارى فيها الشباب الناشئ بإلقاء قصائدهم وكلماتهم وخطبهم أمام الجماهير.

لقد كان لزيارة الدكتور بن جلول سنة 1937 إلى وادي مزاب، جميل الأثر في نفوس الضيوف المرافقين وأولياء التلاميذ والحاضرين ومنهم الشاعر عمر بلعيد الذي خلّد تلك الزيارة التاريخية بقصيدة وصف فيها جزءا من رحلة الطبيب ابن جلول؛ وركّز فيها كثيراً على الاستقبال الذي خصّه به تلاميذ بريّان المنتسبين للبعثة العلمية البيّوضيّة بالقرارة لما حلّ ضيفاً على بريّان، ووصف جانباً مهماً من نشاط تلاميذ البعثة العلمية وأخلاقهم، فهم ثمرة الحركة الإصلاحية في بريان، ولطالما انتظر الشاعر ورواد الإصلاح مثل هذه المناسبة ليقدّموا للجماهير العريضة في بريان الأنموذج الناصع والمثال الرائد لنتاج أشبال بريان بالبعثة العلمية البيُّوضيَّة بالقرارة، إذ طالما استهزءا العامة والسفهاء من انقطاع التلاميذ للتدريس في معاهد خارج بريان وهو ما لم يكن من قبلُ؛ إذ كيف يعقل أن يواصل التلميذ دراسته بعد مرحلة الكتاتيب؟ وأنى له أن يبتعد عن الانشغال بالفلاحة المحلية ومساعدة أوليائه في سدّ القوت اليومي لعائلاتهم أو الهجرة والتغرّب في شمال البلاد للتجارة؟...؛ لقد كان الانقطاع للدراسة في تلك العهود يُعدّ بدعةً وانحرافاً بل ومدعاةً للتقاعس عن الواجبات اليومية عند سواد المجتمع، لذلك تجد بعض الموسرين ضد نظام البعثات لا لشيء إلاّ لأنه يحرمهم من السيطرة على الطبقة العاملة النجيبة من جهة والرخيصة الثمن من جهة أخرى؛ ومعارك حركة الإصلاح في هذا الباب طويلة جداً؛ وليس المقام مقام التفصيل فيها، وربما عدنا إلى هذا الموضوع في دراسة أخرى متأنية إن شاء الله؛ وعن ما سبق من المعاني التي ذكرنا وغيرها يقول الشاعر:

1 اَبْتَدِي بَاسْمْ الرَّحْمَانْ الرَّحِيمْ عَلَّمَ القُرْآنْ عَلَّم الإِنْسَانَ البَيَانْ[1]
سُبْحَانْ الْمَوْلَى الْحَمِيدْ

2 هَذِهِ قِصَّة الاِحْتِفَالْ لَلشَبُوبَّه وَالاَشْبَالْ يَا ابْلاَدِ دُقِي مَن فَالْ[2]
عَمْرَكْ اسْمَعْتِي تَقْصِيدْ

3 تَحَّلْفِي بَالله القَيُّومْ اسْمَعْتِي مِثْلَ ذَا الْيُومْ أَوْ شَهَدْتِي مَن العُلُومْ
مَنْ أُولاَدْ سَنْ التِّلْمِيذْ

4 فِي عُمْرَكْ بَالْمِيزْ أُو قِيسِي مَا بِينْ اليُومْ وَالاَمْسِ مَنْ عَهْدَكْ الأَوَّلْ لاَ تَنْسِي
مَنْ اعْصُورْ عَمْرَكْ فَعِيدْ

5 سِوَى جَهْلَكْ عَامَلْ خَيْمَه اعْلَى اذْيَارَكْ يَا الغَاشِيمَه دَابْ أُولاَدَكْ فِي الَهْكُومَه[3]

---

[1] – تناص مع قوله تعالى في سورة الرحمن: " الرحمن، علم القُرآن، خلق الإنسان، علمه البيان "، الرحمن، الآيات 1– 4.

[2] – الفال: بواكير الثمار الناضجة، أي: يا بلادي ذوقي بواكير ثمار النجاح في أبنائك المتعلمين.

[3] – يريد: اشتغال الناس بالتهكم والسخرية وعدم الجدية.

فِـي   عُـتُـوٍّ   وَعَـتِـيـدْ[1]

من البيت الثالث إلى الخامس تأكيد على ما سبق ذكره من تفشّي الجهل وتدني مستوى التعليم في بريان ومزاب عموماً، وفي ذلك يقول الشيخ القرادي وهو يتحدّث عن مراحل نمو التعليم في العطف وفي عموم وادي مزاب: "...كان التعليم منحصراً في المحاضر والكتاتيب...، ولم يكن يُسمح للشباب أن يشتغلوا بشيء في وضح النهار غير العمل الجدّي المنتج كالفلاحة والبناء أو التجارة في رحلات طويلة إلى وارجلان أو إلى مدن الشمال، وكان العلماء حينئذ يعانون الأمرّين من عنت الجهلاء وصدود الناس عن العلم ما لا يعلمه إلاّ الله، وقد صمد العلماء في الميدان صمود الأبطال حتّى بلّغهم الله ما كانوا يؤمنون به..."[2].

لقد كان الاحتفال بقدوم الدكتور بن جلول (زعيم حزب النواب الجزائري) آنئذٍ فرصة للدعاية المجانية للآباء المتقاعسين عن تعليم أبنائهم التعليم العصري في كنف الجمعية الإصلاحية وإرسالهم إلى البعثة العلمية البيُّوضيَّة بالقرارة، فلا يذهب خيال أحد بأنَّ الاحتفال هو دعاية لحزب النواب لأنه كان معروفاً لدى الخاص والعام بأن العمل السياسي في الجنوب الجزائري كان ممنوعاً بكل الطرق، وأنَّ "الحكم العسكري" هو النظام المطبق بها، فحتى وإن تعاطف أحدٌ مع هذا النائب فإنه لا يستطيع أن ينخرط في حزبه إلاَّ إذا كان مقيماً في عمالة قسنطينة أو إحدى عمالات الشمال الجزائري الأخرى أي عمالة وهران أو الجزائر العاصمة لا غير؛ لذلك فالراجح أنّ احتفاء الجمعية الإصلاحية ببريان بمقدم الدكتور بن جلول، كان فرصة سانحة للدعاية للتعليم العصري ببريان والقرارة؛ والمتأمّل في مجموعة الأبيات الآتية يدرك عمق شعور المصلحين عموماً ونشوتهم بحفلة التلاميذ المميزة، وفي ذلك يقول الشاعر:

6 ابْلاَدِ بَشْرَكْ هَنّي قَدْ فَرِحْنَا لَكِ غَنّي هَنِيئاً مَرِيّاً مَنّي
فَعَزّي الطَّارَه وَالْعُودْ[3]

7 فَافْرَحِي جَاتَكْ عُلَمَا مَنْ لُولاَدْ كَانَتْ غُشَامَا دَامُوا بَاقْرَايَه دَوَامَا
فَاصْبَرْ تَبْلَغْ مَا تُرِيدْ

8 خُوذِي بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَه بَالْهَنَا قَدْ جَاتَكْ سَاعَه تَبَّلْغِي مَا امْضَى وَضَاعَا
رَبِّ بَلَّغْ الْمَقْصُودْ

9 رَحْبِي بِهُمْ بَاحْنَانَه لَقِيهُم مَلْقَى مُحْسَانَا لاَ بْالَحْسَدْ وَلاَ بَاشْحَانَه
فَالْمُومَنْ مَا يْكُونْ احْقُودْ

---

1 – عمر بن عيسى بلعيد البرياني، ديوان الغريب، ص223.

2 – إبراهيم بن يحي القرادي، الآثار الفكرية، العالمية للخدمات الطباعية، الجزائر، نشر جمعية النهضة العطف – غرداية، ط2، 2009، ص 83.

3 – أي: يا بريان أبشّرك بالخير فافرحي وانتشي، وعزّي بالأناشيد الجميلة القيتارة والعود ومزامير الشيطان.

10 جَاتْنَا "بَعْثَة العِلْمِيَّه"[1] اِيزُورُوا اذْيَارْ الوَطنِيَّه مَرْحَـباً بَالشُّبُوبِيَّه
يَجْعَلْ ايَّامْهُمْ اعْيُودْ

11 انْهَنِّي الآبَاءْ وَالأُمَّهَاتْ بَالتَّلاَمِيذْ حَيْثُمَا جَاتْ يَعْطُونَا مَنْ شَتَّى اقْتِرَاحَاتْ
تَنْهَضْ الأُمَّه مَنْ خُمُودْ

12 شَنَّفْتُ مَسَامِعُونَا مِنَ الْخُطْبَاتِ اَنْ تَلْقُونَا اَقْمَارُ الدَّيَاجِي هُنَا
كُلْ وَاحَدْ اغْصَنْ مَمْدُودْ

13 اَيْقَظْ يَا نَايَم لَلسَّمْعَه مَا اعْطَى رَبِّ لِيلَتْ الْجَمْعَه نَسْمَعْ مَنْ الْخُطَبَا[2]
بَاصْوَاتْ احْنَانْ وَالتَّجْوِيدْ

14 تَرْهَبْ مَنْ ذَاكْ الْمَحْفَلْ بَالنِّظَامْ اِيوَالَمْ لْمَحَلْ سَعْدَكْ يَا مَنْ كُنْتْ تَعْقَلْ
الفَصَاحَه وَالتَّرْغِيدْ

15 تَسْمَعْ مَنْ نَغْمَاتْ كَالْبَلاَبَلْ اعْلَى الأَغْصَانْ صُوتْ مَطْرَبْ يِفَجِ الاَمَحَانْ
مَنْ الدُّرُوسْ وَالنَّاشِيدْ[3]

لقد كان من أهمّ روافد الحركة الإصلاحية وأعظم بصماتها في مزاب "إصلاح التعليم"؛ إذ به نجحت الحركة الإصلاحية في مشروعها الحضاري المتكامل، وأوّل من خطط لذلك وشرع في تنفيذه هو الشيخ الإمام إبراهيم بن عمر بيُّوض في القرارة، فبعد إنشاء معهد الحياة سنة 1925م، أنشأ الداخلية للطلبة الوافدين من مختلف قرى مزاب وورجلان؛ حتى أمَّها الطلبة الذي وفدوا من جبل نفوسة بليبيا، فبثّ فيهم روح التعليم العصري المنظّم والفكر الإصلاحيّ النيّر، وقد كانت وما تزال دار البعثة ومعهد الحياة تتكاملان في تربية النشء وتكوين الخلف الصالح للمجتمع؛ أما شعار المعهد فهو: "التربية قبل الثقافة ومصلحة الجماعة قبل مصلحة الفرد"، والبعثة تعتني كل الاعتناء بالتربية الخلقية، وتغرس الخلق الكريم في الطالب بأساليب عمليّة، وبالطرق التي يأمر بها علم النفس والتربية الحديثة، إنها تعود الأبناء صفاء الطوية والأمانة والكرم والشجاعة والنظام والطموح والتجدد في دائرة الدين ومقت الخمول والجمود والعصبية[4]؛ وفي الأبيات السالفة بيان جملة من مزايا البعثات العلمية البيُّوضيَّة بالقرارة، ومنها خصوصاً:

1 – هي: البعثة العلمية البيُّوضيَّة من طلبة بريان بالقرارة.

2 – شارك في هذا الاحتفال سبع متدخلين، كان من بينهم الشيخ الإمام إبراهيم بيُّوض والدكتور بن حلول.

3 – عمر بن عيسى بلعيد البرياني، ديوان الغريب، ص223 – 224.

4 – ينظر بتفصيل: محمد علي دبوز، نهضة الجزائر وثورتها المباركة، ج3، ص146 – 213.

- اعتبار النهضة الإصلاحية وجهودها في التعليم وبخاصة إنشاء معهد الحياة وتنظيم "البعثات العلميَّة" إليه؛ عصراً جديداً طوى كلّ ما قبله من مظاهر الجمود والتخلف إلى غير رجعة (أنظر الأبيات: من 2 إلى 6).
- ظهور بواكير ثمار إصلاح التعليم وذلك من خلال تفوّق تلاميذ "البعثة العلمية" في فنون اللغة العربية وكذا حسن تجويد القرآن الكريم وترديد الأناشيد الهادفة (وطنية واجتماعية) وإلقاء الخطب البليغة الرنانة، وهو ما لم يكن من قبلُ في كتاتيب مزاب.

ومن مظاهر النزعة الوطنية أيضاً في شعر عمر بلعيد نظمه القصائد الطويلة في معظم الأحداث الوطنية، وخاصة ما تعلق بجهود الحركة الإصلاحية بالنهوض بالأمة الجزائرية ومقاومة الاحتلال الفرنسي بالعقل والقلم أي قبل تبلور الحركة الوطنية والنقابات والأحزاب السياسية بوقت ليس بالسير، فقد عثرت له على قصيدة مخطوطة طويلة يصف فيها جهاد الشيخ سليمان باشا الباروني الليبي وثورته ضد الاستعمار الإيطالي سنة 1912، ويدعو فيها الجزائريين إلى نصرته وجهاده في حرب أعداء ليبيا؛ وما إنشاء الصحف الوطنية والمطابع العربية والدعاية لها إلاَّ جزء من الكفاح المقدس ضد المستعمر، والشاعر عمر بلعيد قد كتب في هذا المجال شعراً رائداً كثيرا.

- قصيدة في نشأة "المطبعة العربية" بالجزائر.

خاض الشيخ إبراهيم أبي اليقظان غمار التجربة الصحفية مبكراً وذلك بداية من سنة 1926م بإصداره أول جريدة عربية له هي "وادي ميزاب" والتي كانت تُطبع بتونس لفقدان المطابع العربية وندرتها بالجزائر آنئذ؛ وقد لقي في سبيل نجاح مشروعه الصحفي الرائد عنتاً كبيرا لم يوقف طموحه في إنشاء "مطبعة عربية" بالجزائر رغم تعرض جريدته البِكر للمصادرة من طرف الإدارة الاستعمارية سنة 1929؛ إذ لم يزده ذلك إلاَّ إيماناً ويقيناً بضرورة إنشاء مطبعة عربية تحمل عبء المثقفين وأنصار اللغة العربية تشجعهم على طبع كتبهم بأيسر السبل وأقل التكاليف في وطنهم الجزائر.

وبالفعل خلال سنة 1929 صار يفكر جدّياً في بعث هذا المشروع الطموح الذي يتطلّب ولاشك أموالاً وجهوداً وفريقاً من العاملين ينوء بها عاتق أبي اليقظان وحده، وهذا ما جعله يطرح هذا المشروع على إخوانه الغيورين من رجالات الإصلاح بوادي ميزاب من أمثال الشيخ بيُّوض والشيخ عدُّون والشيخ عبد الرحمن بكلّي، والشيخ الثميني والسيد عيسى تعموت معاونه وعضده في هذا المجال.

وفي سنة 1931 تكللت جهود الشيخ أبي اليقظان بإنشاء "المطبعة العربية" بالجزائر العاصمة، بفكرته واجتهاده؛ وقد آزره في ذلك الغيورين من أنصار الحركة الإصلاحية، وتحمّل المزابيون الأعباء المادية لهذا المشروع الكبير، فاعتمد على مساعدة التجار المزابيين المقتنعين به في جميع نواحي القطر بما قدموه للشيخ أبي اليقظان من تبرّعات أو قروض معجلة أو مؤجلة[1]...

ويقول الشيخ بيُّوض في رسالة بعث بها من خنشلة بتاريخ 4 ذي الحجة 1355هـ/الموافق لـ 27 فبراير 1936م؛ مواسياً ومؤازراً للشيخ أبي اليقظان في جهاده الصحفي: "...وأما التآمر على الجريدة والمطبعة فما هذه بأول

[1] – ينظر: محمد ناصر، المطبعة العربية معلم وطني مجهول (1931- 1962)، مكتبة الريام – الجزائر، ط1، 2008، ص7.

مرة بُذلت الجهود في سبيله؛ فصبراً، وثباتاً، وتجلّداً أيها الشيخ؛ فإنَّ الله سبحانه وتعالى قد عوَّدنا السلامة والنجاة واللطف في قضائه ما أخلصنا في عملنا، وحسنت نياتنا، وجاهدنا في سبيله لوجهه، لا لغاية دنيوية ولا لغرضٍ شخصي، وما هذه الغمرة بالنسبة لما نجوت منه من غمراتٍ أم تقول ما كلّ مرة تسلم الجرّة، قد يكون في ذلك شيء من الحق، ولكن قد تسلم الجرة في كل مرة إذا كانت محاطة بإطار فولاذي من حسن النية والإخلاص وقصد الخير، فخفف أخي من تأثرك، وهدئ من روعك فستنكشف الغمَّاء وتنجلي الغمرة"[1].

يقول الشاعر عمر بن عيسى بلعيد في قصيدته المسماة: "قصة المطبعة الناشئة التاريخية العربية لجريدة وادي ميزاب المغرب؛ من نظم الملحون للناشئ الغريب الجزائري".

01 بُشرَى فِي عَام اثلاَثِينْ — مَن بَعد المِئَات احسَبْ

02 قُل اميَا مَن عَشرَتِينْ — لَلمَسِيحِيَّة يُنسَبْ

03 بُشرَى لَنَا مَجمُولِينْ — وَخُصُوص أهْل المذهَبْ[2]

04 أهل الحَق وَالسُّنِّيينْ — أهل الشَّاجعَة تَرهَبْ

05 هُو عِيد بين العِيدِينْ — عَاشَا وَاثبَت "المغرَبْ"[3]

وهنا إشارة إلى التضحيات التي بذلها الشيخ أبي اليقظان من أجل المحافظة على سير جريدة "المغرب" والتي كانت تُطبع بـ"المطبعة العليوية"، ومن عددها السابع والعشرين الصادر بتاريخ: 5 مارس 1931، صارت تطبع بـ"المطبعة العربية"؛ وقد لاقت هذه الجريدة كمثيلاتها العنت والتضييق من طرف الإدارة الاستعمارية الفرنسية بسبب خطتها التي تميزّت بالتصعيد الوطني الصارخ؛ إذ تزامنت مع عزم فرنسا إحياء الذكرى المئوية لاحتلال الجزائر[4]...

06 كَان يَاخُذ تَحت اليَدِّينْ — وَاتهَاونُوا بِه مجَرَّبْ

07 فِي أنفُسِهِم سَابِقِينْ — بَعد أن أعْيَات اتْرَاقبْ

08 فَيَقرَاوهَا النَّاظِرِينْ — يَطَّالعُوا عَلَى مَا وْجَبْ

09 بَعد أنْ اتْنَاوَلْهَا اليَدِّينْ — تَخرُجْ لَنَا تَتْنَاوَبْ

---

1 - ينظر: نفسه، ص13.

2 - أي: الإباضية؛ لأنَّ جرائد أبي اليقظان ومطبعته العربية كانت بحق اللسان الرسمي للأمة المزابية آنئذٍ، أنظر: محمد مناصر، المطبعة العربية، ص7.

3 - جريدة "المغرب" للشيخ أبي اليقظان؛ وقد صدر منها 38 عدداً، انطلقت يوم 1930/05/29 وصادرتها الإدارة الاستعمارية يوم 1931/03/09.

4 - محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية (1847 – 1954)، نشر، ألفا ديزاين – الجزائر؛ ط2، 2006؛ ص101 وما بعدها.

ثم ينتقل الشاعر بعد ذلك إلى وصف شيءٍ من أريحية الأمة المزابية التي ميّزت انطلاق المطبعة العربية رسمياً؛ وقد بذلت جهوداً حثيثة في مؤازرة الشيخ أبي اليقظان في جهاده الصحفي المتميّز[1]

10 قَــامُوا لِيهَـا العَـارِفِينْ … وَاقْـوَاتْ لَعْظَـمْ وُ لَعْصَـبْ
11 إِذَا الرّجَـــالْ قَـائِمِـينْ … لاَ شِيءْ اَعلِيهُـم يَصْعَـبْ
12 جَـــزَا اللهُ المـتْـعُوبِـينْ[2] … عَـنهَـا وَكَـانُـوا سَبَـبْ
13 وَمَـا احِرضُـوا الرَّاغِبِين … مَـا ضَاعْ حَـقْ مَنْ طْلَبْ
14 الآنْ مُـطْمَـئنّــينْ … مَنْ بَعدْ اَدْوَاحْـهَـا تْرتَّبْ
15 فَـبُـشْرَى لِلمُـؤمِـنِـينْ … مَنْ يَعْتَــانِهَـا قَــرَّبْ
16 فِي تَسخِيرْ فَتْح العَيْنْ … أنْشَـأهَـا عَـالِي المَنصَبْ
17 وَبُشرَى لِلــوَارِديــنْ … اللّي يَقصَدْهَـــا يَشْـرَبْ
18 الماءْ اينَبَّـعْ وَابْنِيـــنْ[3] … عَـذبْ وَالْـذِيـذْ إيصَـبْ
19 تَسقِي الجَـرِيدَة[4] … تَطْـلَـعَ عَـالْـيَة كَالقُطبْ
20 كَالقَمرَةْ بِيـنْ اسْحَابِيـنْ … فَلاَ يَضُـرُّهَــا اَلظَّـبَّــبْ

لقد تصدّى الشيخ أبي اليقظان لمكائد كثيرة وعديدة في سبيل سير مشاريعه الفكرية وعلى رأسها جرائده الإصلاحية؛ فها هو يُزجي سفينتيه: جريدة "المغرب" و"المطبعة العربية" في خضمّ الجزائر التي تنوء باستعمارٍ طال ليله، وها هي الإدارة الاستعمارية تكيد لكلّ مشروعٍ نهضويٍّ إصلاحيٍّ العداء الشديد؛ بصفةٍ مباشرة أو غير مباشرة؛ أي بواسطة أذنابها ممن عدموا الضمير الوطني؛ وفي ذلك يقول:

21 مَـا ضَـرَّتْـهَا الحَاسِدِينْ … اَتْعِيشْ عْلِيهُم تَغْـلَـبْ
22 عَجَـــبـاً للنَّـــاكِرِيـنْ … يَقَّطْعُوا اَلسَـانْ يْجَاوَبْ
23 تَدْفَـعْ كَـيدْ الخَـائِنِـينْ … تَـرشَـدْ لَلطَّرِيقِ امْصَوَّبْ
24 هِيَ أسَـدٌ لَلْعَدْيَـانِينْ … تَفْتَرِسهُـمْ بَالْمَخْـلَـبْ
25 بِينْ انْيَابْهَـا دَاخْلِـينْ … هِيَ وَاشْبَالْـهَا تَعَـطَّـبْ

---

1 – أنظر تفصيل ذلك عند: محمد ناصر، المطبعة العربية، ص9 – 20.

2 – أي: الذين تعبوا من أجل قيام المشروع واستمراره ونجاحه.

3 – أي: حُلو.

4 – يريد: جريدة "المغرب" كما أسلفنا.

26 وَلَهَـا اللهُ _ آمِـيــنْ _ دَامَـتْ حُـرَّة ما تْـغَـيَّـبْ[1]

27 مَرْفُـوعَـة فِي كُـلْ حِـيـنْ تَحتْ اجْوَانَحْهَا تَحْجَبْ

28 احْنَـا بِهَـا زَايْـدِيـنْ وَالـذُّلْ وَالحُـقْـرَة[2] تَـذْهَـب

29 نَـاقَـة صَالَحْ نَعْمَـتِـينْ تُـوقَـفْ قَـدَّامِي نَحْـلَـبْ

في وصف محلّ "المطبعة العربية" وآلاتها وعمالها، وقد كانت في ذلك الحين قد توّلت طبع جريدة "المغرب":

30 فَتْحَتْ لْمَطْبَعَة يَـقِـينْ تَـخدَمْ بَالخَفَّـة تَـزْرَبْ

31 فَـقَـد الاَمطَابَعْ مَرتِـينْ[3] وَاتْحَافَـةَ[4] لاَ مَن اكْـسَـبْ

32 فَى النِّـظَـام وَالتَّـتْـقِـينْ لِجَـرِيــدَةِ "المـغـرِبْ"

33 لَلكُـتُــوبْ المَطبُـوعِـين بَالـعَـرَبِـيَّـة تَـكـتَـبْ[5]

34 فَـرُحتْ انْشُـوفْـهَا بَالعَـينْ انْصِيبْـهَا غَـايَـة تَـعْـجَـبْ

35 والعُـمَّــال مْـنَـبْـهِـينْ وُ يَـشْـتَــوْرُوا بَــالأَدَبْ

36 إِيقُـومُـوا بَـالزَّائِـرِينْ وَاللِّي جَــاهُـمْ يَتْـرَحَّـبْ

37 اَبْلاَيَصْـهُـم بَـايْـنِـينْ[6] وَاللِّي عْلِـيهُـم إِيـرَاقَـبْ

38 مْـعَ الصَّـنْـعَـة مَشْـغُـولِينْ حَتَّـى وَاحَـدْ مَـا يَسْـلَبْ

39 شَـفْـتْ اَرِكَـانْـهَا ضَـاوِيـنْ وُ المَحَـلْ جَـا فَى المَنَـكَبْ

40 شَـفْـتْ اَنْـوَامَـرْ[7] فَى الاَمْـوَاشَـن[1] تَـتْـرَكَّـبْ

[1] – هنا التخوف الصريح مصدره احتجاب جريدتي "وادي ميزاب" و"ميزاب" قبلها، وللأسف فقد يتوانى المستعمر عن حَجبِ هذه أيضاً.

[2] – اَلْحُقْرَة: بقاف مثلثة؛ هو الظلم باللسان الجزائري الدَّارج، وإن كان أصل الكلمة فصيحاً وهو الاحتقار.

[3] – أي: تُشبه المطابع الكبرى أو تتجاوزها مرّتين.

[4] – أي: زينة وبهاء.

[5] – صدر بالمطبعة العربية من الكتب العربية ما يأتي: ديوان أبي اليقظان، وكتاب الجزائر، والمسلمون في جزيرة صقلية لأحمد توفيق المدني، وسليمان باشا الباروني تأليف الشيخ أبي اليقظان، وكتاب تاريخ الجزائر لعبد الرحمن الجيلالي (جزآن)...؛ ينظر: محمد ناصر، المطبعة العربية، ص41 – 42.

[6] – أي: أماكنهم معلومة.

[7] – أي: الأرقام، وأصل الكلمة بالفرنسية (les numéros).

41 شَفْتْ الدُّوزَانْ لِكُلِّ صَنْعَة تُوجَبْ

42 فَشُفْتْ[2] اَحْرُوفَهَا فِي اَطْوَابَلْ[4] صَيَّادْ اجْلَبْ

43 وُ شُفْتْ[3] كِيفْ اَمْسَتْفِينْ[5] اَعْسَاكَر بَاشَا حَرْبْ

44 اَحْرُوفْ اذْكِيرْ[6] مَطْلِيِّينْ مَصْنُوعِينْ اَسْنَانْ اَرْنَبْ

45 قَدْ اَحْرُوفْهَا مَوْزُونِينْ خَيُوطْ اَحْرِيرْ مْكَبَّبْ

46 إذَا قُلْتْ: مْذَهْبِينْ لِمَنْ يَقْطَعْ وَايْذَوَّبْ

47 وَالْمَعْنَى لَلْفَاهْمِينْ اللِّي يَنْطَقْ مَسْتَعْرَبْ

48 فَدَعْ عَنْكَ الْمَكْمُوشِينْ[7] وُ حَالَتْهُم اتْشَيَّبْ

49 شَفْتْ الْمَاشِينَة[8] تَهْبَطْ تَطْلَعْ اَتْقَرْقَبْ[9]

50 وَامْشَاغَلْهَا اَمْحَرْكِينْ اَتْحَطْ اَلوَرْقَة تَقْلَبْ

51 يَحْكَمْهَا زَيَّارْ[10] اَمْتِينْ وَالْحِبْر فُوقْهَا اِكَبْ[11]

52 يَخرُجْ اَمْسَطَّرْ مُبِينْ مَا هُو نَعْتْ اَليد اَكْتَبْ

53 مَا هُو اقْلاَمْ مَشْقُوقِينْ تَلْك الكَتْبَة مَا تَتعَبْ

54 فِي ضَنِّي عَنْدْهَا سَكِّينْ يَقْطَعْ اَلورَقَةَ تَسْرَبْ

---

1 – أي: الآلات، وأصل الكلمة بالفرنسية (les machines).

2 – أي: أدوات العمل موضوعة.

3 – هنا تشبيه للحروف الحديدة وهي مصفوفة في صناديقها كأنها صناديق سمك السردين، وهو منظر تعود رؤيته عند بائعي السمك في السوق.

4 – أي: الطاولات؛ وأصل الكلمة بالفرنسية (les tables).

5 – أي: مرتَّبين ومنضَّدين.

6 – أي: الحديد الصلب.

7 – أي: المتقوقعين والجامدين؛ ويقصد بهم الانهزاميين.

8 – أي: الآلة؛ وأصل الكلمة بالفرنسية (la machine).

9 – أي: تصدر الأصوات من حركتها.

10 – أي: ضاغطة أو ملزمة، وهي آلة ضغط الأوراق وتنضيدها.

11 – أي: يُصبّ.

55 تَنْظَرْ اَسْطُورْ مَقدُودِينْ[1] اَسـوَدْ فَـالـوَرقَـةَ تَصْهَـبْ

56 اَحْـرُوفْ أسـوَدْ عَـامْرِينْ أتْـقُـولْ اَعْـنَاقِـيدْ اعْـنَـبْ

57 يَخرُجْ "اَلْمَغْرِبْ" اَسْمِينْ[2] وَالنَّـاشِيء فَـخَـرْ اَنـسَـبْ

في مدح مدير المطبعة وهو الشيخ أبي اليقظان؛ وقد اعترف بجهوده أعدائه قبل أصدقائه؛ وشهد الجميع لخطة جريدة "المغرب" الموفقة ونهجها السويّ؛ فالألسنة تلهجُ لذلك بالدعاء بمزيد من النجاحات قائلاً:

58 "أبِي اليَقظَانْ" سَامْعِـينْ رَايَـسْ فِي عَـرْشُـو يَخْطَبْ

59 بَالْـمَـطْـبَـعَـة وَالْـعِيـنْ[3] بَـالأصـدِقَــاءْ وَالأحِـبْ

60 جَـاتْـهَا النُّكَّارْ خَـاضِعِينْ وَاللِّـي شَـافْـهَا يَتَـنَـقَّبْ

61 خَـرجُـوا مَنْـهَا مَدْهُـوشِـينْ كِي صَابُـوهَا مَا تَكْـذَبْ

62 اتْـحَـمَّـرْ وَجْـه الفَـارِحِينْ وَالْـحَـاسَدْ جِـسْمُ يَشْـحَبْ

63 هَـا نَتْـمَنِّى فَـايْـزِيـنْ وُ رَبْـنَـا مَـا خَـيَّـبْ

64 نَتْـمَـنَّـى أُمُـورْ أُخْـرِيـنْ فَى الصَّـلاَّحْ وَالْخِيرْ اَنْحَبْ

خاتمة:

65 تَـمَّـتْ قِـصَّـة الْمَسْكِينْ فِي ابْـلاَدْ النَّـاسْ اَمْسَيَّبْ

66 فَى الْجَـزَايـرْ حَـوَّاسِينْ[4] لاَ لِي خَدْمَة لاَ مَكْسَبْ[5]

67 "عُمَر"[6] يَبْغِي الصَّادِقِينْ وَايْخَيَّـرْ مْعَ مَـنْ يَصْحَبْ

68 مَـا يَحْمَلْ الـرَّادِلِـينْ[7] وَاللِّـي فِي سَـاعَـة يَغْضَبْ

---

1 – أي: معتدلين.

2 – أي: يخرج عنوان الجريدة "المغرب" سميكاً.

3 – أي: مُهتمِّين.

4 – أي: سائحين.

5 – الراجح أنّ هذه مبالغة من الشاعر؛ لأنه في الأصل صاحب حرفة وتجارة، وقد تكون ربما إشارة منه لوضعية التجارة بالعاصمة وهي تعاني من تبعات الأزمة الاقتصادية العالمية؛ ولا شكّ بأنها قد مسّته ومسّت غيره كثيرين؛ وقد تصدَّت جريدة "المغرب" طويلاً للحديث عن هذا الموضوع.

6 – هو: الشاعر عمر بلعيد ناظم القصيدة.

7 – أي: الأراذل.

69 رَبِّ مْعَ الْمُحسِنِينْ نَطْمَعْ فَالله نَرْغَبْ

وقد انتهت القصيدة بدون توقيع كما يظهر في آخرها؛ والراجح أنها تعود لمطلع سنة 1931م وذلك قبيل توقيف جريدة "المغرب" عن الصدور والذي وقع في 09 مارس 1931م، فقد ذكر الشاعر جريدة "المغرب" باسمها في أكثر من موضع في القصيدة بدءاً بالعنوان وفي البيت 05 والبيت 32 إذ يقول:

05 هُو عِيد بين العِيدِينْ عَاشَا وَاثبَت "المغرَبْ"[1]

32 فَى النِّظَام وَالتَّتْقِينْ لِجَرِيدَةِ "المغرِبْ"

ويمكن اعتبار هذه القصيدة ومثيلاتها في الشعر الملحون الذي كان رائجاً في الجزائر آنئذٍ من عيون القصائد التي مدحت نشاطات المصلحين في الجزائر وآزرتها في جهادها الطويل من أجل النهوض بالجزائر من كبوتها وهي تحيي ذكرى استعمارها المئوي تحت نير أعتا قوة استعمارية آنئذٍ، ومن الأقطاب الذي وقفوا حجر عثرة أمام الأطماع الاستعمارية في الجزائر وحتى في غيرها من المستعمرات؛ نجد الشيخ إبراهيم أبي اليقظان صاحب المطبعة العربية والجرائد الثماني الإصلاحية؛ فقد أبلى بلاءً حسناً في هذا المضمار حتى حاز فيه السبق، ولعل قراءة متأنية لكتاب "أبي اليقظان وجهاد الكلمة"[2] يشفي الغليل في هذا الموضوع.

كما يمكن اعتبار هذه القصيدة نوعاً من الدعاية التي احتاج إليها الشيخ أبي اليقظان في الترويج لمطبعته وصحافته، فقد لاقى في سبيل سيرهما عنتاً ومُعاناة لا يعلم شدتها وضيقها إلاّ الله سبحانه وتعالى، فتأتي هذه القصيدة وغيرها من أشعار عمر بلعيد البريّاني لتُخفف عنه بعض ما يُلاقيه الشيخ في يومياته مع الإدارة الاستعمارية الفرنسية وأذنابها من الجامدين والمعارضين للفكر الإصلاحي بصفة عامة.

- "قصة تاريخية في خواطر جريدة وادي ميزاب"

تعد جريدة "وادي ميزاب" باكورة جرائد الشيخ أبي اليقظان الثمانية؛ فهي أول جرائده صدوراً، وعنها يقول أستاذنا الجليل الدكتور محمد صالح ناصر: "...فعلى الرغم من إمكانية اعتبارها امتداداً للصحافة الإصلاحية، لأنها شبيهة بجرائدها اتجاهاً، فإنَّ الذي يُفردها ويُميّزها عن باقي الصحف العربية الأخرى هو ما تنفرد به من حرارة لهجة في مخاطبة السلطة الاستعمارية الحاكمة وصراحةٍ مباشرة في معالجة الأمور، ومواقف ثابتة في مواقف الظلم والاضطهاد، وتعقّبٍ علنيٍّ لكلِّ مظاهر الانحراف، مما جعلها تفتح عدة جبهات في وقتٍ واحدٍ..."[3].

لقد عُرف الشيخ أبو اليقظان مجاهداً كبيراً بقلمه في سبيل القضايا العادلة، ففي أكتوبر من سنة 1926 بادر إلى إنشاء أول جريدة عربية باسمه تحت عنوان (وادي ميزاب) أرادها لتكون لسان حال الفكر الإسلامي عموماً والجزائري خصوصاً، ولأنَّ قلمه لا يُهادن ولا يُنافق، فإنه تجرع في سبيل سير صحافته

---

1 – جريدة "المغرب" للشيخ أبي اليقظان؛ وقد صدر منها 38 عدداً، انطلقت يوم 1930/05/29 وصادرتها الإدارة الاستعمارية يوم 1931/03/09.

2 – ينظر: محمد ناصر، أبي اليقظان وجهاد الكلمة، نشر ألفا ديزاين – الجزائر، ط3، 2006، كله.

3 – يُنظر: محمد صالح ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، دار ألفا الجزائر، ط3، 2006، ص152.

الغُصص، وتحمل المشاق المادية المرهقة؛ ويكفي أن نعرف أن جريدته هذه كانت تُحرر بالجزائر وتطبع بتونس، ثم تعود بالقطار لتوزع في الجزائر هكذا كل أسبوع طيلة عامين ونصف لم تتخلف فيها عن الظهور قطُّ، وكان يعاونه في طبعها زميلاه الشيخ محمد الثميني، والشيخ قاسم بن عيسى تعموت، وليس من السهل أن يتحمل فردٌ مسؤولية جريدةٍ تُطبعُ بتونس وجمهورها ومحرروها بالجزائر، على أن تصدر في موعدها المحدد لها من كلِّ أسبوعٍ بدون تخلفٍ مدة ستة وعشرين (26) شهراً، أصدرت خلالها 119 عدداً[1].

تعطيل الجريدة:

نظراً لجرأة جريدة "وادي ميزاب" وصاحبها فقد كثر عليها أعداؤها ومناوءُوها وكانوا في بداية الأمر من المتعصبين، أعداء الحركة الإصلاحية وبعض الأنانيين من الأغنياء الذين لا يحبون الخير والنفع إلاَّ لأنفسهم ولو على حساب أمَّتهم؛ إذ كبُر عليهم أن تفضح الجريدة سرائرهم للناس، فصاروا يُخططون ويدبرون لإسكات صوت الجريدة الصارخ فكتبوا العرائض العديدة وذيلوها بالإمضاءات، وسارعوا بها إلى الهيئات الفرنسية العليا متحججين فيها بكل دنيئة ومنقصة، حتى سقط في أيديهم وعرفوا عدم جدوى ذلك كلهن فغيروا الاتجاه عوض المعارضة المباشرة عمدوا على تأليب حفائظ المبشرين والمترجمين، مستثمرين ضغائنهم وأحقادهم ضد الجريدة والإسلام، مؤججين فيهم حمية المسيحية ونعرة العسكر، حتى كان نتيجة ذلك صدور قرار من الوزارة الداخلية مؤرخ في 18 جانفي 1929 يأمر بتعطيل "وادي ميزاب" وتحجير بيعها وطبعها وتوزيعها، وذلك لشدة لهجتها، كما أمر بتعطيل كل ما سيصدر مما يشابهها في شدة اللهجة سواء باسم أبي اليقظان أو غيره، سواء أطبع في تونس أو غيرها"[2]...

صدى تعطيل الجريدة:

لقد كان لتعطيل جريدة "وادي ميزاب" صدى واسع في الجزائر، وأقطار شمال إفريقيا كلها، وكذا المشرق العربي، وحتى أوربا، فقد تهاطل سيل من برقيات الاحتجاج على وزارة الداخلية الفرنسية، مما اضطر معه الوالي العام (بورد) ليسافر إلى غرداية لتهدئة الخواطر الشعبية المهتاجة.

ومن مقال طويل نشرته جريدة "الصحافة الحرة" (La presse Libre) ورد ما يأتي: "...إنَّ الإجراء الذي اتخذه السيد (بورد) ضد جريدة "وادي ميزاب" هو حقاً ضربةٌ عنيفة، وإنَّ الظروف المحيطة بهذا التعطيل تسمح لنا بأن نُسيء الظنون بنوايا الموظفين...؛ يقول الموظفون الذين تُقلِقُهم جريدة "وادي ميزاب" إنها جريدة قُطَّاع طُرق، أعداء فرنسا، إنها جريدة تعارض سيطرتنا...".

وتلقى المشرق العربي الخبر بزفرة أسفٍ ولاسيما من المفكرين ورجال الإصلاح الذين كانوا يعرفون مكانة أبي اليقظان وجريدته، ومن هؤلاء: محب الدين الخطيب صاحب (الفتح)، ومحمد علي الطاهر صاحب (الشورى)، ورشيد رضا صاحب (المنار)، وآخرين كثيرين كأحمد زكي باشا الشهير بشيخ العروبة...؛ وفي الجزائر الشيخ ابن باديس _رحمه الله_، أسف كثيراً لفقدها وذكر ذلك بنبرة حزينة في جريدته الشهاب[3].

خواطر الشاعر عمر بلعيد عن جريدة "وادي ميزاب".

---

1 - ينظر: نفسه، ص151 وما بعدها.

2 – يُنظر: محمد صالح ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، صفحات: 160 – 172.

3 – يُنظر: نفسه، ص172 – 173.

في ليلة الخامس عشر من شهر الله المعظم رمضان المبارك 1348هـ الموافق لـ: 12 من فبراير 1929؛ عقد الشاعر عمر بن عيسى بلعيد وبعض رفاقه زيارة إلى الشيخ أبي اليقظان في منزله بالعاصمة الجزائر، لقضاء بعض الأوقات الهنيئة رفقته، والمسامرة في بعض المواضيع الأدبية والتاريخية وقضايا الساعة...؛ وقد خلَّد الشاعر تلك الزيارة التاريخية بقصيدة من نوع الملحون الذي اشتهر به، وتقع القصيدة في 95 بيتاً، وهي بعنوان: "قصة تاريخية في خواطر جريدة وادي ميزاب؛ للناشئ الغريب الجزائري" (نشيد الملحون)؛ ثم طرز القصيدة في أعلاها بعبارة نصُّها: "فيا أسفاً على أمةٍ قطعت لسانها بأيديها ودمَّرت رجالها".

ونظراً لطول القصيدة فقد اخترت منها بعض المقاطع المناسبة _رغم أهمية النص بأكمله_ رجاء أن يتحقق النفع والإفادة منها، على أمل نشر القصيدة بأكملها محققةً في الجزء الثاني من "ديوان الغريب" إن يسَّر الله ذلك قريباً إن شاء الله؛ وإني أسأله العون والتوفيق والسداد.

مطلع القصيدة: وفيه يصف الشاعر جو أمسية رمضانية، ويبدو من خلال القصيدة بأنه هو من مبادر في الطلب من بعض أصدقائه مرافقته لزيارة الشيخ أبي اليقظان في بيته بالعاصمة، وفي ذلك يقول:

01 صَلُّوا اعْلَى صَاحَب الْجَهرَة — مَا اعْلِيه النَّـاسْ صَلَّـتْ[1]
02 مَـا اَحْـلاَ الـبَـارَحْ اَبْسَهْرَة — لِيَلَـةَ مَـن اللَّـيَـالِي طَلَّـتْ
03 تَـحْـلاَ مَنْ عْـسَـلْ اَلْحُـرَّة — فِي بِيتْ اَشْبَاحْهَا[2] نَسْجَتْ
04 اَطْلَـبْـت اَقْـرَانِـي زُورَة[3] — لَلشِّيـخ فِي مَحْـلُ بَـايَتْ
05 اَطلَعْـتْ اَلـدرُوج اَبْكَثْرَة — دَقـدَقـتْ اَلـبَـاب وُ رَنَّـتْ
06 قَـامْ اَلـسَّـيِّـد الكُـبْـرَى — اَفـتَـحْ اَلـبَـابْ وَاتْـحَلَّتْ
07 اَدخَـلْـنَـا اَبْحُـسـن النَّـظْـرَة — لَـنْـوَارْ فَى البِيت اَقْـتَـبْسَتْ
08 بَـاقْـرَانِي اَعمَلْتْ اَلصَّـدرَة — فَـالْحِينْ اَشْـبَـالُ حَـضْرَتْ
09 وُ جَلْسُـوا اَمْعَـانَـا دُورَة[4] — وَالشِّيـخْ لَلسُّـؤَالْ اِيـثـبَّـتْ
10 خَـمَّـمْـنَـا أيُّ فَـكْـرَة — لَلأُمَّـة مَـهْـمَـا حَـارَتْ...

في استنكار توقيف الجريدة:

14 فَـا الجَـارِيـدة الْمَشْـهُـورَة — ءَاشْ[5] مَنْ اَسْبَـايَـبْ

[1] – مطالع المديح النبوي من السمات الأسلوبية التي تتميَّز بها قصائد الشعر الملحون.

[2] – الأشباح هنا بمعنى الصور والتُّحف.

[3] – الدليل بأنَّ الشاعر هو صاحب المبادرة في طلب زيارة شيخهم أبي اليقظان، وربما كان ذلك من عادته.

[4] – أي: مُحلِّقين كالدائرة.

[5] – ءاشْ؛ بمعنى: لماذا؛ باللسان الدَّراج في العاصمة الجزائر.

15 بَعْدْ أنْ سَرْحُوا الأَمِيرَة   طَلْعَتْ لَلسْمَاء وَانْتَشْرَتْ

16 صَبَّتْ بَارْشَاش الْمَطْرَة   فِي أَرضْ الطِّيبَة نَبْتَتْ

17 وُ شَعْشَعْ نُور القَمْرَة   مَن بَعْد اَغْيَامْهَا فَتْرَتْ

18 بَعْدْ أنْ مَاتَتْ مَقْبُورَة   بَلْ هِيَّ سِوَى نَامَتْ

ثم ذكر جملةً يعتقد أنها من أسباب توقيفها؛ وهو ما أشار إليه الدكتور محمد ناصر بتفصيل في دراسته لمجموع جرائد الشيخ أبي اليقظان، وذلك في كتابه القيّم "أبو اليقظان وجهاد الكلمة"، وفي هذه الأبيات بعض تلك الأسباب؛ وفيها يقول الشاعر:

24 لاَقَتْهَا عَيْن الْحَمْرَة[1]   مَهْمَى رَعْدَتْ وُ بَرْقَتْ

25 ضَرْبَتْ الضَّدْ بَالْجَدْرَة   وَاجْمِيعْ اَعْظَامُوا دَقَّتْ

26 وُ جَاتْ فِي قَلْبُ عَثْرَة   كِي شَافُ عُلْوَانْها[2] رَسْخَتْ

27 سَخْرُوا عَشْرَا اِمْيَائَة لِيرَة   اَشْرَاوْ تَعْطِيلْهَا حَدَّتْ[3]

28 بِهُم أَوَّل اَلْمَــرَّة   هُمْ اَسْبَايَبْهَا بَرْدَتْ

29 غَاضَتْهُم خَسْرُوا صُرَّة   فَكَيفَ مَنْهَا عَادَتْ

30 صَفْعَتْ اَخْدُودْهُم مَرَّة   قَطْعُوا اَلسَانْهُم لَيَسكُتْ

إلى أن يقول:

36 مُحَالْ مَا مَسَّتْ مَرَّة   أربَابْ اَلدَّولَة اَحتَرْمَتْ

37 ءَاشْ مَنْ قَانُون مْضَرَّة   إِلَى "الْجِنْسِيَّة" جَرَّتْ؟!

38 هَذَا مَا عَندُ عُذْرَة   فِي دَا النَّازِلَة[4] غَطَّتْ

39 لاَ خُوف وَلاَ مَغْفِرَة   وَالْحَاسَدْ لاَ بَا يَلْبَتْ[1]

[1] – عين الحمراء: كناية عن عيون الحاسدين والحاقدين، ممن احمرّت عيونهم بنار الغيظ والحسد.

[2] – أي: العنوان؛ والمقصود لما رأى الحاقدون عنوانها في الأكشاك لا يتخلّف عن الصدور، وقد صدر منها 119 عدداً متوالياً بين 1926 و1929.

[3] – كان المعارضون للفكر الإصلاحي مستاءين من مقالات أبي اليقظان النارية وهي تدكّ حصونهم وقلاعهم وتفضح تجاوزاتهم وألاعيبهم، لذلك استعانوا بأنصارهم من الأثرياء ليشتروا صوت الإدارة الاستعمارية بأي ثمن لتغلق صوت جريدة وادي ميزاب، ولم يهنأ لها بال حتى أغلقت آخر جرائده وأهمها وهي الأمة سنة 1938...؛ أنظر: محمد ناصر، المطبعة العربية، ص19 – 20.

[4] – أي: في هذه الواقعة أو البليّة التي حلّت.

40 وُ فِي اعْوَايَدْهُم حُقْرَة خَدمَاتْ الصَّالَح خَسْرَتْ[2]..

السؤال: لِم حُجِبت جريدة "وادي ميزاب" ومُنِعت عن الصدور؟!

الجواب: لا لشيء؛ إلاَّ لأنَّها تصدَحُ بالحقّ.

61 فَكُلْ صَفْحَة مَنْشُورَة مَقْبُول مَنْهَا مَا قَالَتْ !

62 إلاَّ "مِيزَابْ" مَحْدُورَة لَبْلاَ اعْلِيهَا مْصَلَّتْ ![3]

63 مُدِيرْهَا صَاحَبْ اَلفَكْرَة وَالقُولْ: اَقلاَمْ جَفَّتْ

64 جَرِيدَتْنَا مَذْكُورة لْبَعْضْ اَرذَالْنَا[4] طَاغَتْ

65 مَنْ قُومْنَا مَنْكُورَة فِي شَانْهَا النَّاس افْتَرْقَتْ

صبراً شيخنا أبا اليقظان:

70 لاَزَم يَا شِيخِي صَبْراً وُرَبِّ اَلنعَايَمْ بَاصَتْ[5]

71 عَسَى وَرَبِّ اَلقُدْرَة تُصْبِحْ الأُمُور اَنْقَلْبَتْ

72 الدُّنْيَا مَثْلْ الكُورة وُ الأرذال بِهَا لَعْبَتْ

73 مَرَّاتْ اَلطِّيحْ[6] فِي حُفْرَة مَرَّاتْ بَالضَّربْ اَنْفَتْقَتْ

74 نَفْسْ اَلفَاهَم مَحْصُورَة سَاعَة سَاعة يَتْنَهَّتْ

75 هَذا الزْمَانْ عَنْدِي عَرَّة وُ كَثْرَةْ نَاسُوا هَمْجَتْ

76 شُوفَاتْ اَلبَاطَل شَجْرَة وُ عَينْ اَلْحَقْ ذَلَّتْ

77 مُولْ المالْ[7] عَنْدو شَخْرة[8] بَالْمَالْ الاَقفَال اتْحلَّتْ !..

خاتمة

[1] – أي: لا شكَّ سوف يخسر.

[2] – إشارة إلى تعسُّف الإدارة الاستعمارية وتمييزها بين اَلطبقات الشعب الجزائري...

[3] – أي: مُسلَّط.

[4] – أي: الأراذل؛ من الذين طغوا بأموالهم الكثيرة أو علاقاتهم الغادرة مع الإدارة الاستعمارية.

[5] – أي: باسطٌ.

[6] – أي: تسقط.

[7] – أي: صاحب المال.

[8] – أي: صرخة.

91	نَخْـتَـمْ قَـصْتِي وُ نَـقْـرَا	وُ هِـي بَالـوَاقَـعْ قَــرَّتْ
92	لِيلَـةْ خَمْسَ وَالـعَشْـرَة	رَبْـعِينْ وَالثْمَانْـيَـة حَـرَّتْ
93	أَلـفْ وَالـثَّـلْـثَـمَائَـة هِجرَة	لْـهَذِي الـقَـصَّـة صَـارَتْ
94	فَى الـتَّــارِيـخْ الْمَذْكُـورَة	فِي شَـهر الأُمَّـة صَامَتْ[1]
95	وُ كَلْمَتْ "عُمَر"[2] حُـرَّة	فَى الْمَعْنَى سِوى اَنْتَبْهَتْ

تمت قصة الغريب 1348هـ (1929م)

لو ذهبنا نستقصي مآثر الشاعر عمر بلعيد ونصرته للقضايا الوطنية العادلة، لوجدناه خلف كل مقالٍ للشيخ أبي اليقظان تقريباً؛ وكأنه يقرأ أفكار الشيخ أو يصدر عنها؛ ولا نستغرب ذلك طالما أنهما يستنيران من مشكاةٍ واحدةٍ ويعملان لمبادئ واحدة قوامها الإخلاص لله والوطن، لذلك تجده ثائراً على المضايقات التي تعرَّض لها الشيخ أبي اليقظان في جهاده الصحفي، وتجده يكتب عن نقابة التجار المسلمين الجزائريين ضد تعسُّف اليهود بالعاصمة، وتجده يكتب عن جهاد سليمان باشا الباروني ضد الاستعمار الإيطالي في ليبيا... إلى غير ذلك كثير؛ وهذا الحسّ الوطني المتنامي عند الشاعر عمر بلعيد قد كان ينقله إلى الجماهير العريضة في بريّان في كلّ مناسبة عامة إلاّ وألقى فيها أروع قصائده يلهب بها شعور الحاضرين ووجدانهم، يطلع الشباب والكهول على الشأن الوطني فيتحمسون لكل عملٍ نضاليٍ يكون إضافة نوعية في رصيد الأمة ودحراً للمستعمر الغاشم المستبد.

- الخلاصة.

متى وقفنا أمام النماذج التي تعرضنا إليها في شعر عمر بن عيسى بلعيد البريّاني؛ فإننا نقف على شعر شعبيٍّ ملحون ذي مسحةٍ وطنيةٍ صارخة، لم ينشئه صاحبه للتسلية أو التلهّي ولا للتكسّب أو التزلف...؛ لقد كان الشاعر عمر بلعيد وطنياً صميماً لا يتزحزح عن مبادئه العليا في الحياة ومنها الإخلاص لله وللوطن.

كما نقف أيضاً من خلال هذه الأشعار على جزءٍ هامٍ من ذاكرة الجزائر الثائرة بنهضتها الإصلاحية وجهاد أبنائها الطويل ضد الاستعمار الفرنسي؛ ومن خلاله تنعكس لنا جوانب مضيئة من هوية وشخصية سكان المنطقة في مواجهة الأزمات ومقارعة المُلمَّات، فإصلاح التعليم وتحديثه وإنشاء المعاهد العلمية العصرية وإقامة داخليات لإيواء تلاميذ وطلبة "البعثات العلمية" الذين التحقوا بمعهد الحياة في القرارة ثم نظمت لهم "بعثات علمية إلى الخضراء"(تونس) بعد ذلك...، وجهاد أبي اليقظان الصحفي جزء من ذاكرة الأمة المزابيَّة خصوصاً والجزائرية عموماً، فلولا تلك الجهود التي آزرت وناصرت الشيخ في سير جرائده بداية من سنة 1926م، وسير المطبعة العربية بداية من سنة 1931م، لما استطاع لوحده أن يُجابه خصومه الكثيرين، ومنهم "رأس البغل"[3] وهو "رأس الشهر" كما يحلو للشيخ أن يسمّيه، فهو موعد متجدد مع

---

[1] – أي: 14 رمضان المعظم 1348هـ.

[2] – هو: الشاعر عمر بن عيسى بلعيد ناظم القصيدة.

[3] – ينظر: محمد ناصر، المطبعة العربية، ص28 – 36.

المقترضين ومع رواتب العمال ومصاريف الورق... إلخ، ينوء بحمله ثلّة من الأثرياء مجتمعين، فكيف برجل محدود الدخل مثله؛ فبفضل الله ثم فضل الرجال المصلحين المخلصين من حوله استطاع أن يثبت في جهاده إلى آخر يوم من حياته.

ومن الرجال الذين ناصروا الشيخ أبي اليقظان في كفاحه الطويل ضد الجمود والجهل والتخلف والاستعمار المقيت...؛ نجد الشاعر عمر بن عيسى بلعيد بقصائده الغنائية الطويلة، فقد كانت قصائده الوطنية وسيلة دعاية شعبية لنصرة الشيخ في جهاده الإصلاحي، إذ كان يقرأ تلك القصائد الجميلة بأسلوبه الجذّاب وصوته الرنَّان في أعراس بلدته بريّان، فيطرب لها الجميع، ويعرف المستمعون من خلالها قيمة وتضحيات وقدر الشيخ أبي اليقظان وعظيم ما يُلاقيه، فيشحذوا عزائمهم لنصرته ومساندته مادياً ومعنوياً.

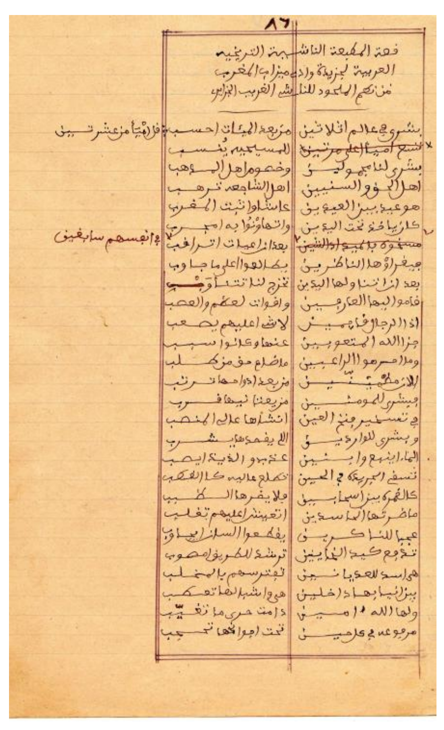
أخيراً لو ذهبنا نستقصي ونستعرض تراثنا المخطوط هنا وهناك في الجزائر وفي أقطار المغرب الكبير لأحصينا من ذلك الدواوين العديدة والتأليف الوفيرة...، وما بين أيدينا هو غيض من فيض؛ وهو يدعونا وبإلحاح شديد إلى إعادة قراءة هذا النص الشعبي الجزائري وغيره، وكذا قراءة ودراسة مختلف النصوص التراثية المغاربية التي تنحوا هذا النَّحو؛ سعياً منا لتأسيس منظومة أدبية شعبية مغاربية تتكامل بتنوّع المناهج ووفرة الدراسات المتخصصة؛ أمَّا ما حاولت التعرّض إليه في هذه الورقة فهو التعريف بجزء من ذاكرتنا الوطنية من خلال شاعرٍ جزائري مغمور، والنَّصين الشعريين حول جهاد أبي اليقظان الصحفي يُعرضان لأولّ مرة في هذا البحث، وهما بعدُ بحاجة إلى تحقيق ودراسة، وإلى المزيد من الترشيح قصد كشف ثراء نصوصه الشعرية، والتي صار بعضها جماهرياً على غرار قصيدته الغنائية عن فيضان "وادي بَاللُّوح 1901م" وقد أقمت ندوة في بريان صيف 2010م في "حَجبَة العُرس الجماعي" الذي ضمَّ يومها 58 عريساً، تحدّثتُ فيها عن هذا الشاعر وعن تراثه الأدبي، واستمعتُ والحاضرين إلى إنشادٍ جماعيّ لِمقطعٍ من قصيدته "باللُّوح" من أداء قُدماء المجموعة الصوتية لبريَّان فكان أداءً رائعاً ومميزاً؛ فجال بِخيالي أداء فرقة عمر بلعيد لقصائده وأشعاره أيام حياته، وعن حجم النصوص والألحان التي ضاعت واندثرت مع مرور الزمان؟!

ومن هنا فإنَّ صيانة وحفظ تراثنا الجزائري خصوصاً والمغاربي عموماً الشفوي والمخطوط منه مَهمَّة الجميع، وإخراجه بالتحقيق والنشر والدراسة أيضاً مَهمَّة الباحثين والمتخصصين حتى نحمي ذاكرتنا الجماعية من الاندثار والذوبان في فلك العولمة العالمية التي لا تُبقي على الخصوصية شيئاً.

الملاحق:



صورة الورقة الأولى التي تحوي مطلع قصيدة عمر بلعيد حول تعطيل "جريدة ميزاب".



صورة الورقة الأولى التي تحوي مطلع قصيدة عمر بلعيد حول نشأة "المطبعة العربية".

المصادر والمراجع:

1- عمر بن عيسى بلعيد، ديوان الغريب، تح: يحيى بن بهون حاج امحمد، العالمية للخدمات الطباعية، الجزائر، ط1، 2010.

2- عمر بن عيسى بلعيد، ديوان الغريب، الجزء الثاني (مخطوط)، نسخة مصورة بحوزة الباحث.
3- إبراهيم أبو اليقظان، ملحق السير، (مخطوط)، نسخة مصورة بمكتبة دار إروان – العطف، غرداية.
4- محمد صالح ناصر، المطبعة العربية معلم وطني مجهول (1931- 1962)، مكبة الريام – الجزائر، ط1، 2008.
5- محمد صالح ناصر، الصحف العربية الجزائرية (1847 – 1954)، نشر ألفا ديزاين - الجزائر؛ ط2، 2006.
6- محمد صالح ناصر، أبي اليقظان وجهاد الكلمة، نشر ألفا ديزاين – الجزائر، ط3، 2006.
7- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المطبعة العربية، الجزائر، ط1، 1971.
8- الشيخ القرادي، رسالة في بعض أعراف وعادات وادي مزاب، تح: يحي بن بهون، نشر جمعية النهضة، ط1، 2009.
9- الشيخ القرادي، الآثار الفكرية، تح: يحي بن بهون، نشر جمعية النهضة، ط1، 2009.
10- معجم أعلام الإباضية، مجموعة من الباحثين، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية غرداية - الجزائر، ط1، 1999.

قراءة في الإسهامات اللسانية الحاسوبية العربية

-آفاق ورهانات-

أ.سعيد فاهم
جامعة مولود معمري
مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية

الملخص:

لعبت الفروع المختلفة للسانيات النظرية منها والتطبيقية، دورا أساسيا في فهم اللغات وتطويرها لأهداف مختلفة. ولعل فرع اللسانيات الحاسوبية أحدث فروع اللسانيات؛ ذلك أن اللغة تقع في قمة الموضوعات التي تهتم بها العلوم الإنسانية، والحاسوب هو ذروة التقنيات الحديثة، أتى ليلعب دورا هاما في عصر أصبحت فيه التكنولوجيا السمة الأبرز في حياتنا الاتصالية والمعرفية. لذا كان من الضروري أن تلتقي اللغة بالحاسوب. كما تحاول هذه الدراسة أن تسلط الضوء على نشأة الاتجاه اللساني الحاسوبي والملابسات التي ساهمت في تكوينه، وكذا مقاربة هذا العلم من ناحية المحتوى والماهية والأهداف. إلى جانب عقد قراءة في المصطلح - اللسانيات الحاسوبية- وترجماته، ونختم الدراسة برصد أهم الجهود العربية في مجال اللسانيات الحاسوبية.

Abstract:

I played various branches of linguistics theoretical and applied, a key role in understanding the languages and developed for different purposes. Perhaps Computational Linguistics branch newest branch of linguistics; The language is at the top of the topics you're interested in the humanities, The computer is the pinnacle of modern technologies, he came to play an important role in an age when technology has become the most prominent feature in our lives communicative knowledge. It was therefore necessary to meet the language computer. The study also tries to shed light on the genesis of the lingual direction computer And circumstances that have contributed to its composition, as well as the approach of this science and the essence of the content and objectives hand. Besides reading the contract term - Computational Linguistics - and his translations and conclude the study to monitor the most important Arab efforts in the field of Computational Linguistics.

مقدمة:

تعد دراسة اللغة العربية باستعمال اللسانيات الحاسوبية من أحدث الاتجاهات اللغوية في اللسانيات العربية المعاصرة. وهذا البحث يضطلع برصد جهود الباحثين المعاصرين العرب في تطويع تقنيات الحاسوب لخدمة الدرس اللساني العربي. لكن قبل الولوج في صلب موضوعنا يجدر بنا أن نسلط الضوء على

نشأة الاتجاه الحاسوبي في دراسة علوم اللغة العربية، والملابسات التي أسهمت في تكوينه سواءً أكانت جهودًا فردية أم جهودًا مؤسساتية علمية رسمية.

1- اللسانيات الحاسوبية النشأة والتطور:

لقد تم اختراع جهاز الحاسوب – حسب ما تذكره المصادر- في أواخر النصف الأول من القرن المنصرم، وتحديدا عام 1948م. ومنذ ذلك التاريخ أصبح الحاسوب متاحًا للإفادة منه في جميع مجالات الحياة ومختلف العلوم، والمعارف الإنسانية. أمّا بداية توظيف الحاسوب في دراسة اللغة على الصعيد العالمي، فمن الصعب التأريخ له؛ لأنه لم يحدث دفعة واحدة؛ بل تم وفق مجهودات أغلبها فردية وعبر مراحل مختلفة وكذا في دول متعددة.[1] إلا أن البحث اللساني الحاسوبي اتخذ شكله الرسمي الأكاديمي في عام 1954م في جامعة جورج تاون، وقد اتخذ العمل في بداياته طابع الترجمة الآلية من اللغات الأخرى إلى اللغة الإنكليزية، ثم أخذت معالم هذا العلم تتبلور وتتشكل، ودعائمه ترسخ بعقد الملتقيات والندوات وإصدار المجلات.[2]

وهذا يعني أن بداية الخمسينات من القرن المنصرم شهدت ولادة المعالجة الآلية للغات البشرية، وهذا طبعًا عند الغربيين. أمّا بالنسبة للعلوم النظرية عند العرب في العصر الحاضر، فقد كانت العلوم الشرعية من أسبق العلوم الإنسانية استخدامًا لتقنية الحاسبات الإلكترونية، ونظم المعلومات؛ حيث شرع العمل بها والإفادة منها في السبعينات من القرن الماضي، وظلت علوم اللغة العربية في منأى عن الانتفاع بها ردحًا من الزمن، حتى قيّض الله لها من عمّم فائدة استخدام الحاسوب على العلوم العربية. وتبدأ قصة الاتصال العلمي بين الحاسوب والبحث اللغوي العربي عند لقاء الطبيب محمد كامل حسين مع الدكتور إبراهيم أنيس؛ حيث اقترح عليه إمكانية الاستفادة من الحاسوب في البحوث اللغوية، فلقيت هذه الفكرة قبولاً واستحسانا؛ لأنها كانت تداعب خاطره منذ أن سمع بإنجازات الحاسوب في شتى العلوم. ومن ثم انتهز فرصة زيارته لجامعة الكويت سنة 1971م للعمل بها أستاذًا زائرًا وهناك التقى بالدكتور علي حلمي موسى، أستاذ الفيزياء النظرية في جامعة الكويت، وطرح عليه فكرة الاستعانة بالحاسوب في إحصاءات الحروف الأصلية لمواد اللغة العربية ابتغاء الوقوف على نسج الكلمة العربية. وقد رحّب بهذه الفكرة واستحسنها، وبدأ بالتخطيط لها وتنفيذها في النصف الأول من عام 1971م، وكان من ثمرة ذلك صدور الدراسة الإحصائية للجذور الثلاثية وغير الثلاثية لمعجم الصحاح للجوهري.

أمّا خطوات العمل في هذا الإحصاء، فتوزعت على ثلاث مراحل الأولى: إدخال المواد اللغوية في ذاكرة الكمبيوتر، والثانية: وضع برامج له بإحدى لغات الكمبيوتر والثالثة: التنفيذ الفعلي لهذا البرنامج. وجاءت نتائج هذه الدراسة في صورة جداول إحصائية لجذور اللغة وحروفها، وتتابع أصواتها وخصائص حروفها، مقرونة بدراسة تحليلية موجزة عن التفسير اللغوي لما ورد في تلك الجداول، وتلقى الباحثون هذا العمل العلمي بقبول حسن ولأوّل مرّة تمّ تعاون الفيزيائيين واللغويين حول إحصاء كلمات اللغة العربية.[3] وليس من باب المبالغة في شيء أن نقول إن هذا التوجّه في الفكر العربي المعاصر قد فتح باباً واسعاً للباحثين في الدراسات اللغوية للولوج من خلاله إلى عالم الحاسوب، وتسخيره لخدمة الدرس اللغوي. وهكذا كان حقل الإحصاء اللغوي هو الميدان الأول لتطبيق اللسانيات الحاسوبية على اللغة العربية، وهذه هي الإرهاصات

الأولى لظهور فرع جديد من فروع علم اللغة، يطلق عليه أغلب الباحثين اللسانيات الحاسوبية. تلك لمحة مقتضبة عن نشأة اللسانيات الحاسوبية عند الغربيين، وكذا العرب، لكن السؤال المطروح: ما هي مكوناتها وأهدافها؟ ولكي نجيب عن هذا التساؤل كان لزاماً علينا أن نحدد ما يلي:

- استكناه اللسانيات الحاسوبية، من ناحية المحتوى والماهية والأهداف المتوخاة.
- قراءة في المصطلح وترجماته.

2- اللسانيات الحاسوبية الماهية والمحتوى والأهداف:

للسانيات الحاسوبية مكونان متكاملان، لا يستقل أحدهما عن الآخر والمكونان هما:

- المكوّن النظري:

ويُعْنَى ب« قضايا في اللسانيات النظرية، تتناول النظريات الصورية للمعرفة اللغوية التي يحتاج إليها الإنسان لتوليد اللغة وفهمها»[4] كما يُعنى بالبحث عن كيفية عمل الدماغ الإلكتروني لحل المشكلات اللغوية كالترجمة الآلية من لغة إلى لغة أخرى.[5]

- المكون التطبيقي:

ويهتم « بالناتج العملي لنمذجة الاستعمال الإنساني للغة، وهو يهدف إلى إنتاج برامج ذات معرفة باللغة الإنسانية، وهذه البرامج مما تشتد الحاجة إليه لتحسين التفاعل بين الإنسان والآلة؛ إذ إن العقبة الأساسية في طريق هذا التفاعل بين الإنسان والحاسوب إنّما هي عقبة التواصل»[6]

فالمكوّن النظري يختص بمعرفة كيفية عمل الدماغ الإلكتروني. والمكون التطبيقي يختص بتسخير ذلك العقل لحل القضايا والمشكلات اللغوية ممّا يعني ضرورة الالتقاء بين اللغوين والحاسوبيين والتعاون فيما بينهم، للخروج بنتائج تسهم في تذليل العقبات، وحل المشكلات التي تواجه التحليل الحاسوبي للغة الطبيعية، فاللسانيات الحاسوبية بمكونها – النظري والتطبيقي- تقوم على تصوّر نظري يتخيل الحاسوب عقلا بشريا، محاولة استكناه العمليات العقلية التي يقوم بها العقل البشري لإنتاج اللغة وفهمها وإدراكها، إلا أنها تستدرك على الحاسوب أنه جهاز أصم لا يعمل إلا حسب البرنامج الذي صممه له الإنسان لذا ينبغي توصيف المواد اللغوية له توصيفا دقيقا بحيث تستنفذ كافة الإشكالات التي يستطيع الإنسان إدراكها.[7]

إذًا، فالغاية التي ينشدها الحاسوبي من توصيف اللغات الطبيعية للحاسوب الوصول به إلى مرتبة الكفاية اللغوية كالتي يملكها الإنسان حتى يصبح قادراً على فهم اللغة وإنتاجها وتحليلها. ومعالجة اللغة الطبيعية آلياً لا يقتصر على جهود اللسانيين فحسب، وإنما بتضافر جهود علماء البرمجيات، والذكاء الاصطناعي وغيرهم.

إن مصطلح اللسانيات الحاسوبية من التخصصات الحديثة والأجنبية المنشأ. تتعدد المصطلحات الدالة عليها والتي عكف الباحثون على استخدامها سواءً أكان ذلك في المراجع الأجنبية أم العربية، ممّا يسبب مشكلا في توظيف المصطلح وترجمته إلى اللغة العربية.

كما سبق وأن أومأنا إلى أن اللسانيات الحاسوبية تتكون من اللسانيات والعلوم المنطقية الرياضية؛ أي المعالجة الآلية للمعلومة. وعند العرب يحيل هذا المصطلح – اللسانيات الحاسوبية- عادة إلى المجال الذي ترتبط فيه اللسانيات بعلوم الحاسوب، وهذا ما ذهب إليه أحد الباحثين المحدثين قائلا: « يلتقي فيه الجانب

النظري اللساني بكل خلفياته المعرفية والمنهجية، والجانب التقني المعلومياتي بكل تطوراته ليصوغ ما أصطلح عليه بالهندسة اللسانية أو تكنولوجيا اللسان»[8]

ونستشف من هذا القول، إن هناك مصطلحين مرادفين للسانيات الحاسوبية ألا وهما الهندسة اللسانية، وتكنولوجيا اللسان، كما نلحظ أن الباحث قد أعطى للسانيات الحاسوبية طابعًا تقنيًا شديد الارتباط بالآلة. وتؤكد ذلك طريقة صياغة هذا المصطلح – اللسانيات الحاسوبية- فقد « تمّ وصفه ب « الحاسوبية» التي تشير إلى نسبته وتعلقه بالحاسوب وهي الآلة التي تتجلى فيها معالجة المعلومات بطريقة آلية»[9]

وينحو عبد الرحمن الحاج صالح هذا المنحى في دلالة مصطلح اللسانيات الحاسوبية على الحقل الذي تمتزج فيه اللسانيات بالمعلوميات حيث يقول: « إن الدراسات والبحوث العلمية في اللسانيات الرتابية (الحاسوبية) ازدهرت في الوطن العربي في هذه الآونة، وتكاثر إلى حدّ ما الباحثون في هذا الميدان الذي تتلاقى فيه علوم الحاسوب وعلوم اللسان، وهو ميدان علمي وتطبيقي واسع جدًا كما هو معروف؛ إذ يشمل التطبيقات الكثيرة، كالترجمة الآلية، والإصلاح الآلي للأخطاء المطبعية وتعليم اللغات بالحاسوب»[10]

غير أن هذه التطبيقات الحاسوبية الكثيرة التي تعالج اللغة العربية ليس من السهل أن تُلمَ في أصول واحدةٍ، وأسسها الإبستيمولوجية غير واضحة، ومن ثم لم توضع لها المقدمات التعليمية التي تسهّل على القارئ العربي المتعلم أو الباحث أن يستفيد منها. فعلى الرغم من ذلك يفهم مما تقدم أن اللسانيات الحاسوبية هي مجال تتداخل فيه التصورات اللسانية والحاسوبية، وتتلاقح لتشكل نظريات تعمل على معالجة الوقائع اللغوية وفق منهج حاسوبي لتتمخض عن ذلك تطبيقات متعددة تشمل تلك الوقائع اللغوية لكن في إطارها الآلي. ومن ثمّ وإن كانت اللسانيات علمًا متجذرًا في الفكر الإنساني غير أن ارتباطها بالحاسوب هو من اختراع القرن العشرين عصر ثورة المعلومات.

ويرجع السبب في ذلك الارتباط كما يرى سمير شريف إستيتية إلى كون الحواسيب تمثل أوج ما بلغه التقدم التكنولوجي، وأهم ما تحتاج إليه الحياة المعاصرة؛ لأنها تساعد على حل كثير من مشكلاتها المعقدة، ويتم ذلك بالتواصل مع الحواسيب عبر لغة خاصة استفاد الباحثون من دراسة اللغات الإنسانية في تطويرها، واللسانيات الحاسوبية ناشئ من هذا التواصل مع الحواسيب، ويخدم الأهداف المتعلقة به والتي تنحصر في حل المشكلات المعقدة التي تتصل بحوسبة اللغة.[11]

وممّا سبق تجدر الإشارة إلى أن أغلب الباحثين العرب قد ترجموا هذا المصطلح من المصطلح الإنكليزي computational linguistics إلى ذلك المجال الذي يتفرع من اللسانيات وعلوم الحاسوب، وتشتمل التفاعلات بين اللغة الإنسانية والحواسيب، وهو يتضمن تحليل النص المكتوب والخطاب الشفوي، ترجمة نص أو منطوق من لغة لأخرى استعمال اللغات الإنسانية (لا الحاسوبية) للتواصل بين الحواسيب ومستخدميها، كما أنه يتضمن نمذجة* النظريات اللسانية واختبارها.[12]

وقد وظّفهُ بعض الباحثين مرادفًا للمعالجة الآلية للغة الطبيعية؛ إذ إن أَبْرز مهمة للسانيات الحاسوبية هو إنشاء برامج حاسوبية من أجل معالجة الكلمات والنصوص في اللغة الطبيعية، وهذه المهمة تتلاقى مع مهمة مجال المعالجة الآلية للغة الطبيعية، غير أنه لا يخفى بأن عملية إنشاء البرامج الحاسوبية

المعدة لمعالجة الكلمات والنصوص خاصة في الأبحاث الأولى، لم تكن تعتمد في أغلب الأحيان على ما تقدمه اللسانيات من معلومات حول الوقائع اللغوية، « لكن الظاهر أن منحى اللسانيات الحاسوبية هو لساني أكثر منه حاسوبي بمعنى أن الباحثين فيها يهتمون بالوصف الصوري للغة بدلاً من اهتمامهم بالمشاكل الخوارزمية التي يمكن أن تصادف عند القيام بعملية الصورنة»[13]

ومن جهة أخرى، فإن المصطلح الفرنسي المستعمل للدلالة على ذلك المجال الذي تتداخل فيه علوم اللغة وعلوم الحاسوب هو linguistique informatique ويمكن أن نجد له مقابلا في العربية وهو اللسانية المعلومية؛ لأن المصطلح العربي المعلوميات يقابل المصطلح الفرنسي informatique ولا نقول المعلوماتية كما يفضل البعض؛ لأنه خطأ شائع يخالف القياس. لقد بيّن راستيي Rastier « أن الارتباط بين علوم اللغة وعلوم الحاسوب له طرائق ثلاث:

الطريقة الأولى: يكون فيها التحليل اللساني أولوية بالنسبة للمعالجة المعلومية أو الحاسوبية، ويسمح هذا النوع بتحليل أولي للمدونة corpus، وفقًا للمهمة المزمع تحقيقها من الحاسوب.

أمّا الطريقة الثانية: فيوجّه فيها التحليل اللساني التحليل المعلومي في إطار إستراتيجية استعمال البرامج الحاسوبية.

وفي الطريقة الثالثة: تضطلع اللسانيات بتأويل نتائج المعالجة في أفضل الأحوال، تتدخل اللسانيات قبل التشغيل الحاسوبي أو المعلومي وأثناءه وبعده»[14] ونلحظ أن هذا المفهوم المدروس – اللسانيات الحاسوبية- تعددت المصطلحات حوله لكن أغلبها تقارب هذا المصطلح فالاختلاف راجع إلى الترجمة أو في تعريب هذه المصطلحات. وكذا راجع إلى تجاربهم ومشاريعهم العلمية، وإن كان الجميع متفقون على أن هذا العلم يربط الجانب اللساني بالجانب الحاسوبي، ولا مشاحة في الاصطلاح.

3- دوافع تأخر اللسانيات الحاسوبية في الأقطار العربية:

مما لاشك فيه أن اللغة العربية من أكثر اللغات العالمية استجابة للقالب الرياضي سواءً أكان ذلك على المستوى الصوتي أم الصرفي أم التركيبي، فهي بحق لغة جبرية على حدّ قول المتخصصين في اللسانيات الحاسوبية؛ لأنها مطواع مرنة. فعلى الرغم من هذه السمات والخصائص تظل اللسانيات الحاسوبية العربية بعيدة كل البعد عن نظيرتها عند الغربيين الذين قطعوا شوطًا كبيرا في هذا المضمار. مرّد ذلك إلى ما يلي:

أولا: غياب الخبرة اللسانية التي تعتمدها جل التطبيقات الحاسوبية؛ حيث اعتمدت على بعض اللغويين ذوي التكوين التقليدي، إلاّ أن هؤلاء غالبًا ما يكونون غير قادرين على فهم متطلبات الحاسوب، فهم يقدمون معلومات ومعطيات أكاديمية صحيحة إلا أنها غير قادرة على الاستجابة لمتطلبات المبرمجين، ممّا ينعكس سلبًا على تطوير البرنامج الموضوع.[15]

ثانيا: إن اللساني الذي نحتاج إليه في وضع برامج الهندسة اللسانية هو الذي يتمكن ويساير مختلف التطورات النظرية التي تعرفها اللسانيات الصورية اليوم، والقادر على وضع الخوارزميات** اللسانية لمختلف مستويات نظام اللغة العربية، وهذا الصنف من الباحثين هم الذين سيتمكنون من الدفع باللغة العربية إلى مصاف اللغات العالمية في الحوار مع الآلة. ولم يعد العمل في حوسبة اللغة مجرد موضة وترف يمارسهُ بعض الهواة؛ بل هو ذلك الجسر الذي يمكن من خلاله العبور نحو قرننا الحالي الذي نعيش فيه.

4- جهود اللسانيين العرب في مجال اللسانيات الحاسوبية:

لكي لا نغمط حق كل من أسهم في تأسيس هذا الحقل اللساني هناك جهود للغويين العرب نذكر على سبيل المثال لا الحصر: محمّد الحناش (المغرب) أحمد الأخضر غزال (المغرب) مازن الوعر (سوريا) عبد الرحمن الحاج صالح (الجزائر) مراياتي محمد (سوريا) نبيل علي (مصر) نهاد الموسى (فلسطين) وليد العناتي (الأردن) وهناك باحثون كثر لا يسعنا المقام هنا لسرد أسمائهم إلا أننا استأنسنا بالمشهورين والأكثر فاعلية وحضورا في الساحة اللسانية الحاسوبية العربية.

ونستهل حديثنا بالدكتور نبيل علي الذي أصدر كتابا بعنوان " اللغة العربية والحاسوب" في عام 1988م وهو أول كتاب يتناول الهندسة اللسانية العربية بجميع مستوياتها، وقد أولى المستوى الصرفي للغة العربية أهمية خاصة؛ حيث يقول: « إن ميكنة العمليات الصرفية بالنسبة للغة العربية تعدّ مدخلاً أساسيا وقاسمًا مشتركًا لمعظم نظمها الآلية، كما يشير إلى أن مدى نجاحنا في تعريب نظم المعلومات والمعارف يتوقف بالدرجة الأولى على ما نستطيع أن نحققه على جبهة الصرف، أمّا على الصعيد التقني، فتعدّ معالجة الصرف العربي آليًا مطلبًا أساسيًا لميكنة عمليات تحليل النصوص المكتوبة والمنطوقة وفهمها، وتوليدها ذاتيًا علاوة على كونه أساسًا لا غنى عنه لميكنة المعاجم، واسترجاع المعلومات، وتحليل مضمون النصوص»[16]

ويعدّ هذا المصنف القيّم خطوة موفقة، نحو تأسيس لسانيات حاسوبية عربية على أساس نظري وتطبيقي في آنٍ واحدٍ، وهو أول مؤلف يتناول موضوع اللسانيات الحاسوبية مطبقة على أنظمة اللغة العربية، صوتًا وصرفًا، ونحوًا، ومعجمًا، مع المعالجة الآلية لهذه النظم اللغوية جميعها؛ إذ حالفه التوفيق في كثير من القضايا المتصلة بالحاسوب واللغة، وذلك حينما انطلق في عمله هذا من وضع دراسات تقابلية بين العربية والإنكليزية شاملة لكل النظم اللغوية، بالنظر إلى الإنكليزية هي اللغة الأم لتقنيات نظم الحاسوب والمعلومات، وهذا نتج عنه معرفة أوجه الاختلاف والائتلاف بين اللغتين، وكان هذا النهج بمنزلة الأرض الصلبة والقاعدة المتينة التي هيأت للمؤلف منهجية موضوعية، ومكنته من الإسهام الإيجابي في جهود تعريب الحاسوب من جهة، والمعالجة الآلية للغة العربية من جهة أخرى.

إن هذا الكتاب يمثل حجر الأساس في مسيرة الدرس اللساني الحاسوبي؛ بل إنه كما وصفه الدكتور نهاد الموسى – بحق خطوة واسعة واثقة- تنتظم مشروعًا مستوعبًا لتأسيس اللسانيات الحاسوبية في العربية على أساس نظري وتطبيقي في آنٍ واحدٍ، صحيح أنه لم يستوعب جميع قضايا اللغة كونه الأول الذي يشق طريق هذا الفن.[17]

ثم تلا هذا الكتاب إسهامات أخرى في مجال اللسانيات الحاسوبية من بينهم محمد مراياتي (سوريا) الذي قدم دراسة بالتعاون مع زملائه العاملين في مركز الدراسات والبحوث العلمية، وتلك الدراسة تتمحور حول إحصائية الجذور العربية، فقد درس مراياتي الجذور العربية المنتشرة في المعاجم والقواميس العربية القديمة دراسة حديثة معتمدًا بذلك على الحاسبات الإلكترونية التي تساعد كثيرا في ضبط العملية الإحصائية والسرعة العلمية فيها، وهو ما دفع الدكتور مراياتي لكي يحصي النسب المئوية للجذور الثنائية والثلاثية والرباعية والخماسية في اللغة العربية.

وقد دفعه أيضًا لكي يحصي الدرجات المئوية التي يمكن فيها للأصوات العربية أن تندمج مع بعضها بعضًا أو تنفصل عن بعضها بعضًا، ثم القوانين التي تحكم هذا الدمج والانفصال. والواقع أن هذه الدراسات الإحصائية لجذور الكلمات العربية مهمة؛ حيث يمكن استخدام نتائجها في الترجمة الآلية من اللغة العربية إلى اللغة الأجنبية الأخرى أو العكس ولاسيما من حيث مقابلة المركبات الصوتية العربية مع المركبات الصوتية الأجنبية، ومن حيث التحليل والتركيب. وقد دعا الدكتور مراياتي هذا الإجراء تنافر الأصوات العربية وانسجامها وإمكانية اكتشاف مثل هذا التنافر والانسجام مبرمجًا في الحاسبات الإلكترونية.[18]

اعتمادا على ما سبق ذكره أن الدكتور مَراياتي أنجز دراسة إحصائية لدوران الحروف في الجذور العربية وللمعجم العربي، ولدوران الحروف العربية المشكولة ولحروف اللغة العربية، فهذه الدراسة تأتي ضمن توجه المعالجة الآلية للكلام.

وهناك أيضًا باحث جدير بالذكر ألا وهو العالم أحمد غزال مدير معهد الدراسات والأبحاث للتعريب (المغرب) لقد حاول وضع أنموذج لساني عربي يعمل على الحاسبات الإلكترونية ذات النظامين الألف بائي. وقد سمى هذا الأنموذج اللساني الآلي " العربية المعيارية المشكولة" الشفرة العربية (عمم- شع). لقد حاول هذا الباحث شرح مبادئ هذا النظام متطرقًا إلى التطور التاريخي للخط والكتابة العربية وكيفية تطويع الرسم العربي لتكنولوجية الحسابات الإلكترونية المعاصرة، وقد طرح مثالاً على ذلك كلمة (علم)، وحاول أن يضع لها كل الرسوم التي تأتيها من فوقٍ وتحت، ومحاولة إيجاد المقابل الآلي لها في الحسابات الإلكترونية، وتبيّن صعوبة عمل كهذا من خلال هذه الكلمة العربية:[19]



ويأتي محمّد الحناش (المغرب) في صدارة اللغويين العربيين المعاصرين الذين يولون المعجم الحاسوبي عناية خاصة وجهدًا كبيرا وقد تمثل هذا في دراساته المتعددة في بناء المعاجم الآلية في اللغة العربية، والمعجم الإلكتروني، والمعجم التركيبي للغة العربية، وهو صاحب مشروع علمي كبير عمل عليه لسنوات طويلة من البحث اللساني الحاسوبي، توّج بإصداره في كتاب " المعجم التركيبي للغة العربية – مقدمات في المعالجة الحاسوبية للغات الطبيعية-".

كما نجد مازن الوعر من (سوريا) الذي شخص أزمة النحو العربي والذي بدوره قدّم أعمالاً علمية في ميدان المعالجة الآلية للنحو العربي حيث قام ببحث عنوانه " التوليد الصوتي والنحوي والدلالي لصيغ المبني للمجهول في اللغة العربية – معالجة لسانية حاسوبية-"[20]

أمّا وليد العناتي من (الأردن) فقد قام بوضع دليل بيبليوغرافي لها سماه " دليل الباحث إلى اللسانيات الحاسوبية العربية" حاول فيه أن يستقصي جميع ما وقف عليه من أعمال علمية تنتظم في هذا الميدان. وهذا العمل سدّ ثغرة واضحة في مجال اللسانيات الحاسوبية خاصة.[21]

ثم نعرج على العلامة نهاد الموسى (فلسطين) ولاسيما في كتابه الموسوم " العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية" الذي صدر عام 2000م، وهو يعد أول مؤلف في هذا العلم الجديد يصدر عن متخصص في اللغة العربية وعلومها، فهو نقلة نوعية في توظيف اللسانيات الحاسوبية لخدمة اللسانيات العربية، والكتاب هو محاولة في الانتقال من وصف العربية إلى توصيفها، وذلك في ضوء الأطروحة العامة للسانيات الحاسوبية، وتظهر التجربة العملية أن ثمة فارقا كبيرا بين وصف اللغة وتجريد أمثلتها وضبط أحكامها حين يكون هذا الوصف موجها للإنسان، وحين يكون مصمما ليودع في الحاسوب. ولعل هذا ما حمل نهاد الموسى على إقامة الفرق بين هذين العلمين، فقد سمّى ما يعمل للإنسان " الوصف" وما يعمل للحاسوب " التوصيف"، وبيان الفرق بينهما ماثل في أن وصف العربية ما وقع للعلماء العرب من قواعد مستنبطة من الأداء اللغوي الواقعي، وهو مبني في شطر منه على أن المُستقبل يسهم إسهامًا فاعلا في الحدث التواصلي، مضافا إلى ذلك ما يتحصل للإنسان من معرفة بالحدس، والسليقة، والخبرة المعرفية والتثقف، والعرف اللغوي، والمقام. أما التوصيف، فإنه ينتظم الوصف اللغوي المجرد مضافًا إليه العناصر التي يتعرف إليها الإنسان بالحدس والسليقة، والقرائن المتعددة. ولما كان الحاسوب يفتقر إلى هذا العنصر البشري الخالص وجب على الموصّف أن يتدارك هذا النقص ليبلغ بالحاسوب مبلغ المعرفة الإنسانية باللغة.[22]

وقبل أن نختم هذا المبحث الخاص بجهود اللسانيين العرب في مجال اللسانيات الحاسوبية ننتقل إلى العلامة عبد الرحمن الحاج صالح (الجزائر) صاحب مشروع " الذخيرة اللغوية" الذي يوفر للباحثين سرعة المعلومات ووفرة النصوص، وبالإمكان الاستعاضة عن أمات المراجع والمظان القديمة والحديثة، وقد أتى بمباحث جديدة لم يسبق إليها. وهو صاحب بحوث يعالج من خلالها النظرية الخليلية الحديثة وهي النظرية التي يعتمد عليها في أيامنا هذه كثير من الباحثين في بحوثهم في ميدان معيّن كالعلاج الآلي للنصوص العربية على الحاسوب. وهذا يستلزم أن توسّع دائرة البحوث في الحاسوبيات، ويحتاج إلى وضع لغات للبرمجة تتجاوز ما هو موجود، وكذلك هو الأمر بالنسبة إلى تعليم العربية واصطناع الكلام المنطوق الآلي، ومعالجة أمراض الكلام؛ إذ النظرية الخليلية تستجيب لما يتطلبه الحاسوب، وتفرض على كل هذه القطاعات من البحث العلمي تصورًا علميًا أوسع وأكثر استيفاء للظواهر المختلفة.[23] والجدير بالذكر أن العلامة عبد الرحمن الحاج صالح صاحب جائزة فيصل الملك العالمية لسنة 2010م، كما أسس معهد العلوم اللسانية والصوتية، ثم أسس مركز البحوث العلمية والتقنية لتطوير اللغة العربية. ثم عُين رئيسًا للمجمع الجزائري للغة العربية منذ سنة 2000م إلى يومنا هذا.

وهذه هي أهم الجهود المبذولة في خدمة الدرس اللساني الحاسوبي حيث وقفنا عند الرواد والمشاهير مستعيضين عن الباحثين المبتدئين في هذا المجال، وهذا لا يعني أننا قد حصرنا كل من أبدع في هذا الفن؛ لأن المقام هنا لا يتسع لذلك.

خاتمة:

إن ميدان اللسانيات الحاسوبية لا يزال حقلا خصبًا يعوزه العمل الدؤوب الجاد. ونأمل أن نرتقب المزيد من إسهامات اللسانيين والحاسوبيين على السواء، ولا تزال العربية تناشد أبناءها من أجل تمكين الحاسوب واحتوائها، وكذا مواكبتها لمطالب التقنيات الحديثة. ونرى أن ذلك هو الرهان الوحيد لتضمن اللغة العربية مكانتها ضمن مصاف اللغات عامة، وفي ظل العولمة اللغوية خاصة.

الهوامش:

1- ينظر: عبد الرحمن بن حسن، العارف، " **توظيف اللسانيات الحاسوبية في خدمة الدراسات اللغوية العربية جهود ونتائج**"، مجلة مجمع اللغة الأردني، ع73، 2007، ص.48

2- ينظر: مازن، الوعر، **دراسات لسانية تطبيقية**، دمشق: دار طلاس، ط1، 1989، ص.325

3- ينظر: عبد الرحمن بن حسن، العارف،" **توظيف اللسانيات الحاسوبية في خدمة الدراسات اللغوية العربية جهود ونتائج**"، ص48-.50

4- نهاد، الموسى، **العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية**، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2000، ص54.

5- مازن، الوعر، **دراسات لسانية تطبيقية**، ص.317

6- نهاد، الموسى، **العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية**، ص.13

7- ينظر: وليد، العناتي، **اللسانيات التطبيقية وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها**، عمان: دار الجوهرة للنشر، ط2، 2003، ص54-.55

8- عز الدين، غازي، " **اللسانيات الحاسوبية واللغة العربية**"، الحوار المتمدن، ع1639، 2006، مجلة إلكترونية على الرابط www.alhewar.org

9- رضا، بابا أحمد، " **اللسانيات الحاسوبية مشكل المصطلح والترجمة**"، جامعة تلمسان: مخبر المعالجة الآلية للغة العربية، ص.3

10- عبد الرحمن، الحاج صالح، **بحوث ودراسات في اللسانيات الحاسوبية**، ج1، الجزائر: موفم للنشر، د.ت، ص.230

11- ينظر: سمير شريف، استيتية، **اللسانيات: المجال والوظيفة والمنهج**، الأردن: عالم الكتب الحديث، ط1، 2005، ص527.

* نمذجة: هي عملية هدفها كشفي heuristique، تتضمن إنشاء النماذج وذلك بنقل المعطيات وملاحظتها ومن ثم وصف مختلف السيرورات من خلال لغة مناسبة وصورية.

Voir: Lionel, Dufaye, **Théorie des opérations énonciatives et modélisation**, éd. Ophrys, 2009, p38.

12- ينظر: رضا، بابا أحمد، " **اللسانيات الحاسوبية مشكل المصطلح والترجمة**"، ص.05

13- المرجع نفسه، ص5-.6

14-Voir: François, Rastier, et al. **Sémantique pour l’analyse: de la linguistique a l’informatique**, Paris: Masson, 1994, p2.

15- ينظر: محمد، الحناش، " **اللغة العربية والحاسوب قراءة سريعة في الهندسة اللسانية العربية"**، مجلة التواصل اللساني، مج9، 2003، ص20.

** الخوارزميات: مجموعة محددة من خطوات منطقية وحسابية تحدد المنهج لحل مشكلة معينة، وهذا الاسم مشتق من اسم محمد بن موسى الخوارزمي الذي أسس المنهج الرياضي لحل المسائل، ينظر: مجمع اللغة العربية، **معجم الحاسبات**، القاهرة: مطبوعات مجمع اللغة العربية، ط2، 1995، ص7.

16- علي، نبيل، **اللغة العربية والحاسوب**، الكويت: مؤسسة تعريب، 1988، ص297.

17- ينظر: عبد الرحمن بن حسن، العارف،" **توظيف اللسانيات الحاسوبة في خدمة الدراسات اللغوية العربية جهود ونتائج"**، ص50-.51

18- ينظر: مازن، الوعر، **قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث**، مطبعة العجلوني، ط1، 1988، ص417.

19- ينظر: عمر، ديدوح، " **فعالية اللسانيات الحاسوبية العربية"**، الأثر، مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح –ورقلة- الجزائر، ع8، ماي 2009، ص89-.90

20- ينظر: عبد الرحمن بن حسن، العارف،" **توظيف اللسانيات الحاسوبة في خدمة الدراسات اللغوية العربية جهود ونتائج"**، ص51-.53

21- المرجع نفسه، ص50.

22- ينظر: نهاد، الموسى، **العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية**، ص69-70.

23- ينظر: عبد الرحمن، الحاج صالح، **بحوث ودراسات في اللسانيات العربية**، ج1، الجزائر: منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، 2007، ص230-240.

قائمة المراجع والمصادر:

1- عبد الرحمن بن حسن، العارف، " **توظيف اللسانيات الحاسوبية في خدمة الدراسات اللغوية العربية جهود ونتائج"**، مجلة مجمع اللغة الأردني، ع73، .2007

2- مازن، الوعر، **دراسات لسانية تطبيقية**، دمشق: دار طلاس، ط1، .1989

3- نهاد، الموسى، **العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية**، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، .2000

4- وليد، العناتي، **اللسانيات التطبيقية وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها**، عمان: دار الجوهرة للنشر، ط2، .2003

5- عز الدين، غازي، " **اللسانيات الحاسوبية واللغة العربية"**، الحوار المتمدن، ع1639، 2006، مجلة إلكترونية على الرابط www.alhewar.org

6- رضا، بابا أحمد، " **اللسانيات الحاسوبية مشكل المصطلح والترجمة"**، جامعة تلمسان: مخبر المعالجة الآلية للغة العربية.

7- عبد الرحمن، الحاج صالح، **بحوث ودراسات في اللسانيات الحاسوبية**، ج1، الجزائر: موفم للنشر، د.ت.

8- سمير شريف، استيتية، **اللسانيات: المجال والوظيفة والمنهج**، الأردن: عالم الكتب الحديث، ط1، 2005.

9- Lionel, Dufaye, **Théorie des opérations énonciatives et modélisation**, éd. Ophrys, 2009 .

10- François, Rastier, et al. **Sémantique pour l’analyse: de la linguistique a l’informatique**, Paris: Masson, 1994.

11- محمد، الحناش، **" اللغة العربية والحاسوب قراءة سريعة في الهندسة اللسانية العربية"**، مجلة التواصل اللساني، مج9، 2003.

12- مجمع اللغة العربية، **معجم الحاسبات**، القاهرة: مطبوعات مجمع اللغة العربية، ط2، 1995.

13- علي، نبيل، **اللغة العربية والحاسوب**، الكويت: مؤسسة تعريب، 1988.

14- مازن، الوعر، **قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث**، مطبعة العجلوني، ط1، 1988.

15- عمر، ديدوح، **" فعالية اللسانيات الحاسوبية العربية"**، الأثر، مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح –ورقلة- الجزائر، ع8، ماي 2009.

16- عبد الرحمن، الحاج صالح، **بحوث ودراسات في اللسانيات العربية**، ج1، الجزائر: منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، 2007.

علاقة البلاغة بالأسلوبية

أ. يوسف نقماري
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم-

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تحديد بعض المفاهيم منها مفهوم البلاغة، والأسلوبية، والأسلوب، وإبراز العلاقة بين الأسلوبية والمعارف الأخرى كالبلاغة، والنقد، والشعرية، واللسانيات، فللأسلوبية مجالات مختلفة وعلاقات متنوعة، والأسلوبية تدرس خصوصيات النصوص الأدبية ومميزاتها، وتقوم على دراسة النص في ذاته إذ تقوم بتفحص أدواته وأنواع تشكيلاته الفنية، وهي تتميز عن بقية المناهج النصية بتناولها النص الأدبي بوصفه رسالة لغوية قبل كل شيء فتحاول تفحص نسيجه اللغوي.

Abstract:

This research aims to identify some concepts, as : rhetoric, stylistics, style, and to point out the relationship between stylistics and the other sciences; such as , rhetoric , critique, poetics and linguistics. The stylistics has different fields and various relations; moreover, it studies the characteristics of the literary texts. It stands on the study of the text by examining its components and the kinds of its artistic structures. In addition, it differs from the other textual approaches since it deals with the literary text as a linguistic message. Thus, it focuses on its linguistic tissue.

تعتبر البلاغة من أبرز وأشرف العلوم عند العرب لأنها كانت من الأدوات المهمة لفهم القرآن، وإدراك إعجازه، وقد قيل: " إذا تكلم المرء بلغة ما فهو يحدّد هويته الحضارية والإنسانية، وإذا امتلك لغته، حدّد مركزه في المجتمع، فاللغة وإن كانت وسيلة للتعبير عن الفكر، فهي تمثل الفكر كله، ولا عجب بعد ذلك إذا تحققت أسباب التطور والرقي نتيجة العناية بها"[1]، ومرت البلاغة بمراحل مختلفة إلى أن تحدّدت معالمها، وهذا ما دفع بالباحثين من الأدباء والعلماء الأعلام إلى فهمها ودرسها حتى أصبحت فنا مستقلا ذات أصول وقواعد.

1- مفهوم البلاغة:

[1]– القزويني الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، وضع حواشيه: شمس الدين إبراهيم، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص:3.

البلاغة في الأصل اللغوي، تعني الانتهاء والوصول، يقال: بلغ الشيء أي وصل إليه، وانتهى إليه، وتبلَّغ بالشيء وصل على مراده، والبلاغ ما يُتبلَّغ به، ويُتوصل إلى الشيء المطلوب".1

ولما كانت الثقافة العربية القديمة تقوم على المشافهة، ولم تتعمق فيها أسس التفكير الكتابي، فقد اتجهت دلالة البلاغة فيها إلى الكلام، لا إلى الكتابة، إلى لغة التخاطب لا إلى لغة الكتابة، ويجمع الجاحظ كثيرا من التعريفات تنطلق كلها من كون البلاغة في التعبير الشفاهي لا الكتابي، ومن ذلك على لسان أحد العرب أمام معاوية بن أبي سفيان، حين سأله معاوية عن البلاغة في قومه، فقال له: " شيء تجيش به صدورنا، فتقذفه على صدورنا، ثم سأله عن ماهية ذلك الشيء فأجابه: الإيجاز، فسأله عن الإيجاز فقال: (أن تجيب فلا تبطئ وتقول فلا تخطئ)"[2].

وأشار أبو هلال العسكري إلى الأصل اللغوي للكلمة، فقال: البلاغة من قولهم: بلغت الغاية إذا انتهيت إليها، وبلغتها غيري، ومبلغ الشيء منتهاه، والمبالغة في الشيء الانتهاء إلى غايته، فسُميت البلاغة بلاغة، لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه وسُميت البلغة بلغة، لأنك تتبلَّغ بها فتنتهي بك إلى ما فوقها، وهي البلاغة أيضا"[3].

ويُعتبر القزويني آخر من وقف عند البلاغة من المتأخرين، وميّز بلاغة الكلام من بلاغة المتكلم فقال عن الأولى:" وأما بلاغة الكلام، فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته، ومقتضى الحال مختلف ومقامات الكلام متفاوتة، فمقام التنكير يباين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد، ومقام التقديم يباين مقام التأخير، ومقام الذكر يباين مقام الحذف، ومقام القصر يباين مقام خلافه، ومقام الفصل يباين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب والمساواة، وكذا خطاب الذكي يباين الغبي، وكذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام، وتطبيق الكلام على مقتضى الحال هو الذي يسميه عبد القاهر النظم. وأما بلاغة المتكلم فهي ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ".[4]

والبلاغة تقوم على دعائم: اختيار اللفظة، وحسن التركيب وصحته، واختيار الأسلوب الذي يصلح للمخاطبين، مع حسن ابتداء، وحسن انتهاء، فالبلاغة إذن لا بد فيها من ذوق وذكاء، بحيث يدرك المتكلم متى يتكلم، ومتى ينتهي، وما هي القوالب التي تصب فيها المعاني التي رتبها في نفسه، فرُبّ كلام يكون في نفسه، لكن إن لم تراع فيه الظروف فتكون نتائجه سلبية غير متوقعة. إنّ سبب ذلك يعود إلى عنصر مهم من عناصر البلاغة، هو ما يسمّى (مقتضى الحال)، وهو الموقف الذي يولّد الصورة المخصوصة التي تورد عليها العبارة.

والبلاغة علم له قواعده، وفن له أصوله وأدواته، كما لكل علم وفن، وهو ينقسم إلى ثلاثة أركان أساسية:

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب، المجلد1، دار صادر، بيروت، ط1، (1990)، ص:345، 346.

[2]– الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق هارون عبد السلام، مؤسسة الخانجي، مطبعة السعادة، القاهرة، ط3، (د ت).، ج1، ص:96.

[3]– ينظر: الكواز محمد كريم، البلاغة والنقد "المصطلح و النشأة و التجديد"، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص:13.

[4]– ينظر: المرجع نفسه، ص:15.

- علم المعاني.
- علم البيان.
- علم البديع.

أ- علم المعاني:

هو علم " يُعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال، مع وفائه بغرض بلاغي يُفهَم ضمنا من السياق، و ما يحيط به من القرائن، أو هو علم يبحث في الجملة بحيث تأتي معبِّرة عن المعنى المقصود"[1]، وأحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال هي: الحذف، والذكر، والتعريف، والتنكير، والتقديم، والتأخير، والفصل، والوصل، والمساواة، والإيجاز، والإطناب، وما إلى ذلك.

ويتألف علم المعاني من المباحث التالية:

- الخبر والإنشاء.
- أحوال الأسناد الخبري.
- أحوال متعلقات الفعل.
- القصر.
- الفصل والوصل.
- المساواة والإيجاز والإطناب.

ب- علم البيان:

هو علم " يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة"[2]، وعلم البيان يتألف من المباحث التالية:

- التصريح والمداورة.
- التشبيه.
- المجاز، والمجاز المرسل.
- الاستعارة.
- الكناية.

ج- علم البديع:

هو علم "يبحث في طرق تحسين الكلام، وتزيين الألفاظ والمعاني بألوان بديعة من الجمال اللفظي أو المعنوي، وسمي بديعا لأنه لم يكن معروفا قبل وضعه"[3]، وأول من دوّن قواعد البديع ووضع أصوله: عبد بن المعتز، وهو أحد الشعراء المطبوعين والبلغاء الموصوفين، ومن أهم أساليب علم البديع:

- الجناس.

[1]- القزويني الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، ص:4.

[2]- المصدر نفسه، ص:5.

[3]- المصدر نفسه، ص:6.

❖ الطباق.
❖ السجع.
❖ المقابلة.
❖ التورية.

2- مفهوم الأسلوب:

جاء في (لسان العرب) مادة س ل ب: "الأسلوب يقال للشطر من النخيل، وكل طريق ممتد فهو أسلوب، و(الأسلوب) الطريق، والوجه، والمذهب، يقال أنتم في أسلوب سوء، و... (الأسلوب) الفن، يقال أخذ فلان في أساليب القول، أي في أفانين من القول".[1]

و يُحدِّد (معجم الأسلوبية) الأسلوب (Style) كما يلي: "وفي أبسط معانيه يدل الأسلوب على طريقة التعبير في الكتابة أو الكلام، مثلما أنّ هناك طريقة في عمل أشياء معينة مثل لعب السكواش أو الرسم، وربما نتحدّث عن كتابة شخص بأنها ذات أسلوب منمَّق أو عن كلام شخص ما بأنه ذو أسلوب هزلي".[2]

ويرى بيير غيرو P. Guiraud أن الأسلوب:" طريقة في الكتابة، وهو من جهة أخرى، طريقة في الكتابة لكاتب من الكتاب، ولجنس من الأجناس، ولعصر من العصور " [3] ، وإذا فحص الكاتب ما تراكم من تراث التفكير الأسلوبي وشقّه بمقطع عمودي يَخرِق طبقاته الزّمنية اكتشف أنه يقوم على رُكْحٍ ثلاثيٍّ دعائمه هي:" المخاطِب، والمخاطَب، والخطاب، وليس من نظرية في تحديد الأسلوب إلا اعتمدت إيبيستيميا إحدى هذه الركائز الثلاث أو ثلاثتها متعاضدة متفاعلة"[4].

وأول ما يطالعنا في اعتماد التفكير الأسلوبي على المخاطِب تعريف الأسلوب "بأنه قِوام الكشف لنَمَط التفكير عند صاحبه، وتتطابق في هذا المنظور ماهية الأسلوب مع نوعيّة الرسالة المبلغة مادة وشكلا"[5]، واعتماد هذا المقياس في تحديد الأسلوب عريق في القدم، متجدّد ما انفكّ يستهوي روّاد التنظير، والسبب في ذلك أن العلاقة العضوية بين اللاّفِظِ والملفوظ من العمق والحدّة أحيانا بحيث يتعذّر على الفاحص فصل الباعث والمبعوث وجودا.

هذا المنحى في تحديد ماهية الأسلوب هو بمثابة المِعيار الدلالي لمحتوى الرسالة المبلَّغة وهي ظاهرة يعلِّلها بعض رواد التفكير الأسلوبي في المشرق بأنّ: "الصورة اللفظية التي هي أول ما يُلقى من الكلام لا يمكن أن تحيا مستقلة وإنما يرجع الفضل في نظامها اللغوي الظاهر إلى نظام آخر معنوي انتظم وتألّف في نفس الكاتب أو المتكلم، فكان بذلك أسلوبا معنويا ثم تكوّن التأليف اللفظي على مثاله وصار ثوبه الذي لبسه أو جسمه إذا كان المعنى هو

---

[1]- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، المجلد17، ص:456.
[2]- ناظم حسن، البنى الأسلوبية- دراسة في "أنشودة المطر" للسياب، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2002، ص:20.
[3]- غيرو بيير، الأسلوبية، ترجمة: عياشي منذر، مركز الإنماء الحضاري، سوريا، ط2، (د ت)، ص:9.
[4]- المسدي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط5، 2006، ص:51.
[5]- المرجع نفسه، ص:52.

الروح، ومعنى هذا أن الأسلوب معان مُرتَّبة قبل أن يكون ألفاظا منسَّقة وهو يتكون في العقل قبل أن يجرِي به اللسان أو يجري به القلم"[1].

وتبدأ عملية الإنشاء عند المنشئ بوجود مثيرات أو انفعالات أو محركات داخلية نابعة من ذاته، أو خارجية من البيئة المحيطة به، هذه المثيرات تتحول إلى أفكار ومعان في ذهن صاحبها، ثم تترجم إلى عبارات لفظية تمثِّل أسلوب المنشئ.

ويعني ذلك أنّ " كل أسلوب صورة خاصة بصاحبه تبين طريقة تفكيره، وكيفية نظرته إلى الأشياء وتفسيره لها وطبيعة انفعالاته، فالذاتية هي أساس تكوين الأسلوب."[2]

أما المظهر الثاني من مظاهر نظرية تحديد الأسلوب اعتمادا على المؤلِّف الباث فهو امتداد للمظهر الأول، ويتمثل في تكثيف درجة التطابق بين مفهوم الأسلوب والذي إليه ينتمي، فلا يقتصر التناظر على تقريب صورة الأسلوب من صورة فِكرِ باثِّه وإنما يغدو الأسلوب هو ذاته شخصية صاحبه، وهو حدٌّ من التمازج تختلط فيه تلقائية الأسلوب والذات المفرزة له. ومردُّ هذه الوجهة قولة بيفون Buffon: " إنّ من الهين أن تُنتزَع المعارف والأحداث والمكتشفات أو أن تُبَدَّل، بل كثيرا ما ترقَّى إذا ما عالجها مَن هو أكثر مهارة من صاحبها، كل تلك الأشياء هي خارجة عن ذات الإنسان، أما الأسلوب فهو الإنسان عينه لذلك تعذّر انتزاعه أو تحويله أو سلخه."[3]

ولقد أثّر بيفون Buffon بنظريته هذه في كل الذين جاؤوا بعده من رواد النقد الأدبي ومنظِّري الأسلوب فتبنّاها شوبنهور Schopenhauer فعرّف الأسلوب بكونه ملامح الفكر، وتمثلها فلوبير Flaubert ثم صاغها فقال: " يُعتبر الأسلوب وحده طريقة مطلقة في تقدير الأشياء، وكذلك فعل ماكس جاكوب M. Jacob إذ قال: إن جوهر الإنسان كامن في لغته وحساسيته"[4].

وهكذا تتنزّل نظرية تحديد الأسلوب منزلة لوحة الإسقاط الكاشفة لِمخبآت شخصية الإنسان، ما ظهر منها في الخطاب وما بطن، ما صُرّح به وما ضُمّن، فالأسلوب جسر إلى مقاصد صاحبه من حيث إنه قناة العبور إلى مقومات شخصيته لا الفنية فحسب بل الوجودية مطلقا.

فالأسلوب اشتقاق الأديب من الأشياء ما يتلاءم وعبقريته، وهو ما يحيل إلى تعريف أحد مفكري القرن الثامن عشر إذ يقول: "يُطلق الأسلوب على ما ندرودقّ من خصائص الخطاب التي تبرز عبقرية الإنسان وبراعته فيما يكتب أو يلفظ"[5].

ثم إنّ التسليم بتطابق الأسلوب والعبقرية قد حتّم القول بقوة الدفع التلقائي في عملية إفراز الأسلوب مما أفضى بالباحثين إلى تقرير أنه في نشأته وفي تشكُّلِهِ وكذلك في بلوغ تمامه ظاهرة غير واعية؛ معنى ذلك أن نسيج الإبداع الفني لدى الأديب من التلقائية بحيث يغدو تولّدا لا يصحبه الإدراك في لحظة نشأته الأولى، وعلى هذا المستند عرِّف الأسلوب "بأنه بصمات تحملها صياغة الخطاب فتكون كالشهادة التي تمحى، وهذه الصورة صاغها

---

[1]- المرجع نفسه، ص: 52.

[2]- أحمد سليمان فتح الله، الأسلوبية- مدخل نظري ودراسة تطبيقية - دار الآفاق العربية، ط1، 2008، ص:12.

[3]- المسدي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ص ص:27، 28.

[4]- المرجع نفسه، ص:54.

[5]- المرجع نفسه، ص ص:55، 56.

بروست Proust وأخذها عنه كل من مونان، ودي لوفر، وهي تكشف عمق التقدير في ارتباط الأسلوب بصاحبه عضويا حتى لكأن الأسلوب (إمضاء) أو(خاتم) أو في اصطلاح عرف المؤسسات "طابَع وتوقيع "[1].

أما تحديد ماهية الأسلوب باعتماد جوهر الخطاب في ذاته فلعله الركن الضارب في مجمع رؤى الحداثة لِما يتجذر فيه من ركائز المنظور اللساني، "فإذا كان الأسلوب في (فرضية المخاطِب) صفيحة الانعكاس لأشعة الباثّ فكرا وشخصية، وكان في (فرضية المخَاطَب) رسالة مُغْلقَة على نفسها لا تفضُّ جدارها إلا يدا مَن أُرسِلت إليه، فإنه في "فرضية الخطاب" موجود في ذاته".[2]

يمتد حبل التواصل بينه وبين لافظه ومحتضنه لاشك، ولكن دون أن تُعَلَّق ماهيته على أحد منهما، وصورة ذلك أنّ النص إن كان وليدا لصاحبه فإنّ الأسلوب هو وليد النص ذاته لذلك يستطيع الأسلوب أنْ ينفصل عن المؤلّف المخاطِب لأنّ رابطة الرحم بينهما حضورية في لحظتي الإبداع والإيقاع، وهذا المنظار في تحديد ماهية الأسلوب يستمِد ينابيعه من مقومات الظاهرة اللغوية في خصائصها البارزة ونواميسها الخفية.

والمُنظِّرون لتحديد الأسلوب من زاوية النص يفْرِقُون بين وضع اللغة الكائنة في طيات معاجمها، ووضعها حين تخرج إلى مجال الاستخدام. فهذا التعريف يتعامل مع اللغة على أساس أنها ذات مستويين: الأول ساكن، ويتمثل في وجودها قبل خروجها إلى حقل الاستعمال الخارجي، والآخر متحرك، ويقصد به "اللغة حين تخرج من أطرها المعجمية بما تحوي من قواعد نحوية وصرفية إلى ميدان عملها كي تؤدي وظيفتها الإخبارية المنوطة بها، ونعني بها نقل الأفكار وتوصيل المعلومات"[3].

ويرجع هذا المفهوم إلى اللغوي السويسري دي سوسيرDe Saussure الذي أسس المدرسة الوصفية في العلوم اللغوية. وقد قامت هذه المدرسة على أساس" ما يمكن أن نسميه بالثنائية اللغوية، وهي ثنائية تقسم النظام اللغوي إلى مستويين: مستوى اللغة (Langage)، ومستوى الخطاب (Parole)، ويشتمل المستوى الأول على قواعد البنية الأساسية للغة، بينما يمثل المستوى الثاني اللغة في حالة الاستخدام"[4].

وتكاد جل التيارات التي تعتمد الخطاب أسّا تعريفيا للأسلوب تنصب في مقياس تنظيري هو بمثابة العامل المشترك المُوحِّد بينها ويتمثل في "مفهوم الانزياح (L'écart) ولئن استقام له أن يكون عنصرا قارًّا في التفكير الأسلوبي فلأنه يستمد دلالته- لا مع الخطاب الأصغر كالنص والرسالة- وإنما يستمد تصوره من علاقة هذا الخطاب الأصغر بالخطاب الأكبر وهو اللغة التي فيها يُسبك ولذلك تعذَّر تَصوّرهُ في ذاته إذ هو من المدلولات الثنائية المُقتضِية لنقائضها بالضرورة فكما لا نتصور(الكبير) إلا في طباق مع (الصغير) فكذلك لا نتصور انزياحا إلا عن شيء ما"،[5] وهذا المسبار الأصليُّ الذي يقع عنه الخروج، "وإليه يُنسب الانزياح هو في ذاته مُتَصوّر نِسبي تذبذب الفكر اللساني في

---

[1]- المرجع نفسه، ص:56.

[2]- المسدي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ص:71.

[3]- أحمد سليمان فتح الله، الأسلوبية، ص ص:15، 16.

[4]- المرجع نفسه، ص:16.

[5]- المرجع السابق، ص ص:77، 78.

تحديده وبلورة مصطلحه فكلٌّ يَسِمه من ركن منظور خاص وقد أُصطلح عليه بالاستعمال النفعي للظاهرة اللسانية"[1].

3- مفهوم الأسلوبية:

الأسلوبية: تعني كلمة استيلوس في اللاتينية (الأزميل)، أو (المنقاش) للحفر، والكتابة، وقد كان اللاتين يستعملونها مجازاً للدلالة على شكلية الحفر، أو شكلية الكتابة، ثم مع الزمن اكتسبت دلالتها الاصطلاحية، البلاغية، والأسلوبية، وصارت تدل على الطريقة الخاصة للكاتب في التعبير..

إن أول من استخدم مصطلح الأسلوبية[2] هو (نوفاليس) الذي كانت تختلط الأسلوبية عنده بالبلاغة، ولقد توالت تحديدات الأسلوبية - فيما بعد - وخضعت إلى منظورات مختلفة فهي: "علم التعبير، وهي نقد للأساليب الفردية"[3]، كما أنها حسب "أريفاي M. Arrivé": "وصف للنص الأدبي حسب طرائق مستقاة من اللسانيات"، وهي حسب "دولاس":" تعرَّف بأنها منهج لساني"[4].

وحدَّد ريفاتير Riffaterre الأسلوبية بأنها: "علم يُعنى بدراسة الآثار الأدبية دراسة موضوعية، وهي لذلك تعنى بالبحث عن الأسس القارة في إرساء علم الأسلوب، وهي تنطلق من اعتبار الأثر الأدبي بنية سنية تتحاور مع السياق المضموني تحاورا خاصا"[5].

بمعنى أنها تقوم على دراسة النص في ذاته إذ تقوم بتفحص أدواته وأنواع تشكيلاته الفنية، وهي تتميز من بقية المناهج النصية بتناولها النص الأدبي بوصفه رسالة لغوية قبل كل شيء فتحاول تفحص نسيجه (اللغوي) وترمي بحسب رأيه إلى " تمكين القارئ من إدراك خصائص الأسلوب الفني إدراكا نقديا مع الوعي بما تحققه تلك الخصائص من غايات وظائفية"[6] ومادامت الأسلوبية، بحسب ما أشرنا تأخذ مفهومها من الجهة التي تبنتها، فإن مفهومها يتعدد بتعدد تلك الجهات ويكون محددا بحسب هذه الجهة أو تلك.

4- محددات الأسلوب:

4-1- الاختيار:

أصبح تعريف الأسلوب على أنه اختيار من التعريفات الشائعة في الدراسات الأسلوبية، وقد توسَّع الباحثون في مناقشة هذا التعريف الذي يبدو إشكاليا في كثير من الأحيان كما هي تعريفات الأسلوب الأخرى من كونه انحرافا، وانزياحا... أو الأسلوب هو الرجل على حدّ بوفون Buffon، ويقول بالي Bally عن الأسلوب: "هو إضافة ملمح تأثيري إلى التعبير، ولاشك أن هذا الملمح التأثيري ذو محتوى عاطفي"[7].

1- المرجع نفسه، ص:78.

2- بن ذريل عدنان، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، دمشق، اتحاد الكتاب العرب،(د ط)، 2000، ص:43.

3- غيرو بيير، الأسلوبية، ص:9.

4- المرجع نفسه، ص:41.

5- بدري الحربي فرحان، الأسلوبية في النقد العربي الحديث- دراسة في تحليل الخطاب- المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 2003، ص:15.

6- المرجع نفسه، ص:15.

7- فضل صلاح، علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته- منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت، ط1، 1985، ص: 325.

إن تعريف الأسلوب على أنه اختيار يطرح في المقام الأول السؤال الآتي:لماذا يختار المبدع هذه الكلمة، أو هذا التركيب، أو هذا العنوان، أو هذه التقنية دون غيرها من التقنيات؟ وهذا السؤال يقود إلى آخر، هل الاختيار عملية واعية، أم غير واعية، وكيف يمكن تحديد مثل هذا السؤال أو الإجابة عليه؛ لأنّ الاختيار أمر لا يتعلق بالقارئ، وإنما يتعلق بالمبدع.

وهناك نقطة أخرى يمكن أن تضاف إلى ما سبق متمثلة في العلاقة بين موقف المبدع وبين ما يختاره، أي هل يتدخل الموقف الذي يعيشه المبدع في توجيه اختياره توجيها قسريا، أم لا يمارس أي سلطة على عملية الاختيار لكلمة، أو عبارة، أو لأسلوب ما؟ كل هذه النقاط يجب أن تظل في الذهن عند معالجة تعريف الأسلوب على أنه اختيار.

يكاد يكون تعريف الأسلوب بأنه اختيار من التعريفات الشائعة والمعروفة في الدراسات النقدية الحديثة، إذ أنّ معالجة الأسلوب على أنه اختيار احتلت مساحات واسعة من مناقشات الدراسة الأسلوبية، "وقد شاع في الدراسة الأسلوبية أن نظام اللغة يقدم للمبدع إمكانات هائلة له أن يستخدمها للتعبير عن حالة واحدة أو موقف معين، وهذا يعني أن للمبدع الحرية في اختيار ما يريد ما دام ما يُختَار يخدم رؤيته وتصوُّره وموقفه"[1]، ولكن هذا الأمر لم يبق مجرد عموميات، وإنما بدت هناك تحديدات لعملية الاختيار في الدراسات الأسلوبية، وقد مُيِّزَت خمسة مستويات للاختيار هي:[2]

أ- اختيار الغرض من الحديث:

وفيه يريد المتكلِّم - بناء على أسس محددة- الوصول إلى الغرض من الكلام أو الحديث مثل: الإبلاغ، الدعوة، الإقناع، اكتساب معلومات معينة، ويمكن أنْ يكون الهدف من النصوص الأدبية أغراضا جمالية.

ب- اختيار موضوع الحديث:

وفيه يختار المتكلِم الموضوعات غير اللغوية أو الأشياء التي يريد الحديث عنها، وبناء على ذلك تتحدد إمكانيات الاختيار التي لها قيمة معينة، فلو أراد مثلا الإخبار عن حصان فيمكنه أن يختار حصان، جواد، فرس...إلخ، ولكن لا يمكنه اختيار بقرة مثلا.

ت- اختيار الرمز اللغوي:

يختار المتكلم إذا كان يعرف عدة لغات- لغة معينة أو لهجة ما، وهذا الاختيار هام جدا في النصوص الأدبية، حيث تحدث إضافات بِلُغات أو لهجات أجنبية.

ث- الاختيار النحوي:

ويختار المتكلم التراكيب النحوية التي تكون قواعد صياغتها إجبارية مثلا: جملة استفهامية أو جملة خبرية.

ج- الاختيار الأسلوبي:

ويعثر المتكلم على الاختيار الأسلوبي من بين الإمكانات الاختيارية المتساوية دلاليا.

---

[1]- أبو العدوس يوسف، الأسلوبية- الرؤية والتطبيق- دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، 2007، ص:167.

[2]- المرجع نفسه، ص ص:167،168.

وعلى الرغم من هذه التحديدات التي تحاول أن تبرِز مستويات الأسلوب إلا أنّ هناك إشكالية تظل تواجه تعريف الأسلوب من كونه اختيارا، فالمشكلة الأولى: هل المبدِع يكون حرا فيما يختار غير مقيَّدٍ بضوابط، أو قواعد يحتكم إليها؟

أما المشكلة الثانية فهي: هل يكون كل اختيار يقوم به المبدع أسلوبا؟ وعلى هذا الأساس برزت ضرورة أساسية للتمييز بين نوعين مختلفين من الاختيار: اختيار محكوم بالموقف أو المقام، واختيار تتحكم فيه مقتضيات التعبير الخالصة. "والنوع الأول اختيار نفعي، ربما يُؤثر فيه المنشئ كلمة أو عبارة على أخرى، لأنها أكثر مطابقة - في رأيه - للحقيقة، أو لأنه- على عكس ذلك - يريد أن يضلل سامعه، أو يتفادى الاصطدام بحساسيته اتجاه عبارة أو كلمة معينة"[1].

أما النوع الثاني فاختيار نحوي يرتبط ارتباطا وثيقا بالإمكانات النحوية وقواعد اللغة بمفهومها الشامل: الصوتية، والصرفية، والدلالية، ونظم الجملة، " ويكون هذا الأمر حين يفضِّل المبدع أسلوبا على أسلوب، فتارة يستخدم التقديم والتأخير ويُؤخِّر ما حقه التقديم ما دام يرى أن هذا الأسلوب أكثر تحقيقا للفائدة التي يتوخاها من عمله الأدبي، وهو عمل يريد منه المبدِع أنْ يكون مؤثرا وفاعلا لينقل الشحن العاطفي للغة النص إلى المتلقي أيضا "[2].

يبرز من خلال هذه المناقشات أنّ عملية الاختيار تصبح عملية أساسية مهما اختلفت تأويلات النقاد ومواقفهم منها، لأنهم يُجمِعون في النهاية على أهمية الاختيار في الدراسات الأسلوبية.

وقد تجلّى هذا الأمر بصورة واضحة عند جاكبسون Jakobson عندما عرّف الوظيفة الشعرية بأنها: " إسقاط مبدأ التماثل لمحور الاختيار على محور التأليف، فالاختيار ناتج على أساس قاعدة التماثل والمشابهة والمغايرة والترادف والطباق، بينما يعتمد التأليف وبناء المتوالية على المجاورة "[3]. أو ما أصبح يُعرف بمحور الاستبدال ومحور التركيب.

ربط بعض الباحثين بين فكرة الاختيارات الأسلوبية والنحو التوليدي التحويلي الذي يقوم على بناء مجموعة من الجمل المختلفة اعتمادا على الجمل البسيطة، ومن هذه الجمل يختار المؤلّف ما يوافقه، وبناءً على ذلك فقد تم تحديد الأسلوب عند بعض الدارسين بأنه: "نتيجة لاختيار المؤلف من مختلف التحولات الاختيارية الممكنة"[4].

تتولد كثير من التراكيب التي تعني الشيء نفسه نتيجة للنحو التوليدي، وهذا بدوره يمثل بدائل على مستوى الدراسة الأسلوبية، والأسلوب- طبقا لذلك - "يُولَد نتيجة لانتقاء المؤلّف من بين إمكانات اللغة الاختيارية

---

[1] - المرجع نفسه، ص:168.

[2] - المرجع السابق، ص ص:168،169.

[3] - جاكبسون رومان، قضايا الشعرية، ترجمة: الولي محمد وحنون مبارك، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1988، ص:33.

[4] - فضل صلاح، علم الأسلوب، ص:93.

التي تقوم على بينها علاقة التبادل، مما يجعل من الميسور ملاحظة الفوارق الأسلوبية في نصوص تنتمي إلى اللغة نفسها عندما تؤدي جميعها المحتوى الإعلامي ذاته، وبأشكال مختلفة"[1].

لقد وجد صلاح فضل مسوغا لربط مفهوم الأسلوب بالنحو التوليدي التحويلي لظاهرة الاختيار بنظرية التوصيل "على اعتبار أن النظام اللغوي يتيح للمتكلم فرصا عديدة، وإمكانات مختلفة للتعبير عن واقع محدد، مع ملاحظة مدى ما يتمتع به الكاتب من حرية حقيقية في اختياراته، إذ إن عمليات الاختيار محكومة بالظروف التي يمكن تفسيرها بدورها على أنها اختيار يتم على مستوى أعلى"[2].

ومهما يكن، فإنّ تحديد الأسلوب على أنه اختيار محور أساسي من محاور الدراسات الأسلوبية التي قدمت الأسلوب على أنه متصل بوعي المبدع، وبذاتيته التي تميزه عن الذوات الأخرى، فتفاوت الأسلوب ربما يكون قائما على طبيعة الاختيار الذي يُعَد عنصرا أساسيا من عناصر عملية الإبداع.

4-2- التركيب:

تقوم ظاهرة التركيب في المنظور الأسلوبي على ظاهرة إبداعية سابقة علها وهي ظاهرة الاختيار التي لا تكون ذات جدوى إلا إذا أُحكِم تركيب الكلمات المختارة في الخطاب الأدبي. " تتركب الكلمات في الخطاب من مستويين؛ حضوري وغيابي، فهي تتوزع سياقيا على امتداد خطي، ويكون لتجاورها تأثير دلالي وصوتي وتركيبي، وهو ما يدخلها في علاقات ركنية، وهي أيضا تتوزع غيابيا في شكل تداعيات للكلمات المنتمية لنفس الجدول الدلالي، فتدخل إذن في علاقة جدلية أو استبدالية، فيصبح الأسلوب بذلك شبكة تقاطع العلاقات الركنية بالعلاقات الجدولية ومجموع علائق بعضها ببعض" [3].

فظاهرة التركيب هي تنضيد الكلام ونظمه لتشكيل سياق الخطاب الأدبي، والتركيب عنصر أساسي في الظاهرة اللغوية، وعليه يقوم الكلام الصحيح، وحسب الفارابي أنه يُدخِل (القرماطيقا) وهي تشمل "علم قوانين الألفاظ عندما تتركب، وعلم قوانين الألفاظ عندما تكون مفردة"[4]، ولعلم قوانين الألفاظ المركبة فرعان: "علم قوانين أحوال التركيب، وعلم قوانين أطراف الأسماء والكلم، وعلم قوانين الأطراف هو المخصوص بعلم النحو"[5].

وحسب الاعتقاد أنّ التوليد اللغوي تقيَّد بنظام اللغة لا يخرج عن إطار القياس الذي هو (حمل فرع على أصل لعلّة جامعة بينهما)، ومن شروطه أن يكون المقيس عليه (في اللغة) مطَّردا، فإذا ورد نادرا عُد شاذا، والشاذ كما هو شائع يُحفَظ ولا يقاس عليه، يقول نوام تشومسكي Noem Chomsky: "من مهمات النحو العادية أن يقوم بتحديد فئات الجمل السليمة التكوين، وأن يسند لكل منها وصفا هيكليا أي وصفا للوحدات التي تتكوّن منها الجملة ولكيفية تشكلها، وكذلك للعلاقات البنيوية بين الجملة وأختها..."[6].

1- المرجع نفسه، ص:179.

2- نفسه، ص:89.

3- المسدي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ص:77.

4- السد نور الدين، الأسلوبية وتحليل الخطاب- دراسة في النقد العربي" الأسلوبية والأسلوب- دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د ط)، (د ت)، ج1، ص:168.

5- المرجع نفسه، ج1، ص:168.

6- المرجع نفسه، ج1، ص:169.

ترى الأسلوبية أن الكاتب لا يتسنى له الإفصاح عن حسّه ولا عن تصوره للوجود إلا انطلاقا من تركيب الأدوات اللغوية تركيبا يُفضي إلى إفراز الصورة المنشودة والانفعال المقصود، وهذا هو الذي يكسب تقيُّد النظرية بحدود النص في ذاته ويُكسِبُها شريعتها المنهجية وحتى المبدئية من حيث احتكام نظري، وعلى هذا الصعيد بالذات تتكل الأسلوبية على المعطى الألسني المحض لأنّ اللسانيات قد حددت "اللغة بكونها ظاهرة اجتماعية، وكائنا حيا مع اعتبار أنها تركيبة قائمة في ذاتها أي أنها (كلٌّ) يقوم على ظواهر مترابطة العناصر، وماهية كل عنصر وقف على بقية العناصر بحيث لا يتحدد أحدها إلا بعلاقته بالأخرى، فتكون اللغة جهازا تنتظم في صلبه عناصر مترابطة عضويا لا يتغير عنصر إلا انجر عن تغيُّره وضع بقية العناصر، وبالتالي كلّ الجهاز ، وما إنْ يستجيب الكلُّ لتغيُّر الجزء حتى يستعيد الجهاز انتظامه الداخلي"[1].

ومن هذا المنطلق الذي يركز على الجانب التركيبي للظاهرة اللغوية في النص الأدبي تبنى النقد الأدبي الحديث تعريفا للنص الأدبي فحواه أنّ "النص الأدبي هو في حد ذاته عاَلَم لغوي متكامل فكأنما هو اللغة ذاتها وقد انحصرت في ذلك السياق المحدد بالنص"[2].

إنّ اختيار الكلمات لا يكون مفيدا إلا إذا أُحكم توزيع هذه الكلمات وهي تتوزع على مستويين: حضوري وغيابي، فهي تتوزع سياقيا على امتداد خطي، ويكون لتجاوزها تأثير دلالي وصوتي وتركيبي، وهو ما يُدخِلها في علاقات ركنية وهي أيضا تتوزع غيابيا في شكل تداعيات للكلمات المنتمية لنفس الجدول الدلالي، فتدخل إذن في علاقات جدولية أو استبدالية فيصبح الأسلوب بذلك شبكة تقاطع العلاقات الركنية بالعلاقات الجدولية ومجموع علائق بعضها ببعض"[3].

فالمتكلِّم ينشئ كلامه وفق قواعد النحو وقوانينه، لذلك كان التركيب الأسلوبي مشروطا يقول المسدي:" كل مقطع لساني هو حلقة وصل بين الأشياء والوقائع المرموز إليها، والمتقبِّل لذلك المقطع، وهذه العلاقة ليست عفوية ولا اعتباطية وإنما هي تفترض عقدا مزدوجا: أحد العقدين يستجيب لضغوط الدلالة وهو التواضُع على رصيد معجمي معين، والآخر يستجيب لضغوط الإبلاغ وهو التسليم بمجموعة من القوانين الضابطة لتركيب مقاطع الكلام، وهذا العقد الثاني يشمل الأسس العامة تاركا بعض المجال لتصرّف كل فرد من أفراد المجموعة اللسانية الواحدة، وهذه الخصوصية هي التي تبرز لنا علاقة الجدولين: فالأول مجال القيود والأسلوبية مجال الحريات، وعلى هذا الاعتبار كان النحو سابقا في الزمن للأسلوبية إذ هو شرط واجب لها، فكل أسلوبية هي رهينة القواعد النحوية الخاصة باللغة المقصودة، ولكنها مُرَاهَنَة ذات اتجاه واحد لأننا إذا سلّمنا بأنْ لا أسلوب بدون نحو فلا نستطيع إثبات العكس فنقول: لا نحو بلا أسلوب".[4]

إنّ هذه العلاقة الجدلية بين النحو والأسلوب يمكنها أن تساعد دارس الأسلوب في الاستعانة بالقواعد النحوية، وتحديد خصائص التركيب النحوي للأسلوب انطلاقا من هذه القواعد، ولكن النحو لا يكفي وحده في تحديد خواص الأسلوب لذلك كان على دارس الأسلوب الإلمام بحقول معرفية عديدة ليتمكّن من دراسة الظواهر

[1]- المرجع نفسه، ج1، ص:169.

[2]- المرجع نفسه،ج1، ص:170.

[3]- المرجع نفسه، ج1، ص:170.

[4]- المسدي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ص:46.

اللغوية والأسلوبية للخطاب الأدبي، "فالنحو يحدد لنا ما لا نستطيع أنْ نقول فهو يضبط لنا قوانين الكلام، بينما تقفو الأسلوبية ما بوسعنا أن نتصرّف فيه عند استعمال اللغة، فالنحو ينفي والأسلوبية تثبت، معنى ذلك أن الأسلوبية علم لساني يُعنَى بدراسة مجال التصرّف في حدود القواعد البنيوية لانتظام جهاز اللغة"[1].

والملاحظ أنّ كل تركيب أسلوبي يتضمن أبعادا دلالية تخصُّه، وأنّ أي تغيير في بنية التركيب بتقديم أو تأخير في بعض وحداته اللغوية، أو تعريف أو تنكير أو إظهار أو إضمار، كل ذلك يكون بهدف و يتقصَّده المنشئ عن وعي وإدراك ولا يمكن أن تظهر خاصية أسلوبية في التركيب دون قصد، فمهما كان التغيير طفيفا في التركيب فإنه يأتي استجابة لنسق ويتطلبه السياق، فإحلال صيغة اسم الفاعل مثلا محل الصفة المشبهة، أو إحلال المضارع محل الماضي أو الأمر، أو إحلال الاسم محل الفعل إنما هي ظواهر لغوية يتطلّبها الأسلوب ويستدعيها المقام والسياق، ومن المُؤَكَّد أنّ ذلك يعطي صورة تركيبية مختلفة ويترتّب عن ذلك معاني مختلفة لأن طريقة التركيب اللغوي للخطاب الأدبي هي التي تمنحه كيانه وتحدِّد خصوصيته.

ولذلك كان ميشال ريفاتير M. Riffaterre يركّز على "الخطاب في ذاته ويعزل كل ما يتجاوزه من مقاييس اجتماعية أو ذاتية، فالخطاب الأدبي هو تركيب جمالي للوحدات اللغوية تركيبا يتوخّى في سياقه الأسلوبي معاني النحو"[2]، ومِنْ هنا يكسب وظيفة الأدبية التي هي سرّ من أسرار خصائصه التركيبية البنيوية والوظيفية.

إنّ خاصية التركيب باعتبارها ظاهرة أسلوبية استرعت اهتمام النقاد والباحثين الغربيين والعرب وتفاوتت فيها وُجهات نظرهم؛ وإن كان جميع دارسي الأسلوب يجمعون على أهميتها لأن بها قوام الخطاب الأدبي، وبوساطتها تحقيق انسجامه وتكامله.

4-3- الانزياح:

يكاد الإجماع ينعقد على أنّ الانزياح:" خروج عن المألوف أو ما يقتضيه الظاهر، أو هو خروج عن المعيار لغرض قصد إليه المتكلِّم أو جاء عفو الخاطر، لكنه يخدم النص بصورة أو بأخرى وبدرجات متفاوتة"[3].

فالانزياح يتخذ أنماطا مختلفة من ناحية تنوُّعاته أو تحقُّقاته العينية في النصوص الأدبية، كما أنّ وجهة نظر الدراسة التي تطبِّق مقولة الانزياح يمكن أن تتنوَّع كذلك، ما دام جوهر عملية تطبيق مقولة الانزياح إنما هو إجراء مقارنة، "فالتطبيق تطبيق مقارن يضع النص الأدبي ويتأمَّله لا كشيء في ذاته وإنما كشيء مرتبط بطريقة معينة بآخر حاضر في الذهن، سواء أكان هذا الآخر متجسِّدا كنص آخر أم كنمط حقبة معينة سابقة على حقبة النص"[4].

لقد ارتبط مفهوم الأسلوب بمفهوم الانزياح عن القاعدة العامة، وإنّ مثل هذا الربط يثير مشكلات تتعلق بكيفية تحديد الانزياحات التي يرتكبها النص الأدبي، وكيفية تحديد القاعدة العامة التي انحرف عنها ذلك النص، فتحديد الانحراف ربما يخضع لمُحددات تاريخية وثقافية، وربما يخضع للخبرة والمعرفة اللتين تتعلقان بالقواعد.

1- المرجع نفسه، ص:46.

2- السد نور الدين، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1، ص:172.

3- أبو العدوس يوسف، الأسلوبية، ص:180.

4- ناظم حسن، البنى الأسلوبية، ص:43.

فالسياقات التاريخية والثقافية ربما تحدِّد أنماطا من الانزياح في حقبة معينة وثقافة معينة فقط بحيث لا تمثِّل تلك الأنماط انزياحا ما في حقبة أخرى وسياق ثقافي آخر.

ومن هنا، نستنتج أنّ القيم الأسلوبية هي "قيم متغيرة وغير ثابتة، وربما يعثر القارئ على بُنَى أسلوبية في نص شعري عائد إلى العصر الجاهلي لم تكن تمثِّل أي ملمح أسلوبي بالنسبة إلى قارئ عاصر ذلك النص والعكس بالعكس. ولكي تُحدَّد الانزياحات في نص أدبي معين لا بد لنا أن نتوفر على معرفة دقيقة وحساسة بإزاء القواعد العامة التي يقاس الانزياح في ضوئها، ومن دون تلك المعرفة فإننا نُغفل كثيرا من الانزياحات التي يتوفَّر عليها النص الأدبي"[1].

وإذا ما افترضنا أننا نستطيع أن نحدِّد الانزياحات في نص أدبي ما، فكيف يمكن أن نحدد معيارا نسند - طبقا له - قيمة أسلوبية إلى الانزياح، فليس كل انزياح يتوفَّر على قيمة أسلوبية، كما أنه ليس كل قيمة أسلوبية يتوقف وجودها على تحقيق الانزياح.

"لقد وُجد في مشروع جون كوهن J. Cohen أنّ الذي يُحدِّد الانزياحات بمختلف أنواعها إنما هو عالم اللسانيات، في حين يحدِّد الانزياحات في مشروع ميشال ريفاتير M. Riffaterre إنما هو القارئ أو مجموعة من القرّاء"[2].

وقد صنّف الغربيون الانزياحات في خمسة نماذج استنادا إلى معايير تحدِّد الانزياح نفسه:[3]

أ-تصنيف الانزياحات استنادا إلى درجة انتشارها في النص بوصفها انزياحات متموضعة في سياق النص كالاستعارة التي تُعَد انزياحا موضعيا عن النظام اللساني، أو بوصفها انزياحات تشمل النص الأدبي في عمومه كالتكرار الذي يمكن تحديد درجة انزياحه طبقا لعمليات إحصائية.

ب- تصنيف الانزياحات بالنظر إلى نظام القواعد اللسانية، فتبرز لنا انزياحات سلبية كتخصيص القاعدة العامة، وانزياحات إيجابية كإضافة قيود معينة مثل القافية.

ت- تصنيف الانزياحات بالنظر إلى علاقة القاعدة بالنص المُحلَّل، فتبرز لنا انزياحات داخلية تتمثل في انفصال وحدة لسانية عن القاعدة المهيمنة على النص، وانزياحات خارجية تتمثل في اختلاف أسلوب النص عن القاعدة التي كُتب النص بِلُغتها.

ث- تصنيف الانزياحات بالنظر إلى المستوى اللساني الذي تستند إليه تلك الانزياحات فتبرز لنا انزياحات خطية، وصوتية، وصرفية، ومعجمية، ونحوية، ودلالية.

ج- تصنيف الانزياحات بالنظر إلى مبدأي الاختيار والتأليف طبقا لفرضية جاكبسون Jakobson في إسقاط مبدأ التماثُل من محور الاختيار على محور التأليف. فتبرز لنا انزياحات استبدالية تُحطِّم قواعد الاختيار كوضع المفرد مكان الجمع، والصفة مكان الموصوف، واللفظ الغريب بدلا من المألوف.

وبالنتيجة، فإنه يمكن إجمال المشاكل التي يثيرها النظر إلى الأسلوب بوصفه انزياحا كما يأتي:[1]

---

[1]- المرجع نفسه، ص:45.

[2]- ناظم حسن، مفاهيم الشعرية (دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم)، المركز الثقافي العربي، ط1، 1994، ص:118.

[3]- فضل صلاح، علم الأسلوب، ص ص:210،211.

- ❖ كيفية النظر إلى نصوص ليس فيها انزياح عن قاعدة معينة.
- ❖ كيفية تحديد القاعدة والانزياح عنها بدقة علمية.
- ❖ كيفية تتبُّع الخواص النوعية للانزياح بتحديد الأسلوب بوصفه انزياحا إنما هو تحديد سالب.
- ❖ كيفية النظر إلى انزياحات لا يترتَّب عليها تأثير أسلوبي.
- ❖ كيفية تجاوُز المؤلف والقارئ، فتحديد الأسلوب بوصفه انزياحا إنما ينظر إلى الظاهرة اللسانية فحسب في النص الأدبي
- ❖ كيفية تطبيق نظرية الانزياح على مؤلّفين يكتبون بأسلوب اعتيادي.
- ❖ كيفية تسويغ إهمال ملامح النص الأخرى وبناه الأساسية التي لا تستند إلى فكرة الانزياح.

5- علاقة الأسلوبية بالبلاغة:

بين البلاغة والأسلوبية علاقة وثيقة تتمثل أساسا في أن محور البحث في كلهما هو الأدب، إلا أن النظرة إلى هذا الأدب تختلف في المنظور الأسلوبي عنها في المنظور البلاغي، وقد أورد شكري عياد الفروق بين الأسلوبية والبلاغة والمتمثلة في ما يلي:[2]

- ❖ إن البلاغة علم لساني قديم، والأسلوبية علم لساني حديث، ومن هنا يصبح الاختلاف اختلافا منهجيا، فالعلوم اللسانية القديمة التي سارت البلاغة في هديها كانت تنظر إلى اللغة بوصفها منطوية على ثبات حقيقي. بينما تنظر العلوم اللسانية الحديثة إلى اللغة بوصفها متغيّرة ومتطورة، وإذا كان ثمة ثبات معيَّن تنطوي عليه اللغة فإن هذا الثبات يُنظر إليه لا بوصفه حقيقة بل بوصفه ضرورة منهجية تلجأ إليها اللسانيات خاصة.

5- إن علم البلاغة علم معياري، بينما تعد الأسلوبية علما وصفيا، فالبلاغة تنطوي على قوانين مطلقة تقوم على الاختيار بين إمكانيات عدة، وهذه الإمكانيات إنما هي تراكيب نحوية خاضعة لقوانين معيَّنة، فالاختيار- إذن - خاضع للقوانين كذلك، ولهذا تنصب معيارية البلاغة على العدول عن التراكيب النحوية المناسبة مما يسبب هذا العدول خطأ بلاغيا.

- ❖ يقرِر علم البلاغة أن الكلام ينبغي أن يطابق (مقتضى الحال)، في حين تقرّر الأسلوبية أن نمط الكلام يتأثر(بالموقف)، وهذان الاصطلاحان يشيران- على الرغم من اختلافات معينة - إلى الظروف العامة التي تحيط بالكلام.

إن الظروف العامة التي تكتنف الكلام هي التي تختلف في البلاغة عنها في الأسلوبية، "فالبلاغة-بفعل إنشائها تحت هيمنة المنطق على التفكير- كانت تنصب على الخطابة أكثر من انصبابها على الشعر، ولهذا فإن الظروف المحيطة بالكلام إنما تعني الحالة العقلية، وإن كان الاهتمام بالحالة الوجدانية أمرا مفروضا من معالجة المادة الأدبية".[3]

أما الأسلوبية التي أُنشِئَت في الوقت الذي انتعش فيه علم النفس فقد عنيت بالجانب الوجداني أكثر من عنايتها بالجانب العقلي، ولهذا أصبح (الموقف) أشد تعقيدا من مقولة (مقتضى الحال)، فمقولة (الموقف) في

---

[1]- فضل صلاح، علم الأسلوب، ص ص:215،216.

[2]- ناظم حسن، البنى الأسلوبية، ص:18.

[3]- ناظم حسن، البنى الأسلوبية، ص:18.

الأسلوبية تنطوي على عوامل خارجية تعود إلى المنشئ والمتلقي ويكون بعضها مشتركا: كالجنس والبيئة والمركز الاجتماعي والمنشأ، وتنطوي-كذلك- على عوامل فردية تعود إلى المنشئ كالمزاج والحدة والهدوء والدعابة والرزانة...

- ❖ إن أفق الدراسة الأسلوبية أوسع من أفق الدراسة البلاغية، "فالأسلوبية تدرس الظواهر اللغوية جميعها بدءا من الصوت وحتى المعنى ومرورا بالتراكيب".[1]

6- علاقة الأسلوبية بالنقد الأدبي:

النظام اللغوي -كما حدده سوسير Saussure - ذو مستويين: مستوى اللغة، ومستوى الخطاب، ويتفرع عن المستوى الثاني مستويان: أولهما الخطاب العادي، وثانيهما الخطاب الأدبي.

وهدف كل خطاب عادي إيصال المعاني ونقل الأفكار النفعية بين الناس، أما الخطاب الأدبي فيتجاوز تلك الدائرة الإيصالية بهدف إقناع المتلقي وإمتاعه.

والأسلوبية- بهذا - علم وصفي يُعنى ببحث الخصائص والسمات التي تميّز النص الأدبي بطريقة التحليل الموضوعي للأثر الأدبي الذي تتمحور حوله الدراسة الأسلوبية، ومن هذه النقطة تتحدد علاقة الأسلوبية والنقد الأدبي بزوايا التقارب والتباعد ونقاط الاتفاق والاختلاف. ويُعرَّف النقد بأنه: "نَظَرٌ وتقليب في الأدب، وتذوق وتمييز له وحكم عليه، أي أنّ حقله ومجاله الأدب، ومهمة الارتقاء به في سُلَّم الفن وغايته السموُّ به إلى أعلى مراتب الجمال والإحسان"[2].

وللنقد اتجاهات شتى، منها ما يُعنى ببحث النص في إطار الظروف التاريخية والعوامل السياسية والفكرية والاجتماعية السائدة، باعتبار أنها تنعكس- أراد الكاتب أم لم يُرِد- على إنتاجه الأدبي، يضاف إلى ذلك أن الكاتب الفذ لا ينسلخ عن قضايا مجتمعه ومؤرِّقاته وإنما يعيش فيها من خلال ما يكتب، ومنها ما يهتم بالنواحي النفسية للكاتب وأطوار حياته الأولى، وما قد يعانيه من مشكلات أو عُقَد تكون قد ترسبت في أعماقه فتؤثِّر فيما ينشئه، فلا مجال لدراسة النص- حسب هذا الاتجاه - بمعزل عن تلك الظروف النفسية.

ومن الاتجاهات النقدية ما ينظر إلى الأثر الأدبي على أنه يعكس المذهب العقائدي والرؤية الفكرية لدى الكاتب، وجليٌّ أن النقد- بهذه الصورة - قد " اتجه اتجاهات جديدة، إذ دُعمت الصلة بينه وبين العلوم الإنسانية وخاصة علوم الاجتماع والنفس، وظهرت فيه دراسات كثيرة تتجه إلى ما وصل إليه الدارسون في هذه العلوم من نظريات وقواعد وقوانين"[3].

والأسلوبية والنقد يلتقيان من حيث أن مجال دراستهما هو الأدب، وبتحديد أدق النص الأدبي، لكن الأسلوبية تدرس الأثر الأدبي بمعزل عما يحيط به من ظروف سياسية أو تاريخية أو اجتماعية أو غيرها، فمجال عملها النص فحسب. أما النقد فلا يغفل- في أثناء دراسته للنص- تلك الأوضاع المحيطة به.

هذا بالإضافة إلى أن الأسلوبية تُعنى أساسا بالكيان اللغوي للأثر الأدبي، فعملها يبدأ من لغة النص وينتهي إليها، بينما يرى النقد أن العمل الأدبي وحدةٌ متكاملة وأنه ينبغي أن يُدرس بكل عناصره الفنية، وما اللغة-حينئذ- إلا أحد تلك العناصر. "ومما يشوِّه العملية النقدية شيوع الذاتية والانطباعية، لذا يجب على الناقد أن يتجرد من

---

[1] - المرجع نفسه، ص:19.

[2] - غيرو بيير، الأسلوبية، ص:35.

[3] - ضيف شوقي، في النقد الأدبي، دار المعارف، ط6، 1981، ص:41.

ذاتيته حتى يصبح النقد موضوعيا لا أثر فيه لشخصية الناقد، ولا لأي إحساس له آخر أو معرفة أخرى، فيرضى عن أثر ويسخط على أثر"[1].

أما الأسلوبية - ومحور دراستها اللغة فحسب- فالذاتية والانطباعية تكاد تكونان منعدمتين فيها، فاللغة في يد الناقد الأسلوبي أشبه بمُركَّب كيميائي في تجربة معملية، فهو يؤدي ذات النتيجة- إذا خضع لنفس الظروف- مهما تعددت التجارب.

ولا يعني ذلك أن شخصية الباحث الأسلوبي ممحوة محوا بحيث لا إحساس بها مطلقا، فهي موجودة بصورة ما، وهذا الوجود منشؤه أن ثمة علاقة قائمة على التحيُّز الموضوعي تقوم بين الناقد الأسلوبي والعمل الأدبي الذي يدرسه، وعليه "ينبغي أن تكون الأسلوبية نقدا يحدوه تلطف وإعجاب، إذ لا سبيل إلى استيعاب الأثر الأدبي إلا من داخله ومن حيث هو كل، وذلك ما يستوجب التعاطف مع الأثر وصاحبه"[2].

والتعاطف مع النص يسبق عملية النقد الأسلوبي، فهو لازم لاختيار العمل الأدبي موضوع الدراسة الأسلوبية، ولا تأثير له على العملية التحليلية، "لهذا يصرِّح بعض علماء الأسلوب أنّ الناقد الأسلوبي لا يمكن أن يدرس عملا لا يتذوقه، وإذا بدا أن هذه الخاصية للنقد الأسلوبي تضيِّق عمل الناقد فلا شك أنها تزيده عمقا وصدقا"[3].

وثمة علاقة بين الأسلوبية النفسية والاتجاه النفسي في النقد، فكلاهما يُخضِع النص لمعايير علم النفس ومقاييسه، وكلاهما يحاول الوقوف على الظروف النفسية والمراحل المبكرة لطفولة الكاتب ومدى تأثيرها في كتاباته، وقصور المنهجين يتمثل في أنهما قد يعتمدان على النص لتأكيد ما سبق استخلاصه من نتائج، فالنص- عند أصحاب الاتجاهين النفسيين- يقع في هامش اهتماماتهم وليس في بؤرتها.

والأسلوبية وإن كانت قد تفرعت من النقد الأدبي الذي هو أقدم منها في مجال دراسة الأدب، إلا أنها انسلخت عنه في النهاية واستقلت بذاتها.

ويرجع ظهور الأسلوبية - في رأي البعض- إلى "عدم وجود مدرسة نقدية عربية حديثة ترود القمم الباهرة التي لاحت آفاقها بفضل التطور الكبير الذي حدث في النظرية اللغوية المعاصرة، والذي فتح المجال أمام (الأسلوبية المعاصرة) وكثير من مدارس النقد الحديث التي أخذت في الظهور إتباعا"[4]، كما يرجع إلى ما تتسم به الأسلوبية من موضوعية في البحث، وعقلانية في المنهج تجنبان الناقد الأسلوبي مزالق كثيرة قد لا يستطيع أصحاب المذاهب النقدية المختلفة الانفلات منها.

وعلى الرغم من نقاط الالتقاء بين الأسلوبية والنقد الأدبي إلا أن التكامل بينهما " قد أعاقه تنافرٌ سببته الصورة البغيضة التي قدَّم بها عالم اللسانيات نفسه: ادعاء الدقة العلمية، هَوَسٌ باستعمال الكثير من

---

[1]– أحمد سليمان فتح الله، الأسلوبية، ص:36.

[2]– عبد البديع لطفي، التركيب اللغوي للأدب، بحث في فلسفة اللغة والاستيطيقا، مكتبة لبنان، ناشرون، ط1، 1997، ص:107.

[3]– أحمد سليمان فتح الله، الأسلوبية، ص ص:36، 37.

[4]– أحمد سليمان فتح الله، الأسلوبية، ص:37.

المصطلحات المركبة العويصة، تباهٍ بالتقنيات التحليلية، احتقار لكل ما هو ذاتي أو انطباعي أو ذهني، وباختصار لكل ما هو خارج اللغة"[1].

يرى فريق من النقاد أن الأسلوبية أضحت مغايرة للنقد الأدبي، ولكنها ليست هادمة له أو وريثة، وعلة ذلك أن اهتمامها لا يتجاوز لغة النص، فوجِهَتُها في - المقام الأول- وجهة لغوية، أما النقد، فاللغة -عنده- هي أحد العناصر المكونة للأثر الأدبي. معنى هذا أنّ "الأسلوبية قاصرة عن تخطي حواجز التحليل إلى تقييم الأثر الأدبي بالاحتكام إلى التاريخ، بينما رسالة النقد كامنة في إماطة اللثام عن رسالة الأدب، ففي النقد إذن بعض ما في الأسلوبية وزيادة، وفي الأسلوبية ما في النقد إلا بعضَه"[2].

أما الفريق الثاني وهو مخالف لسابقه فيذهب إلى أن النقد " قد استحال إلى نقد للأسلوب وصار فرعا من فروع علم الأسلوب، ومهمته أن يمد هذا العلم بتعريفات جديدة ومعايير جديدة"[3].

ويعني هذا الرأي أن النقد سيقصر بحثه على الجانب اللغوي للنص الأدبي، وسينصرف عما عداه من عوامل وظروف مختلفة تشكل جانبا مهما في العملية النقدية، مما يؤدي إلى محو النقد الأدبي وقيام الأسلوبية وحدها التي لا تستطيع أن تكون عِوَضا عن النقد الأدبي.

فالأسلوبية والنقد موجودان في خطين متوازيين لا يندمجان وإن كانا يتقاطعان في بعض النقاط، ووجود عناصر مشتركة بينهما واتفاقهما في سمات بعينها لا يعنيان نشوء التمازج الكامل، كما أنه ليس حتميا أن يكون بقاء أحدهما مرتبطا بزوال الآخر.

1-6- أهمية التحليل الأسلوبي في النقد الأدبي:

- تمدنا الأسلوبية بوسائل نقدية تُسهِم في إبراز أفكار الكاتب ورؤاه، وذلك من خلال دراستها لسياقات الألفاظ وما تنطوي عليه هذه السياقات من دلالات مختلفة، وكذلك من خلال دراسة جرس الألفاظ في النص الأبي.
- تُظهِر الأسلوبية المدلولات الجمالية في النص الأدبي من خلال الاهتمام بالعلاقة القائمة بين الصيغ التعبيرية، وعلاقة هذه الصيغ بالمرسل والمتلقي، وهذا يكون بالاعتماد على إحصاء الصيغ ومعانيها وألفاظها، وطريقة تركيبها، والوظيفة التي يؤديها كل تركيب.
- تعتمد الأسلوبية على بنية النص، ومكوناته، وتحليل تلك المكونات بطريقة دقيقة، ومن هنا فهي تزوِّد الناقد بمعايير موضوعية لا تعتمد على الذوق الذي يختلف من شخص إلى آخر.

ويتفق معظم النقاد على أن ثمة علاقة بين لغة الكاتب وشخصيته، وقد استنبطت الأسلوبية الحديثة عددا من المناهج الحديثة لفحص هذه العلاقة منها:[4]

- منهج الدائرة الفيلولوجية.
- المنهج الوصفي.

1- المرجع نفسه، ص:37.

2- المسدي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ص:115.

3- عبد البديع لطفي، التركيب اللغوي للأدب، ص:93.

4- أبو العدوس يوسف، البلاغة والأسلوبية- مقدمات عامة - الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1999، ص:186.

- الأسلوبية الوظيفية.
- المنهج الإحصائي.

ولكل منهج من هذه المناهج أسسه، وحسناته، وسيئاته، وأعلامه ...

ويمكن القول إنّ أي منهج من مناهج الدراسات الأسلوبية لا يكفي وحده لدراسة الأسلوب الدراسة النقدية الكاملة، وإنما يمتلك كل منها جزءا من الحقيقة، ويمكن الاستفادة منها أو من بعضها في دراسة النص الأدبي، فمثلا يمكن استخدام هذه المناهج في تحليل:[1]

الأصوات (الوقف، والوزن، والنبر والمقطع، والتنغيم والقافية...).

الألفاظ (الكلمة وتركيبها، والصيغ الاشتقاقية، والمصاحبات اللغوية، والمجاز...).

التراكيب (المبتدأ والخبر، والفعل والفاعل، والصفة والموصوف، والإضافة والروابط، والتقديم والتأخير، والعدد، والتذكير والتأنيث، والتعريف والتنكير، والمبني للمعلوم، والمبني للمجهول...).

7- علاقة الأسلوبية بالشعرية:

بعد إعادة توزيع موضوعات البحث الأسلوبي على الفروع العلمية المجاورة كاللسانيات والشعرية والنقد في مجالاته المعروفة، الانطباعي، والنفسي وغيرها يكون الإيذان بمعرفة نهاية الأسلوبية، إذ أنّ حدودها الخاصة ووجودها أساسا كان نقطة نزاع بين مؤيديها ومن خالفهم في إثبات هويتها وقد ساعد ظهور الشعرية أخيرا وتخلقها بخطابها النظري ومقتضياتها المنهجية أيضا في إنهاء المد النظري والتطبيقي للأسلوبية.

والشعرية هي "ذلك العلم الذي أخذ على عاتقه صراحة دراسة ما يبني الأدب في خصوصيته"[2]، ولا تنفصل عن الأسلوبية في مشاركتها التقدير نفسه وهو أنّ الأدب موضوع لغوي بالأساس لذا تتعين دراسته انطلاقا من هذا المفهوم. لكن الأسلوبية تكون أوثق صلة بالنقد في معناه المتداول من الشعرية، ويتمثل كل منهما خطابا منتجا على الخطاب الأدبي.

بيد أن التحول الذي تمثله الشعرية في حقل الدراسات الأدبية هو أنها اتخذت موضوعها من داخل بنية الأدب نفسه، فليس موضوعها العمل الأدبي ولا الأدب بصفته مجموعة أعمال، وإنما هو (أدبية) الأدب أي الخاصية المجردة التي تجعل من عمل ما عملا أدبيا.

وهكذا تأخذ على عاتقها تحقيق الهدف الذي أخطأته الأسلوبية بمناسبة تَحَوُّلها من دراسة اللغة إلى دراسة الأدب، إذ أصبح العمل الأدبي موضوعا خاصا بها، فعملها يقوم على الإجابة عن السؤال: ما الذي يجعل من الاتصال اللغوي الذي يحتويه النص عملا فنيا ؟ .

وهذا يشمل الأسلوبية بوجه من الوجوه، وهو العنصر النوعي نفسه في البلاغة.

8- علاقة الأسلوبية باللسانيات:

كان من بين أهم الثنائيات التي فتح بها سوسير Saussure عهدا جديدا في اللسانيات هي ثنائية اللغة Langue والكلام Parole ، فاللغة تعني- حسب سوسير Saussure -"الذخيرة الذهنية المعطَّلة في الجزء الأسفل

---

[1]- المرجع نفسه، ص:186.

[2]- بدري الحربي فرحان، الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص:28.

من النصف الأيسر من الدماغ، أو أنها النظام النحوي أو مجموعة من القواعد التي يتشكل الكلام بموجبها"[1]، هي- إذن - مجموعة الوحدات اللغوية والبنى النحوية وجملة القواعد اللغوية ووظائفها. أما الكلام فهو الجزء المنفّذ من تلك الذخيرة (اللغة)، فهو القول الذي يتم بموجب الاختيار من الذخيرة الذهنية وعلى وفق القواعد التي يختزنها الذهن.

فالأسلوبية" ليست فرعا من فروع المعرفة بذاتها، بل هي أشبه بمعبر يوصل بين علم اللسانيات الذي يَعتبر النصوص الأدبية مجرد مادة مستقلة تثير الاهتمام في الدراسة المتعمقة للغة وبين النقد الأدبي"[2]، وهي تفتح منافذ وأبوابا على مشارف المناهج النقدية الأخرى، وتسلح الباحث بأدوات منهجية يتجدد بها المستوى النقدي والبلاغي واللغوي دون تمييز ولا تسلط، فيمكن لنا أن نعتبرها مدرسة أدبية تغترف من مَعِين الأدب والبلاغة واللسانيات.

وإذا أردنا أنْ نُحَدِّد صلة الأسلوبية باللسانيات فبإمكاننا أن نقول إنها صلة الكل بالجزء، وأنّ "للسانيات سلطانا على الأسلوبية تراه يُبوِّئ الأسلوبية طاقة تجرّ بها اللسانيات نحو ممارسات متجدِّدة"[3].

ارتبطت نشأة الأسلوبية تاريخيا بنشأة علم اللغة الحديث، وبرزت في بحر هذا الزخم اللغوي اللساني على يد شارل بالي Ch. Bally - أحد تلامذة دي سوسير De Saussure المتميزين- من خلال كتابه " Traité de stylistique française"، الذي يعدُّ أول مؤلَّف تعرّض للأسلوب بمفهومه الحداثي، "والأسلوبية في كل هذا ليست إلا جزءا جديدا من اللسانيات، وإنّ وجها خاصا من أوجه التعبير يثير اهتمام كل العناصر اللغوية"[4].

كما تُعتبر الأسلوبية من أتراب اللسانيات من حيث المولد والنشأة،" وأول ما نقرره في هذا المقام هو أن لسانيات سوسير Saussure - بما قامت عليه من تقديرات مستجدة، غريبة الشأن في عصره- قد كان لها مولودان، أولهما آني تلقائي تمثَّل في بروز الأسلوبية على يد تلميذه باليBally ، وهي أسلوبية تتحدد بصاحبها لما فيها من خصوصيات..."[5]، فالأسلوبية إذن علاقتها باللسانيات كعلاقتها بالبلاغة أو أقوى قليلا.

ولقد عَدّ "ستيفن أولمان S. Ulmann الأسلوبية موازية للسانيات، وليست فرعا منها، تعالج القضايا نفسها التي في علم اللغة ولكن من زوايا مختلفة"[6]، ويرى باحث آخر أنّ الأسلوبية لم تنضج بعد لترتقي إلى درجة العلم المستقل، بل ما زالت تحتل المركز الوسط بين اللسانيات وعلم الأدب، وبهذا استطاعت أن تواجه المناهج النقدية الأخرى، لتخوض أعماق وحواشي النص الأدبي، "فاتصال علم الأسلوب بالأدب وبالعلوم الفلسفية والاجتماعية والتاريخية يعتبر استكمالا له وينبغي أن يكون"[7].

---

[1]- ناظم حسن، البنى الأسلوبية، ص:37.

[2]- جيفورد هنري، النقد الأحدث من الحديث، الأسلوبية والبنيوية- تر: عاصي موسى، مجلة الآداب الأجنبية- ع121- شتاء 2005.

[3]- المسدي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ص:41.

[4]- غيرو بيير، الأسلوبية، ص:39.

[5]- المسدي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ص:42.

[6]- فضل صلاح، علم الأسلوب، ص:115.

[7]- فضل صلاح، علم الأسلوب، ص:115.

وهذه العوامل كلها تحيط بالإنسان وتلم به، وهي تَوَاصل وترَابطُ اللغة والأدب والحياة، فالأسلوب هو الإنسان نفسه على حد تعبير(ج. بيفون G. Buffon)، "فالبحث الأسلوبي- مثله في ذلك مثل البحث اللغوي التطبيقي- يستمد بعض مقولاته من العلاقة بين اللغة والأدب من جانب، واللغة والحياة من جانب آخر"[1]، والأسلوبية إنما تدخل النص لقراءته وتحليله وإبراز مكامن الجمال فيه بعيدا عن الأحكام المسبقة والتسلط.

"والبحث الأسلوبي يقع بين علمي اللغة النظري والتطبيقي، وينتمي إليهما بالتساوي، وأنه يمثِّل الحلقة الوسطى في ثالوث متكامل يبدأ بالنظرية الفلسفية العامة ويُثَنَى بالبحث المنهجي الإجرائي، ثم ينتهي إلى الممارسات التطبيقية العملية مع نصوص محددة"[2]، وتشتغل الأسلوبية مستعينة باللسانيات في رحاب النص ومبدعه، وهمها كذلك أنها "تدخل في صميم المتلقي لتؤثر فيه وتعمل فيه فكرا وفنا وجمالا من استثمارها اللسانيات الحديثة وتكنولوجيتها"[3]، والعلاقة وطيدة متماسكة بين هذا الثالوث؛ (المبدع، النص، المتلقي) الذي يشكل خصوصيات الفرد ومكوناته النفسية، والاجتماعية، والثقافية والبيئية.

وتعتبر الأسلوبية اِمتدادا للسانيات، وإحياء للبلاغة القديمة، والكل رابط يربط هذه العلوم بالنقد الأدبي، مع ضرورة إبراز المجالات الفاصلة والحدود التي تفصل بين هذه العلوم عن بعضها ليبقى كل علم في خصوصياته، ومجالاته على الرغم من التكامل والتقاطع الضروريين للربط بين البلاغة والأسلوبية واللسانيات.

"وبما أنّ الأسلوبية ترتبط باللسانيات ارتباطا وثيقا، فإنها لا تتميز بمناهج تخصّها، فالحديث عن المناهج الأسلوبية هو في الوقت نفسه حديث عن المناهج اللسانية مع بعض الحصر في مجال الأسلوبية، وقد ظلت الأسلوبية مرتبطة بمفاهيم الذوق والجودة زمنا طويلا؛ حيث كانت تدرج في ميدان البلاغة العامة ولم تنفصل عنها إلا بعد أن اكتملت اللسانيات كمنهج واضح"[4]، بل إن دائرة نفوذها قد اتسعت فوجدت في العِلمين- البلاغة واللسانيات - مجالا تخوض من خلاله أعماق النص الأدبي، وأنها تعطي أهمية كبرى بل أساسية للجوانب الاجتماعية والنفسية للشركاء الأساسيين في صناعة الإبداع الأدبي؛ المؤلّف/النص/المتلقي.

فالأسلوبية - إذن - لها مجالات مختلفة وعلاقات متنوعة، "فمن الممكن أن نعدّ الأسلوبية فرعا ثانويا للسانيات يدرس خصوصيات النصوص الأدبية ومميزاتها، ويمكن أن نجعل من الأسلوبية فرعا خاصا من الدراسة الأدبية التي تعتمد من حين لآخر على المناهج اللسانية، ويمكن أيضا أن نعد الأسلوبية فرعا ينتقي مناهجه بكل حرية من اللسانيات والدراسة الأدبية"[5].

- يُدرَس علم اللغة على أنه نظام مجرد، أما علماء الأسلوب فيدرسون الكلام على أنه تنوعات في إطار النظام اللغوي.

- ويُدرس على أنه نظام منفرد، أما الأسلوبية فتدرس الكلام باعتباره مجموعات متنوعة في إطار النظام اللغوي.

---

[1]– المرجع نفسه، ص:115.

[2]– المرجع نفسه، ص:115.

[3]– الوعر مازن، الاتجاهات اللسانية ودورها في الدراسات الأسلوبية، مجلة عالم الفكر، ص:138.

[4]– السد نور الدين، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1، ص:22.

[5]– إنكفست نيلس إيريك، الأسلوبية اللسانية، ترجمة: مومن أحمد، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة، (د ط)، 2001، ص:21.

- يهتم علماء اللغة بإبراز قدرة اللغة على التعبير، أما الأسلوبية فتهتم بالأداء إلى التخصيص.

المصادر والمراجع:

- ابن منظور، لسان العرب، المجلد1، المجلد17، دار صادر ، بيروت، ط1، 1990.
- أبو العدوس يوسف، الأسلوبية- الرؤية والتطبيق- دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، 2007.
- أبو العدوس يوسف، البلاغة والأسلوبية- مقدمات عامة - الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1999.
- أحمد سليمان فتح الله، الأسلوبية- مدخل نظري ودراسة تطبيقية - دار الآفاق العربية، ط1، 2008.
- إنكفست نيلس إيريك، الأسلوبية اللسانية، ترجمة: مومن أحمد، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة، (د ط)، 2001.
- بدري الحربي فرحان، الأسلوبية في النقد العربي الحديث- دراسة في تحليل الخطاب- المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 2003.
- بن ذريل عدنان، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، دمشق، اتحاد الكتاب العرب،(د ط)، 2000.
- الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق هارون عبد السلام، مؤسسة الخانجي، مطبعة السعادة، القاهرة، ط3، (د ت).، ج1.
- جاكبسون رومان، قضايا الشعرية، ترجمة: الولي محمد وحنون مبارك، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1988.
- جيفورد هنري، النقد الأحدث من الحديث، الأسلوبية والبنيوية- تر: عاصي موسى، مجلة الآداب الأجنبية- ع121- شتاء 2005.
- السد نور الدين، الأسلوبية وتحليل الخطاب- دراسة في النقد العربي" الأسلوبية والأسلوب- دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د ط)، (د ت)،ج1.
- ضيف شوقي، في النقد الأدبي، دار المعارف، ط6، 1981.
- عبد البديع لطفي، التركيب اللغوي للأدب، بحث في فلسفة اللغة والاستيطيقا، مكتبة لبنان، ناشرون، ط1، 1997.
- غيرو بيير، الأسلوبية، ترجمة: عياشي منذر، مركز الإنماء الحضاري، سوريا، ط2، (د ت).
- فضل صلاح، علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته- منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت، ط1، 1985.
- القزويني الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، وضع حواشيه: شمس الدين إبراهيم، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

- الكواز محمد كريم، البلاغة والنقد "المصطلح و النشأة و التجديد"، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2006.
- المسدي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط5، 2006.
- ناظم حسن، البنى الأسلوبية- دراسة في "أنشودة المطر" للسياب، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2002.
- ناظم حسن، مفاهيم الشعرية (دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم)، المركز الثقافي العربي، ط1، 1994.

دور معدل الفائدة كمعلومة استراتيجية

في نشوء أزمة الرهن العقاري

أ.عفيف هناء
جامعة عنابة

ملخص:

لقد كان للأزمة المالية العالمية لـ2008 انعكاسات على اقتصاديات الدول العالمية، هذه الأزمة يرجع سببها الرئيسي في انفجار أزمة Subprime. توصلت هذه الدراسة إلى وجود علاقة ذات دلالة احصائية بين معدل الفائدة TDIR كمتغير مستقل ومعدل العجز عن السداد TDEF كمتغير تابع(مؤشر الأزمة). هذه النتيجة تم اختبارها وفق منهجية غرانجر للسببية. وقد تبين أن معدل الفائدة يفسر وفق منهجية غرانجر العجز عن سداد القروض Subprime الذي أدى إلى نشوء أزمة الرهن العقاري.

الكلمات المفتاحية: معدل الفائدة، معدل العجز عن السداد للقروض العالية المخاطر، أزمة الرهن العقاري، منهجية غرانجر للسببية.

Abstract :

The global financial crisis of 2008 brought about various implications on the countries forming the world economy. This crisis was mainly due to the explosion of the so-called Subprime crisis. This study found a statistically significant relationship between interest rate (TDIR) as an independent variable and the rate of defaults (TDEF) as the dependent variable (the crisis indicator). This result has been conducted according to Granger causality test methodology . It was found the interest rate of the FED, according to Granger, explains the default Subprime loans, which led to the mortgage crisis.

Key words: interest rate, the default high-risk loan rate, the mortgage crisis, the methodology of Granger causality.

مقدمة:

لقد كان للأزمات المالية منذ نشوئها آثار وانعكاسات سلبية على اقتصاديات الدول المتقدمة والنامية، إذ أنها غالبا ما تسببت في انهيار الأسواق المالية، إفلاس العديد من المصارف والمؤسسات وتدهور العملات، وبمعنى أحر أنها تتسبب في حوادث متكررة و إلى عوامل سلوكية وتنظيمية منحرفة، والتي تترجم بانقطاع الصلة ما بين العوامل والنقص في استخدام المعلومات، ومن خلال ضعف في دورة المعلومات وفي إمكانيات التحليل، حيث تظهر لنا الأزمات المتكررة عدم الاستخدام الأمثل للمعلومات المتوفرة أو عدم الانتباه إلى المعلومات التي من شأنها أن تتسبب في حدوث أزمة قادمة.

لقد فقد النظام الرأسمالي خلال السنوات الأخيرة مصداقيته إثر الأزمات المالية المستمرة، وتبين ضعفه أكثر إثر أزمة الرهن العقاري في 2007 والتي كانت نقطة تحول هذه الأزمة إلى أزمة عالمية ، إذ تعد هذه

الأزمة من أسوأ الأزمات التي تمر بالعالم منذ أكثر من عدة عقود حيث أنها وصفت بأزمة الأزمات، ونظرا لما خلفته هذه الأزمة من انهيارات في مختلف الاقتصاديات المتطورة والنامية كل بدرجات متفاوتة، استلزم الأمر ضرورة البحث عن أهم المسببات في حدوثها.

مشكلة الدراسة:

تعد الأزمة المالية العالمية 2007-2008 من أسوأ الأزمات، هذه الأزمة بدأت بأزمة الرهن العقاري الأمريكي أو بأزمة Subprimes ، وسرعان ما امتدت لتتحول إلى أزمة مالية عالمية، أفرزت اضطرابات واختلالات اقترنت بإفلاس وانهيار العديد من المؤسسات المالية لتمس الأسواق المالية العالمية جاعلة الاقتصاد العالمي كله يدخل في ركود اقتصادي كبير.

ترجع أسباب أزمة الرهن العقاري إلى تخفيض في معدلات الفائدة المطبق من طرف البنك المركزي والذي أدى إلى التوسيع في منح القروض العالية المخاطر "Subprime"، التي قدمت لأسر ذات جدارة ائتمانية محدودة ساهم في تضخم الفقاعة العقارية عندما بدأت العقارات تنخفض في الولايات الأمريكية، وازدياد عدم قدرة المقترضين للقروض العقارية على تسديد ديونهم، ومنه انهيار هذه المنتجات مساهمة بذلك في انفجار الفقاعة واندلاع أزمة الرهن العقاري التي كان منطلق الأزمة المالية العالمية.

وعلى ضوء ذلك يمكننا إبراز **إشكالية** هذه الدراسة من خلال طرح التساؤل الرئيسي: **ما مدى دور معدل الفائدة كمعلومة حاسمة مفسرة لمعدل العجز عن سداد القروض عالية المخاطر كمؤشر لأزمة الرهن العقاري؟**

ويندرج من هذا التساؤل الرئيسي مجموعة من الأسئلة الفرعية كما يلي:

- هل معدل الفائدة للبنك الفيدرالي الامريكي يفسر وفق منهجية غرانجر معدل العجز عن سداد القروض؟
- هل معدل العجز عن سداد القروض Subprime لا يفسر وفق منهجية غرانجر معدل الفائدة للبنك الفيدرالي الامريكي؟

فرضيات الدراسة:

وللإجابة على الاشكالية والأسئلة الفرعية طرحنا الفرضيات التالية:

-هناك علاقة ذات دلالة احصائية تربط بين معدل الفائدة للبنك الفيدرالي الامريكي(كمؤشر للمعلومة الحاسمة) ومعدل العجز عن سداد قروض Subprime (كمؤشر لأزمة الرهن العقاري).

- إن معدل الفائدة للبنك الفيدرالي الامريكي يفسر وفق منهجية غرانجر معدل العجز عن سداد قروض Subprime.

- إن معدل العجز عن السداد قروض Subprime لا يفسر وفق منهجية غرانجر معدل الفائدة للبنك الفيدرالي الامريكي.

أهمية الدراسة:

لقد شهد العالم وبصورة أساسية الاقتصاد الرأسمالي العديد من الأزمات المالية والاقتصادية منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وخاصة بداية الألفية الثالثة، فبالرغم من ازدياد أهمية

الأسواق المالية خلال المرحلة الأخيرة في تمويل مختلف أوجه التنمية الاقتصادية بفعل العولمة المالية، زيادة التحرير المالي، الانفتاح الاقتصادي وارتفاع حجم التجارة الدولية، ارتفاع التعامل بالمشتقات المالية، إلا أن أزمة الرهن العقاري لعام 2007 وتحولها إلى أزمة عالمية اثرت بشكل سلبي على جميع البلدان بدراجات مختلفة، غيرت هذه المفاهيم، وكشفت ضعف أداء الأسواق المالية، سلبيات التعامل بهذه الأدوات الجديدة وخاصة غموض التعامل بالمعلومات المالية والتجارية وافتقارها للدقة، والمتمثلة بالتحديد في تقلبات أسعار الفائدة وما أنجم معه من انعكاسات على مستوى النظام المصرفي والسوق العقاري، كل ذلك أدى بنا عن البحث عن تحليل هذه الأزمة وتحديد أهم المسببات لها.

أهداف الدراسة:

ويمكننا أن نقدم الأهداف المرجوة من هذه الدراسة فيما يأتي:

- إظهار النظريات والمصادر المفسرة للأزمات المالية.
- توضيح دور معدل الفائدة المطبق من طرف البنك الفيدرالي الأمريكي في نشوء أزمة الرهن العقاري.
- تحليل العلاقة إحصائيا ما بين معدل الفائدة ومعدل العجز عن السداد للقروض العالية المخاطر.
- تحليل سكون السلاسل الزمنية الخاصة بمتغيرات الدراسة، ثم بناء نموذج الانحدار الذاتي، وأخيرا اختبار السببية وفق منهجية غرانجر.

الدراسات السابقة :

ويتم تقسيمها على النحو التالي:

الدراسات العربية:

دراسة **نبال قصبة** (2010) بعنوان : أسباب الأزمة المالية والحلول المقترحة، وتوصلت إلى نتيجة أن هذه الأزمة ترجع إلى أسباب تقليدية والمتمثلة خاصة في الإفراط في حجم الإقراض العقاري، حزم وتداول السندات، نزع الملكية العقارية، نقص الشفافية والرقابة عند إصدار وتصنيف وتداول سندات الرهن العقاري، صعوبة فهم الأدوات المالية، تشجيع الحكومة الأمريكية سياسة التراخي في شروط منح القروض، وأنه من بين الحلول التي توصلت إليها لهذه الزمة هو منع تداول سندات الرهن العقاري، والتخلي عن الربا في جميع المعاملات المالية .

دراسة **إيمان محمود عبد اللطيف** (2011)، بعنوان: الأزمة الاقتصادية والمالية العالمية والاستراتيجيات اللازمة لمواجهتها، وهدفت هذه الدراسة إلى تشخيص أساسيات الأزمة المالية العالمية التي مرت بها اقتصاديات العالم عام 2008 وتحديد أهم المتغيرات الاقتصادية والمالية التي أفضت إلى ظهورها، وتحديد انعكاساتها السلبية على اقتصاديات دول العالم بما فيها اقتصاديات الدول العربية، وتوصلت إلى أن الآثار السلبية للأزمة الاقتصادية العالمية على قطاع الصادرات السلعية ، حيث في ظل الركود الاقتصادي العالمي الذي رافق الأزمة انخفضت الصادرات العربية التي كانت تتجه إلى أمريكا والدول الأوربية وتأثر قطاع الاستثمارات العربية في الخارج، وأول تداعيات الأزمة على اقتصاديات مجلس التعاون الخليجي انعكست على قطاع النفط الذي تراجع بشكل كبير.

دراسة **علي الزيادات وفارس الخرباشة** (2013) بعنوان: أثر الأزمة المالية على الأسواق المالية العالمية "حالة تطبيقية على سوق الأوراق المالية الأردني"، هدفت هذه الدراسة إلى الاطلاع على حيثيات الأزمة المالية العالمية وأثرها على سوق الأوراق المالية الأردني، ومن أهم النتائج التي توصل إليها الدراسة هو أن الأزمة المالية العالمية أثرت على سوق الأوراق المالية الأردني بجميع قطاعاته، والسبب الحقيقي وراء هذه الأزمة يتمثل في كل من: الأزمة الأخلاقية وسوء الرقابة والتفرد السياسي والاقتصادي من قبل قطب وحيد(الولايات المتحدة الأمريكية).

الدراسات الأجنبية:

دراسة **Denis Lescop (2007)**، والذي قام بدراسة دورية الأزمات المالية وعوامل انتشارها وذلك بالتطرق إلى أزمة 1997، وأزمة 2007، تكلفتها وتحديد أهم مسبباتها، وتوصل إلى نتيجة أن أزمة الرهن ترجع إلى اختلالات على مستوى الاقتصاد الجزئي عامة، وخاصة إلى عمليات التوريق المطبقة والغير مراقبة.

دراسة **Robert Brenner (2009)**، الذي توصل إلى إن الأزمة المالية العالمية لعام 2008 تعد من أهم الأزمات منذ أزمة الكساد الأعظم، وتوصل إلى أن هذه الأزمة تعود أعراضها في الواقع إلى مشاكل غير محلولة على مستوى الاقتصاد الحقيقي، وكانت مخبأه لعدة قرون عبر الديون، وترجع إلى أزمة مالية عميقة لفترة ما بعد الحرب.

دراسة **Jean-Paul Betbèze et autre (2011)**، حيث هدفت الدراسة إلى تحديد العلاقة بين البنوك المركزية والأزمة المالية، وأن تدخل البنوك المركزية بإنقاذ المصارف والمؤسسات وتوفير السيولة وامتصاص القروض المتعثرة ساهم في تجنب انكماش عالمي.

اولا- الأزمات المالية

تعبر الأزمة المالية على انهيار النظام المالي برمته مصحوبا بفشل عدد كبير من المؤسسات المالية وغير المالية مع انكماش حاد في النشاط الاقتصادي الكلي.(السيد البدوي عبد الحافظ، 1999، ص39).

وينظر للأزمة أيضا على أنها انقطاع الثقة في الأسواق المالية، حيث أن الأعوان الاقتصادية المتضررة بالأزمة غالبا ما تكون قريبة من حالة عدم القدرة على الدفع. وبالفعل، يمكن أن تعني انخفاض في قيمة الأصول التي تحتفظ بها الأعوان الاقتصادية: انخفاض في المنح، انخفاض في قيمة السندات، بما في ذلك حدوث انخفاض في ثروات الأسر. كما تعرف الأزمة المالية بأنها مرحلة حرجة تواجه المنظومة المالية، وينتج عنها خلل أو توقف في بعض الوظائف الحيوية لهذه المنظومة أو كلها، ويصاحبها تطور سريع في الأحداث ، ينجم عنه عدم استقرار في النظام الأساسي لهذه المنظومة، ويدفع سلطة اتخاذ القرار فيها إلى ضرورة التدخل السريع لنجدتها، وإعادة التوازن لهذا النظام.(النجار إبراهيم عبد العزيز، 2009، ص18).

يمكن تفسير الأزمات بناء على عدة عوامل ، حيث تكمن مصادر الأزمات في العوامل التي تخلق الظروف أو البيئة المواتية لوقوع الأزمات، وقد تحدث الأزمات لأسباب عديدة يمكن التنبؤ ببعضها، والبعض الآخر يصعب قياسه بدقة، ويمكن تفسير الأزمات حسب النظريات المفسرة لها، أو حسب مصادرها كما يلي:

1-1 **النظريات الحديثة لتفسير الأزمات:**

يوجد عدة نظريات فسرت الأزمات المالية والتي نذكر من بينها:

-**نظرية مينسكاي Minisky** :

بالنسبة لمينسكاي فإن ظهور الأزمات يرجع في الأساس إلى ارتفاع في معدلات الفائدة، وتقوم نظريته على فرضية عدم الاستقرار المالي، وتستند هذه الفرضية على فكرة وجود تذبذبات وتقلبات اقتصادية كلية والتي تتناقض بشكل أساسي مع رؤية أن الاقتصاد متناغم، يتميز بالتنظيم الذاتي وامكانية تحقيق التوازن باستمرار.(Hyman P. MINSKY, 2013) .

يرى مينسكاي أن القطاع المالي في الاقتصاد الرأسمالي عامة يتسم بالهشاشة، وتختلف درجة هشاشة القطاع المالي باختلاف المرحلة التي يمر بها الاقتصاد من مراحل الدورات الاقتصادية، ومن ثم تزيد خطورة حدوث أزمة في ذلك القطاع على الاقتصاد ككل .

وتدور نظرية مينسكاي في تفسير الأزمات المالية في النظام الرأسمالي في أن أي اقتصاد يمر بالمراحل المعروفة للدورة الاقتصادية، فبعد مرور الاقتصاد بمرحلة كساد تفضل الشركات تمويل أنشطتها بحرص وعدم تحمل مخاطر كبيرة في تعاملها مع القطاع المالي وهو ما يسمى بالتمويل المتحوط .وفي مرحلة النمو تبدأ التوقعات المتفائلة تكمن في توقع الشركات ارتفاع الأرباح، ومن ثم تبدأ في الحصول على التمويل والتوسع في الاقتراض، بافتراض القدرة المستقبلية على سداد القروض، وتنتقل عدوى التفاؤل بدورها إلى القطاع المالي، ويبدأ المقرضون في التوسع في اقراض الشركات دون تحوط كاف ودون التحقق من قابلية استرداد القروض مجددا(مثل ما حدث في أزمة 2007 والتي سنتناولها لاحقا)، ولكن بناء على قدرة تلك الشركات على الحصول على تمويل مستقبلي نظرا لأرباحهم المتوقعة في ذلك الوقت، يكون الاقتصاد قد تحمل مخاطر بشكل معنوي في نظام الائتمان، وفي حال حدوث مشكلة مادية أو أزمة مالية لكيان اقتصادي كبير ينتشر الاحساس بالخطر، الأمر الذي يؤثر بدوره على قدرة معظم الكيانات الاقتصادية على سداد التزاماتها وتنطلق الأزمة المالية.(المكاوي محمد محمود، 2012، ص67).

-**نظرية المباريات**:

من التفسيرات الحديثة للأزمات المالية، ما طرحته نظرية المباريات تحت ما يعرف بمباريات التنسيق بين اللاعبين في الأسواق المالية، إذ أكدت أدوات التحليل الاقتصادي وجود علاقة موجبة بين القرارات التي يتخذها لاعبو الحلبة الاقتصادية(المضاربون، المستثمرون...)، فقد يكون قرار المستثمر في كثير من الأحيان باتخاذ الاتجاه الذى يتوقع هذا المستثمر الآخرين أن يتخذوه. بمعنى آخر، قد يكون قرار شراء أصل ما، بناءً على التوقع بأن قيمة ذلك الأصل ستزداد، وأن له القدرة على توليد دخل مرتفع. بينما في أحيان أخرى قد يتخذ المستثمر القرار ذاته نظراً لتوقعه قيام المستثمرين الآخرين بأخذ ذات القرار، حينئذ، تبدو الصورة مختلفة

.كما أكدت بعض النماذج الرياضية التي استخدمت لحليل أزمات العملة، مثل نموذج Paul Krugman، لهجمات المضاربة، حيث أن مثلا نظام سعر الصرف الثابت قد يحتفظ باستقراره لفترة طويلة، ولكن قد يحدث له انهيار سريع بمجرد وجود عوامل قد تتسبب في توقع الأخرون بانخفاض سعر الصرف، ومن هنا يبدأ السعر في الانخفاض وربما الانهيار فعليا.(علوان فؤاد، 2012، ص39).

2-1 مصادر الأزمات:

كما يمكن تفسير الأزمات بناءا على عوامل أخرى، حيث تكمن مصادر الأزمات في العوامل التي تخلق الظروف أو البيئة المواتية لوقوع الأزمات، والتي يمكن أن تشمل العوامل التالية:

*** عدم استقرار السياسات الاقتصادية الكلية :**

كان لهذا العامل دورا كبيرا في اندلاع كثير من الأزمات المالية، ففي كثير من الحالات تؤدي السياسات النقدية والمالية التوسعية إلى انتعاش النشاط الإقراضي بشكل خطير وإلى تراكم شديد للديون وإلى الاستثمار المفرط في مجال العقارات، دافعة بذلك أسعار الأسهم والعقارات إلى الارتفاع الشديد، ومن ناحية أخرى فإن السياسات النقدية والمالية المقيدة التي تستهدف احتواء مخاطر التضخم واختلال الموازين الخارجية وتصحيح أسعار الأصول، قد تؤدي إلى تباطؤ النشاط الاقتصادي وإلى صعوبة خدمة الديون وإلى انخفاض قيمة الضمانات وإلى تزايد نسبة الديون المعدومة التي تهدد البنوك بالإفلاس.

لقد كانت العوامل الاقتصادية الكلية وبصفة خاصة انتعاش النشاط الإقراضي وراء ضعف القطاع المالي في كثير من بلدان أمريكا الجنوبية وغيرها من الأسواق (الشحات أحمد يوسف، 2001، ص ص 20-21).

*** الفجوات في المعلومات والمهارات:**

بالنسبة للبعض، تقلبات الأسواق والأزمات التي تليها، يجب أن تجد تفسيرا لهم إما في تواجد خطأ في المعلومات (أي أنها ليست شاملة بما فيه الكفاية وليست شفافة)، أو فيتواجد خطأ في المهارات (عدم وجود اختصاصيين)، ولكن ليس في طبيعة النموذج(Olivier Lacoste, 2009, pp62-66):

-معلومات غير كاملة:

إن هذا الانتقاد موجه بشكل كبير من طرف المستثمرين المتضررين، وهذه المعلومات الغير الكاملة يمكن أن تكون ذات طبيعة كلية أو جزئية أي على مستوى الاقتصاد الكلي أو الاقتصاد الجزئي، وتتمثل في :

-إحصاءات الاقتصاد الكلي:

على المستوى الاقتصاد الكلي، من المعتاد أن نشير مباشرة إلى غموض البلدان التي تم الخسارة فيها إلى الأموال، فعلى سبيل المثال، اعتبر البعض أن أزمة 1997 اندلعت بسبب أن إحصائيات البلدان الآسيوية كانت تفتقر إلى الشفافية وإلى الموثوقية. وكذلك بالنسبة إلى أزمة روسيا 1998، التي أرجعت أسبابها إلى نقص المعلومات، حيث في هذه الحالة، فإنه من الصعب القول أن الأسواق اتخذت مخاطر كبيرة، وإنما يرجع السبب في أنها لم تصل إليها المعلومات بشكل صحيح.

إن الدولة العاجزة على الوفاء بديونها التي وصلت إلى تاريخ الاستحقاق، والتي تتدين مرة أخرى على المدى القصير وبأسعار متصاعدة، من المفروض أن تثير شكوكهم، إلا أن روسيا كانت مقتنعة بأن صندوق النقد الدولي سيكون بمثابة تأمين لاستثماراتها، وتوفير الدعم المالي لها.

- حسابات الشركات:

على مستوى الاقتصاد الجزئي، نجد أن المعلومات تكون غير كافية أو مضللة في بعض الأحيان التي تقدمها محاسبة الشركات، بالإضافة إلى فقدان السيطرة من قبل قادة الشركات وانعدام المراقبة الكافية، والممارسات الخادعة حيث أن القوائم المالية لهذه الشركات كانت لا تعبر عن الواقع الفعلي لها وذلك بالتواطؤ

مع أكبر الشركات العالمية الخاصة بالمراجعة والمحاسبة (شركة واست كوم وورلد كوم للاتصالات، وشركة أنرون للطاقة). كما نجد أيضا، ضعف النظم المحاسبية والإفصاح والأطر القانونية، فإذا كان الهيكل المؤسسي الذي تعمل في إطاره البنوك هشا وضعيفا فإن أداء البنوك سيتأثر بشكل سلبي، إذ يجد معظم المحللين أن النظم المحاسبية والإفصاح وكذلك الإطار التشريعي المتبع يعد من معوقات فعالية جهاز السوق وممارسة الإشراف الفعال على البنوك، مما يصعب من عملية مراقبة البنوك لعدم توفر معلومات تتسم بالدقة والموضوعية والشمول حول المقدرة الائتمانية للعملاء والمقترضين، كما أن بطء الإجراءات وطولها وتعقيدها لمطالبة البنوك بحقوقها اتجاه المقترضين يزيد من قيمة خسائر البنوك ومن تكاليف الإقراض.

- **غياب المعلومات المتعلقة ببعض الجهات الفاعلة:**

إن إمكانية حدوث في ميدان إحصائيات الاقتصاد الكلي، تواجد معلومة ناقصة أو مبالغ فيها ، حيث نجد أن صناديق التحوط غير مجبرة على احترام الالتزام بالمعلومة وغير خاضعة للرقابة التحوطية.

- **مهارات طغت عليها التعقيدات:**

إن تعقيد المنتجات والتركيبات المالية في بعض الأحيان تصبح من الصعب على الفاعلين التعرف عليها، حيث أنها تضفي غشاوة على كل عامل في نهاية السلسلة المالية: المقترضين والمقرضين. كذلك فإن الأسر الحريصة على استثمار مدخراتها في أصول مالية خالية من المخاطر في حين أنها عوضا عن ذلك قامت بشراء منتجات ذات مخاطر عالية ناتجة عن التوريق.

كما أنه نتيجة الابتكارات الجديدة والحديثة أصبح من الصعب حتى على منتجها وعلى السلطات المسؤولة من تنظيمها وفهمها بشكل كامل، وأنها تحتاج إلى وقت طويل لإمكانية السيطرة عليها. إذ يرى البعض أن أي ابتكار كبير يحفز استراتيجيات جديدة من شأنه أن يؤدي إلى هشاشة مالية مستدعيا نوعا من التنظيم مما يؤدي إلى تداولات على شكل"ابتكار-أزمة-تعلم."(Olivier Lacoste, Op Cit).

- **عدم تماثل المعلومات :**

إن أحد العوامل الأساسية التي تؤدي إلى عدم الاستقرار المالي والإسهام في حدوث أزمات مالية ومصرفية هي مشكلة عدم تماثل المعلومات، ويرجع التباين في المعلومات إلى انعدام التوازن في توزيع المعلومات، كما أنها تعبر عن موقف يكون أحد الأطراف المتعاملين في النواحي المالية لديه معلومات أكثر من الآخرين، مما يترتب عن ذلك أن الطرف الآخر لن يستطيع تقييم المخاطر بشكل سليم وينتج عنه اتخاذ قرارات خاطئة، كما يترتب عليه تزايد المخاطر المعنوية (**Moral Hazard**)، فمثلا مقترض يحصل على قرض عادة لديه معلومات عن العوائد المحتملة والخطر الذي يرافق المشروعات الاستثمارية التي اقترض المبلغ من أجلها أكثر مما تعرفه الجهة المانحة للقرض، إن نقص المعلومات يخلق مشكلات في النظام النقدي ومنها الخطورة الأخلاقية أو المعنوية وهذا ينتج بسبب المعلومات غير المتكافئة.(القريشي محمد صالح تركي ، 2008، ص305).

في نفس الوقت تنشأ ظاهرة ما يسمى بالمستفيد المجاني **Free Rider** حيث لا يستطيع من لديه المعلومات منع الآخرين من الاستفادة منها، كل ذلك ممكن أن يعوق التشغيل الكفء للنظام المالي والمصرفي وانتشار ما يسمى بسلوك القطيع.(حرفوش سهام وصحراوي أمينة، 2009، ص4).

3-1 مؤشرات الأزمات:

توجد بعض المؤشرات والتي يمكن التنبؤ من خلالها بقرب حدوث أزمة مالية منها ما يتصل بالسياسات الاقتصادية الكلية، منها ما يتعلق بالخصائص الهيكلية للأسواق المالية والنقدية، ومنها مؤشرات نوعية مصرفية، ويتم إدراج هذه المؤشرات في الجدول الموالي:

الجدول رقم 1: المؤشرات الاقتصادية للتنبؤ أو للإنذار عن الأزمات المالية

المؤشرات المتصلة بالسياسات الاقتصادية الكلية	المؤشرات المتصلة بالخصائص الهيكلية للأسواق المالية والنقدية	المؤشرات النوعية المصرفية
- الارتفاع في معدل البطالة ومعدلات التضخم والمستوى العام للأسعار. - نمو سريع في التدفق النقدي، وفي الاعتمادات المالية. - ارتفاع معدلات الفائدة على الودائع والقروض المحلية، وفي المقابل ارتفاع نسبة القروض غير المنتجة. - التغيرات في سعر الفائدة الحقيقي. - انخفاض قيمة الاحتياطي النقدي من العملات الحرة، والاحتياطات الدولية. - انخفاض نسبة النمو الاقتصادي بتراجع الناتج المحلي الإجمالي، وارتفاع الرقم القياسي للعجز في الحسابات الجارية.	- غلبة الأصول المالية عالية المخاطر كالأصول العقارية على أسواق الائتمان. - تسرب الضعف إلى الجهاز الإداري المنوط به الإشراف على أسواق المال وقطاعات البنوك، وغياب الشفافية والإفصاح، أي التحلي عن مبادئ الحوكمة. - سيطرة بعض المؤسسات على الأسواق المالية، وما ينجم عن ذلك من سهولة تحكمها في هذه الأسواق. - ارتفاع حجم الديون الخارجية القصيرة الأجل(الأموال الساخنة)، مما يساهم في تذبذب عنصر الملاءة للمؤسسات المالية، وفي عرقلة أداء الوظائف التمويلية للبنوك.	- ملائمة رأس المال - مؤشرات السيولة - مؤشرات العسر المالي - الربحية أو العائد - الديون المتعثرة ومخصصاتها - ودائع البنوك - نسبة القروض للودائع

المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على:

* الشرقاوي عبد الحكيم مصطفى ، العولمة المالية وإمكانات التحكم : عدوى الأزمات المالية، دار الفكر الجامعي للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2003، ص 39.

* الطوخي عبد الغني إسماعيل ، التنبؤ المبكر بالأزمات المالية باستخدام المؤشرات المالية القائدة، كلية العلوم التجارة، جامعة أسيوط ، مصر، ص 7.

ثانيا- دور المعلومة في أزمة الرهن العقاري

إن التحليل الصحيح للمعلومات من شأنه أن ينذر عن أزمة قادمة والذي هو الأساس في ترقب الأزمات وهذا ما سنبينه من خلال أزمة الرهن العقاري.

لقد تعرض العالم إلى العديد من الأزمات المالية، حيث أن الأزمة العالمية التي بدأت في 2008 ترجع في الأساس إلى أزمة الرهن العقاري التي انفجرت في 2007 اعتبرت من بين الأسوأ في ألفية العشرينيات، واتضح أنه من بين أهم أسباب أزمة الرهن هو عدم التحكم في المعلومات والمتمثلة في أسعار الفائدة

المفروضة من طرف البنك المركزي الأمريكي والذي تسبب في زيادة معدل العجز عن السداد للقروض العالية المخاطر، ولأجل ذلك سوف نتعرف على هذين العاملين:

1- معدل الفائدة:

في الواقع لا يوجد معدل فائدة واحد وإنما هناك أنواع عديدة من معدلات الفائدة تختلف باختلاف الأدوات المالية. ويعبر معدل الفائدة عن المعدل الذي يدفعه البنك المركزي على ايداعات البنوك التجارية سواء كان ذلك لمدة يوم واحد أو لمدة أطول، وهذا المعدل (معدل أو سعر الفائدة الذي يحدده البنك المركزي) يعد أساسا ومؤشرا لمعدلات الفائدة التي تحددها البنوك التجارية، والتي يجب أن لا تقل عن معدل البنك المركزي. وتجدر الاشارة إلى أن معدل الفائدة يتم استخدامه كأداة من ادوات التحكم في عرض النقود في التداول، وذلك من خلال تغيير هذا المعدل بالزيادة أو التخفيض في الأمد المتوسط، ولتوضيح ذلك فإن زيادة معدل الفائدة تؤدي إلى تقليل عمليات الاقتراض، ومن ثم تؤدي إلى تقليل السيولة في السوق، مما يؤدي إلى انخفاض نسبة التضخم.أما تخفيض معدل الفائدة فإنه يتم في ظل وجود تباطؤ ملحوظ في معدلات النمو الاقتصادي في دولة ما (كما حدث في الاقتصاد الأمريكي)، فيتم تخفيض معدل الفائدة لمرة أو لمرات متتالية من أجل ضمان ضخ السيولة بمعدلات مناسبة وكافية إلى السوق، بحيث تشجع هذه المعدلات على زيادة كافية في الانتاج والاستهلاك، ويبدأ معدل النمو الاقتصادي في الارتفاع وصولا إلى تحقيق الانتعاش الاقتصادي.(أبو فارة يوسف، 2015، ص47)

2- معدل العجز عن سداد القروض:

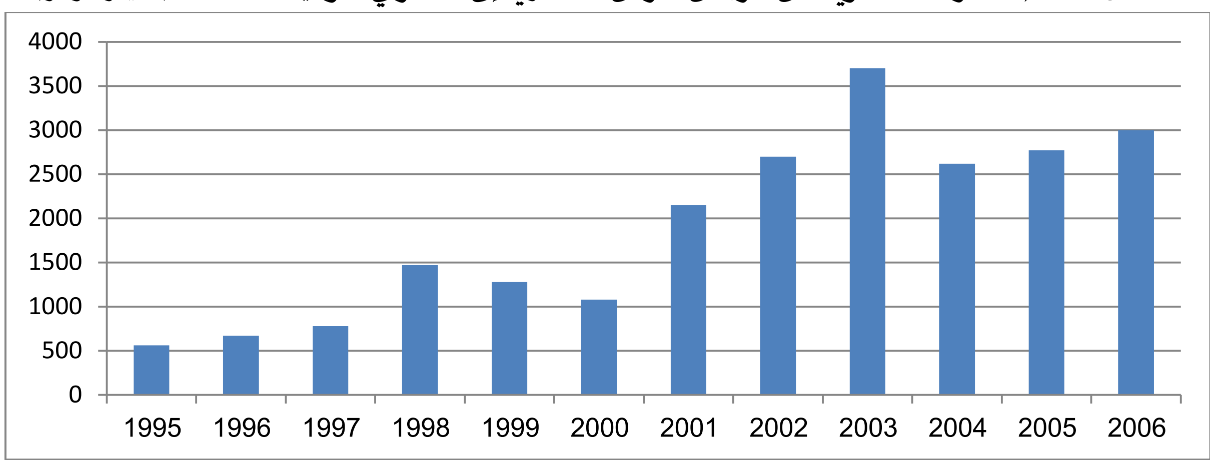
ويعبر عن نسبة تبين فيها عدم قدرة الأفراد على تسديد ديونهم. والعجز عن الدفع يعني أن يكون الفرد في مرحلة يجد فيها نفسه غير قادر على المواجهة، في وقت معين أو باستمرار الدين الدائن أو الدائنين أو المدينين، ويمكن أن يؤدي العجز أو عدم القدرة عن السداد إلى الإفلاس وفي هذه الأزمة فإن **معدل العجز عن السداد يشمل القروض العالية المخاطر subprime** لأفراد ذوي الدخل الضعيف.(Ingrid Nappi-Choulet,2009, p6).

وبعد ذلك سوف نحاول عرض نشوء هذه الأزمة وتحديد أسبابها من خلال ما يلي:

إن هذه الأزمة ترجع إلى الارتفاع المستمر لأسهم الشركات العقارية وانتعاش السوق العقاري في الولايات المتحدة بشكل مستمر(خاصة خلال الفترة 2000-2006)، والذي تزامن مع انفجار فقاعة شركة الانترنت وانخفاض الأسهم في القطاعات الاقتصادية الأخرى بما فيها قطاعات التكنولوجيا والاتصالات الحديثة وأحداث 11 سبتمبر 2011 من جهة، ومن جهة أخرى قامت الولايات الأمريكية على تشجيع الطبقة الوسطى على الاستدانة عن طريق القروض الاستهلاكية والعقارية لشراء المساكن، حيث عملت البنوك وصناديق الادخار على منح الائتمان إلى المجتمعات المحرومة **بمعدلات فائدة منخفضة ومتغيرة** على مبلغ نهائي يفوق دخلهم السنوي بثلاثين مرة، إذ انخفضت معدلات الفائدة بشكل كبير لتصل إلى أقل من 1%، هذه القروض تدعى"Subprime" أي "القروض الأقل جودة"، لقد أصبحت تعطى هذه القروض بدون مراقبة قابلية الطرف المقترض على سداد قرضه أصلا مما أدى إلى زيادة قدرة التخلف عن السداد للأفراد بالنسبة لهذا النوع من القروض، ولم تتعلق هذه الظاهرة بقروض من نوع subprime فقط، وإنما توسعت أيضا لأكثر من 50%

على كافة سوق القروض العقارية للولايات المتحدة الأمريكية (الشكل 1)(Jean-louis ،2008،p118 Mucchielli).

الشكل 1 : الإصدارات السنوية من قروض الرهن العقاري إلى الأسر في الولايات المتحدة(مليار دولار)



Source : René Ricol, rapport sur la crise financière, union européenne, 2008, p 25.

إن الظروف الحسنة للديون، شجعت الأسر الأمريكية على زيادة ديونها: إن وزن القروض العقارية المعبر عنه بنسبة مئوية من الدخل المتاح الإجمالي للأسر الأمريكية ارتفع من 68,5% سنة 2000 إلى 104,3% سنة 2006، كما هو موضح في الجدول التالي:

الجدول رقم 2: ديون الأسر (% كنسبة مئوية من الدخل المتاح)

السنوات	1995	2000	2005	2006
الولايات المتحدة الأمريكية	93,4	102,7	135,2	139,6
قيمة القروض العقارية	63,2	68,5	100,8	104,3

Source : Alain Henriot , Revue Sociétal, la crise macro-financière de l'été 2007 : quelles causes pour quelles conséquences ?, numéro N °59, premier trimestre, Paris, 2008 ,p 103.

بالإضافة إلى ذلك أقبلت البنوك على توريق هذه القروض وطرحها للبيع في السوق على شكل سندات أين تم وصفها آنذاك من طرف وكالات التنقيط بالقروض العالية الجودة (AAA)، كما عملت شركات التأمين على التأمين على هذه القروض المورقة مما أدى إلى زوال الخطر عليها الشيء الذي أسهم في تدافع المستثمرين الأجانب وغيرهم عليها بشكل سريع و كبير (Jacque Attali, 2009, p p 56-57) ونتيجة لذلك اتسعت عملية التوريق إلى جميع أنواع القروض والمشتقات المالية وانتشرت بذلك هذه الأوراق على جميع الدول، كما اتسعت عملية التوريق للقروض المؤمنة(التوريق من الدرجة2 و3).

إن قروض الرهن العقاري الممنوحة بمعدل فائدة متغير ومرتبطة بمعدل فائدة البنك الفيدرالي الأمريكي(البنك المركزي)، تعني أن الأعباء المالية للتسديد عند الانطلاق تكون منخفضة من أجل اجتذاب المقترضين ثم تزيد بالتدريج، وعلى هذا الأساس و بعد قيام البنك الفيدرالي **برفع معدلات الفائدة** والتي وصلت تقريبا إلى أكثر من 4,5% ابتداء من سنة 2006 في الولايات المتحدة الأمريكية ، جعل الأسر الأمريكية ضعيفة الملاءة وغير قادرة على تحمل أعباء ديونها، مما أدى إلى **ارتفاع معدل العجز عن السداد للقروض العالية المخاطر**، حيث تجاوزت نسبة التخلف عن السداد بالنسبة لهذا النوع من القروض 15 % في سنة 2007 ، ونتيجة لذلك ارتفعت حالات الحجز عن الرهونات العقارية من قبل الجهات المقرضة لتزيد من حجم عرض المساكن بعد التوسع الكبير في بناء المساكن والعقارات ، فأصبح حجم عرض المساكن والعقارات أكبر بكثير من حجم الطلب عليها فبدأت أسعار المساكن في الانخفاض السريع، وانهارت المبيعات، وبدأت المنتجات التي تم توريقها توصف ب"السامة" أو" الرديئة" من طرف وكالات التنقيط، ومن أجل ذلك وصلت الفقاعة العقارية إلى ذروتها وانفجرت بذلك **أزمة الرهن العقاري** وتفاقمت الأزمة بحلول النصف الثاني من عام 2007، حيث توقف عدد كبير من المقترضين عن سداد الأقساط المالية المستحقة عليهم، كل ذلك أدى إلى انخفاض السيولة لدى المصارف خاصة بعد سحب المودعين لأموالهم وانتشار عدم الثقة على مستوى المصارف والأسواق، الشيء الذي انعكس سلبا عليها بصفة عامة، ومنه انتشرت الشكوك على كامل النظام المصرفي، إثر ذلك تضررت العديد من البنوك الدائنة مما أدى إلى هبوط قيم أسهمها في البورصة، وهكذا أعلنت العديد من المصارف، الشركات العقارية، صناديق التحوط، المستثمرون المؤسستيون وغيرهم عن الإفلاس وتحولت على اثرها هذه الازمة إلى ازمة نظامية عالمية شملت أغلبية الاقتصاديات. (Michel Aglietta, 2008, p p 45-46).

ثالثا- اختبار السببية بين سعر الفائدة TDIR ومعدل العجز عن السداد للقروض العالية المخاطر TDEF

1- اختبار السكون: اختبار جذر الوحدة

الاختبار بالنسبة لسلاسل TDEF و TDIR موضحة في الجدولين وذلك باستخدام اختبار ADF:

الجدول رقم 3: اختبار جذر الوحدة للمتغيرات TDEF و TDIR

المتغيرات	عند المستوى								
	النموذج1 ثابت			النموذج2 الاتجاه والثابت			النموذج3 لا اتجاه ولا ثابت		
	T stat	T cal عند 5%	prob	T stat	T cal عند 5%	prob	T stat	T cal عند 5%	prob

TDIR	*-2,11(1)	-3,11(1)	0,24	*-3,12(3)	*-3,93(3)	0,14	*-1,22(2)	*-1,97(2)	0,19
TDEF	**-0,30(3)	-3,17(3)	0,89	**-4,662)	**-3,87(2)	0,0159	**1,42(3)	**-1,97(3)	0,95

المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على برنامج Eviews 7.0

*: غير معنوي عند درجات المعنوية على التوالي: 1%، 5%،10%.

**: معنوي عند درجات المعنوية على التوالي: 1%، 5%،10%.

القيم ما بين الأقواس تشير إلى فترات الابطاء

الجدول رقم 4: اختبار جذر الوحدة للمتغيراتTDEF و TDIR

المتغيرات	عند الفرق الأول								
	النموذج1 ثابت			**النموذج2** الاتجاه والثابت			**النموذج3** لا اتجاه ولا ثابت		
	T stat	**T cal عند 5%**	**prob**	**T stat**	**T cal عند 5%**	**prob**	**T stat**	**T cal عند 5%**	**prob**
TDIR TDEF	**-3,11(3)	**-3,21(3)	0,058	**-2,91(3)	**-4,00(3)	0,20	**-2,91(1)	**-1,97(1)	0,0064

المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على برنامج Eviews 7.0

*: غير معنوي عند درجات المعنوية على التوالي: 1%، 5%،10%.

**: معنوي عند درجات المعنوية على التوالي: 1%، 5%،10%.

القيم ما بين الأقواس تشير إلى فترات الابطاء

بحسب نتائج اختبار ADF الممثلة في الجدول رقم 3 و4، يتضح ان معدل الفائدة ممثلا في TDIR هو سلسلة متكاملة من الدرجة الأولى، أي أنها أصبحت مستقرة عند الفرق الأول TDIR :I(1)، في حين معدل العجز عن السداد للقروض العالية المخاطرTDEF (كمؤشر للأزمة) هو سلسلة متكاملة من الدرجة صفر، أي أنها مستقرة عند المستوى TDEF :I(0).

إن اختبار ADF السابق يتم التأكيد على نتائجه باللجوء إلى دالة الارتباط والارتباط الجزئي(correlogram).

بما أن السلاسل السابقة هي مستقرة عند درجات مختلفة، فلا يمكن اختبار التكامل المشترك بينهما، ومنه لا يمكن اللجوء إلى نموذج تصحيح الخطأ.

في حالة مماثلة يتم اللجوء إلى نموذج الانحدار الذاتي (VAR) وعند درجات إبطاء lag=3 المحتواة بحسب نتائج معايير: LR، *FPE، ** AIC ، *** SC، **** HQ ، ***** .

2- نموذج VAR

Tdef= 0,48 D(TDIR(-1))+ 1,72 D(TDIR(-2))+ 2,10 D(TDIR(-3))-0,08 TDEF

1,34 4,44 3,48 -0,37

(-1)+0,95 TDEF(-2)+ 0,25 TDEF(-3) +2,32

3,58 0,81 1,65

Tdir= 0,13 D(TDIR(-1))-0,30 D(TDIR(-2))+0,49 D(TDIR(-3))-0,25 TDEF(-1)

0,29 -0,63 0,65 -0,85

-0,48TDEF(-2) +0,66 TDEF(-3)+ 1,00

-1,47 1,73 0,57

إن المبالغ ما بين القوسين أسفل المعاملات تشير إلى قيمة احصائية ستيودنت المحسوبة.

3- اختبار سببية غرنجر

الحالة الأولى:

H_0: TDEF لا يفسر TDIR

H_1: TDEF يفسر TDIR

وتبين لنا من الجدول رقم 5 ، أن p=0,3196 وهي أكبر تماما من 0,05 وبالتالي نقبل H_0 أي TDEF لا يفسر TDIR وهو ما يثبت صحة الفرضية الثالثة.

الحالة الثانية:

H_0: TDIR لا يفسر TDEF

H_1: TDIR يفسر TDEF

وتبين لنا من الجدول رقم 5 ، أن p=0,0000 وهي أكبر تماما من 0,05 وبالتالي نرفض H_0 ونقبل H_1 أي TDIR يفسر TDEF وهو ما يطابق الفرضية الثانية.

ومنه يمكن القول أن سعر الفائدة يفسر TDEF، في حين أن TDEF لا يفسر وفقا لمنهجية غرنجر TDIR.

للتأكد من صلاحية النموذج المبني في الجدول رقم 3، لا بد من خلو بواقي هذا النموذج من المشاكل القياسية على الترتيب: مشكلة الارتباط الذاتي، مشكلة التوزيع الطبيعي، ومشكلة تباين حدود الأخطاء.

لقد تبين لنا أن القيمة البواقي جيدة وتساوي 71,93% وهي أكبر تماما من 5% وبالتالي نقبل H_0.

ومن خلال ما سبق نستنتج أن النموذج صالح أي أنه جاهز لعمليات التنبؤ والتقدير وهذا تأكيد على نتائج السببية.

الخاتمة

لقد كان لمعدل الفائدة دور فعال في أغلبية الأزمات المالية، ويتبين ذلك مرة أخرى في أزمة الرهن العقاري التي اندلعت في السوق الرهن العقاري الأمريكي كمفجر لما أصبح يعرف أخيرا بالأزمة المالية العالمية،

حيث وضح التحليل النظري والتطبيقي لهذه الدراسة، أن التغيرات في معدل الفائدة (كمعلومة حاسمة) تؤثر على مؤشر معدل العجز عن السداد للقروض(كمؤشر للأزمة)، ومن خلال ذلك توصلنا إلى النتائج التالية:

- هناك علاقة ذات دلالة احصائية تربط بين معدل الفائدة للبنك الفيدرالي الامريكي(كمؤشر للمعلومة الحاسمة) ومعدل العجز عن السداد قروض Subprime (كمؤشر لأزمة الرهن العقاري).

- هناك علاقة ذات اتجاه واحد، أي أن التغير في معدل الفائدة المطبق من طرف البنك الفيدرالي الأمريكي هو الذي يسبب التغير في معدل العجز عن السداد للقروض العالية المخاطر، والعلاقة بينهما موجبة أي طردية(لاحظ ان اشارة معامل معدل الفائدة في الجدول 5 هي موجبة)، وهذا يعني أنه إذا تغير معدل الفائدة في اتجاه معين يؤدي إلى تغير معدل العجز عن السداد في نفس الاتجاه.

التوصيات

في ظل النتائج التي تم التوصل إليها، فإننا نوصي بما يأتي:

- يجب على البنوك المركزية التحكم أكثر في أدوات الرقابة والإشراف على نشاط المصارف.
- يجب على البنوك التأكد من الملاءة المالية للأفراد الذي سيمنح إليهم القروض قبل اقراضهم، بمعنى يجب التحقيق من السجل الائتماني لجميع الأشخاص الذي سيتم منحهم القرض وذلك لسنوات تسبق هذه العملية.
- على مستوى الرقابة الداخلية يتعين على المؤسسات المالية ضمان الأدوات المناسبة لإدارة المخاطر ويجب على السلطات التنظيمية التحقق من ذلك؛
- يستوجب تعزيز نشر المعلومات من طرف المؤسسات والأسواق المالية واستخدامها بشكل فعال لتقييم المخاطر المؤسساتية والنظامية، مع دمج هذه البيانات والمعلومات في آليات وميكانيزمات تحذيرية وفي سياسة التحوط.
- على المؤسسات المصرفية خاصة وعلى اقتصاديات الدول عامة الالتزام بالتطبيق الحرفي لمعايير ومبادئ الحوكمة وأخلاقيات الأعمال لحماية نفسها من الأزمات المالية.

الملحق

السنوات	معدل الفائدة TDIR	السنوات	معدل العجز عن السداد للقروض العالية المخاطر TDEF
1995	6.0	1995	3.5
1996	5.6	1996	3.9
1997	5.7	1997	4.5
1998	5.8	1998	4.9
1999	5.9	1999	6.7
2000	6.5	2000	7.7
2001	5.1	2001	10.7
2002	1.98	2002	11.7

9.6	2003	1.27	2003
6.9	2004	1.0	2004
5.9	2005	2.5	2005
9.7	2006	4.6	2006
10.8	2007	5.25	2007
19.2	2008	3.0	2008
18.2	2009	1.0	2009

المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على المراجع التالية:

*Banques centrales
* Fédéral réserve
* Banque Natixis, flash économique,2009.
* http://france-inflation.com/taux-directeurs-bce-fed.php
*http://www.les-crises.fr/taux-directeurs/
*http://www.lemonde.fr/economie/infographie/2008/12/04/evolution-des-taux-la-bce-et-la-reserve-federale-des-etats-unis_1127069_3234.html

قائمة الهوامش والمراجع

المراجع باللغة العربية

1- السيد البدوي عبد الحافظ، إدارة الأسواق المالية العالمية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999، ص 39.

2- الشرقاوي عبد الحكيم مصطفى، العولمة المالية وإمكانات التحكم : عدوى الأزمات المالية، دار الفكر الجامعي للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2003، ص 39.

3- الشحات أحمد يوسف، الأزمات المالية في الأسواق الناشئة مع إشارة خاصة لأزمة جنوب شرق آسيا، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، 2001، ص ص 20-21. وبتصرف.

4- النجار إبراهيم عبد العزيز، الأزمة المالية وإصلاح النظام المالي العالمي، الدار الجامعية، الإسكندرية، 2009، ص .18

5- المكاوي محمد محمود ، الأزمات الاقتصادية العالمية (المفهوم-النظريات التي تفسر الأزمات-دراسة تشخيصية لأسباب الأزمات)، دار الفكر والقانون للنشر والتوزيع، المنصورة، الطبعة الأولى، 2012، ص 67.

6- القريشي محمد صالح تركي، اقتصاديات الأعمال، إثراء للنثر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، 2008، ص 305.

7- الطوخي عبد الغني إسماعيل ، التنبؤ المبكر بالأزمات المالية باستخدام المؤشرات المالية القائدة، كلية العلوم التجارة، جامعة أسيوط ، مصر، ص 7.

8- أبو فارة يوسف، الأزمات المالية والاقتصادية بالتركيز على الأزمة المالية العالمية 2008، دار وائل للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2015، ص 29.

9- حرفوش سهام وصحراوي أمينة، دور الأساليب الحديثة لإدارة المخاطر الائتمانية للبنوك في التخفيف من حدة الأزمة المالية الحالية، ورقة مقدمة في الملتقى الدولي حول الأزمة المالية والاقتصادية الدولية والحوكمة العالمية، جامعة سطيف ،20-21 أكتوبر2009، ص .4

10- علوان فؤاد ، دور نظم الانذار المبكر في التنبؤ والوقاية من الأزمات الملية بالأسواق المالية-دراسة تطبيقية على أسواق رأس المال العربية-، دار الفكر والقانون، المنصورة، 2012، ص39.

المراجع باللغة الأجنبية

1 – Alain Henriot , Revue Sociétal, la crise macro-financière de l’été 2007:quelles causes pour quelles conséquences ?, numéro N °59, premiér trimestre, Paris, 2008 , p 103.

2- Audrey Vautherot, Economie et Finance, Crédit immobilier,2008.

3- Hyman P. MINSKY, L'hypothèse d'instabilité financière, Diaphanes, 2013.

4- Ingrid Nappi-Choulet, Retour sur la crise immobilière Américaine, International, IEIF-Réflexions immobilère,2009, N48, p6.

5- Jacque Attali, La crise et aprés, Librairie Arthème Fayard, Paris, 2009,
p 46.

6- Michel Aglietta, La Crise (pourquoi en est-on arrivé là ? comment en sortir ?), Edition Michalun, Paris, 2008, p p 45-46.

7-Olivier Lacoste, préface de Christian de boissieu, Comprendre les crises financières, groupe Eyrolles, 2009, p p 62-66.

8- René Ricol, rapport sur la crise financière, union européenne, 2008, p 25.

*LR : sequential modified LR test statistic

**FPE: final prediction error

***AIC : Akaike information criterion

****SC : Schwartz information criterion

*****HQ: Hannan-Quinn information criterion

-

المخاطر المعلوماتية في المؤسّسة

أ. بوقرة سامية
جامعة عنابة

ملخص:

إن الحاجة الكبيرة لجمع المعلومات و معالجتها واستخدامها والتحكم في سيرها تعتبر المطلب الأساسي لنجاح أي مؤسسة، شرط أن تحافظ هذه الأخيرة على معلوماتها وتضمن حمايتها وأمنها، وإذا حدث عكس ذلك تجد المؤسسة نفسها في مواجهة الخطر المعلوماتي الذي يعد تهديدا لمعلوماتها سوا ء من الداخل أو الخارج، كما يمكن أن يؤثر على مكانتها وسمعتها في السوق خاصة وأنها تعيش في ظل اقتصاد قائم على إنتاج المعلومات وشعاره من يملك المعلومة يملك السيطرة ، ولقد جاء هذا البحث لتسليط الضوء على الخطر المعلوماتي المرتبط بنظم معلومات المؤسسات وتطوره خاصة في ظل الاستخدام الكبير لتكنولوجيا المعلومات بها، وكذا التطرق إلى مصادر هذا الخطر ومجالاته.

الكلمات المفتاحية: الخطر المعلوماتي، نظام المعلومات، تكنولوجيا المعلومات، أمن المعلومات.

Abstract:

The major need for collecting information, its use, its treatment and its control is considered as a basic requirement for the success of any organization, providing that the latter maintains its information, ensures its protection and its security, and in the contrary case, the organization will find itself facing the informational risk; which is regarded as a threat to their information whether from inside or outside. It can also affect its position and its reputation in the market, especially the organization lives in an economy based on the production of information and its logo “who owns the information, owns control”. This research came to shed light on the informational risk that has a relation with the company informational system, its development in the light of the great use of information technology, as well as proceeding to the sources of this threat and their fields.

Keywords: informational risk, information system, information technology, information security.

مقدمة:

حدثت ثورة كبيرة في عالم الاقتصاد في السنوات الأخيرة الماضية، نتج عنها تغيير جذري في الأسس التي منوها بالعصر Micro Soft مؤسس شركة (Bill Gates يقوم عليها هذا الأخير، وهذا ما عبر عنه الجديد في قوله: " كنت اعلم أن هناك عصرا يسمى عصر الحديد ، وآخر عصر البرونز، وهي فترات سميت باسم الموارد الجديدة التي اعتاد البشر أن يصنعوا أدواتهم منها وأسلحتهم، ثم قرأت لأكاديميين يتنبئون بان البلدان سوف تدخل في صراع حول السيطرة على المعلومات وليس الموارد الطبيعية".

إذن فالعالم اليوم يعيش تقدما كبيرا، احتل فيه قطاع المعلومات والاتصالات الصدارة بين القطاعات التقليدية الأخرى، حيث أصبحت المعلومات مصدرا أساسيا ذات تأثير قوي وواضح على جميع الأنشطة التي يقوم بها الأفراد و المؤسسات، وقوة هذه الأخيرة (المؤسسات) تتوقف على امتلاكها لأكبر قدر من المعلومات، ومعرفة كيفية التحكم فيها وتصنيفها وتنظيمها ثم إرسالها، ومن أجل ذلك تم استخدام تكنولوجيا المعلومات الحديثة لقدرتها الهائلة على التخزين، وسرعتها الفائقة في الاسترجاع، وبذلك دخلت هذه التكنولوجيات كمبتكر جديد، ضمن أهم البنى التحتية للمؤسسات وكَمدخل مهم من مدخلات المؤسسة الحديثة المفتوحة، التي تريد أن تواكب التطورات الجديدة، حيث لا يمكن الآن إحداث تغييرات قصوى إلا إذا كانت تتحملها التغييرات في التكنولوجيات، وبالتالي زاد توجه الكثير من المؤسسات نحو تبني النماذج التكنولوجية والعمل بتطبيقاتها المختلفة، سواء التطبيقات الآلية المرتبطة بالحاسوب أو التطبيقات الالكترونية المتعلقة بشبكة الانترنيت أو التطبيقات التي تخص الهاتف وغيرها ....، إن مثل هذه التطبيقات والتي تكون البيانات هي مادتها الخام والمعلومات هي ناتجها بالتأكيد ستكون عرضة للكثير من الأخطار المعلوماتية، بحكم أن هذه التطبيقات جعلت المعلومات متاحة بصفة اكبر مما كانت عليه قبلا بالإضافة إلى أنها زادت من سرعة انتقالها عبر الشبكات وإمكانية تجاوزها لحدود المؤسسات.

إن الأخطار المعلوماتية التي أصبحت تهدد أنظمة معلومات المؤسسات لها أثار سلبية كبيرة ، خاصة وأن أنظمة المعلومات لها دور أساسي حيث تعتبر المورد الرئيسي لاتخاذ القرارات، وتعرضها للمخاطر يفقدها قيمتها كما يشكل تهديدا لاستمرار نشاطها وكذا تطورها، والأخطار المعلوماتية متعددة ومتنوعة منها عمليات إتلاف البيانات وعمليات السرقة، وإمكانية وصول المعلومات إلى أطراف غير مصرح لهم بالحصول عليها، ليس هذا فحسب فلامبالاة والإهمال والأخطاء الغير منظورة هي الأخرى تشكل أخطارا معلوماتية لا يمكن الاستهانة بنتائجها.

الإشكالية:

إن التطورات الحديثة في تقنية المعلومات أحدثت تغيرات مستمرة في أساليب العمل والميادين كافة، إذ أصبحت عملية انتقال المعلومات عبر الشبكات المحلية والدولية وأجهزة الحاسوب من الأمور الروتينية في عصرنا الحالي وإحدى علاماته المميزة التي لا يمكن الاستغناء عنها، لتأثيرها الواضح في تسهيل متطلبات العمل العصرية من خلال تقليل حجم الأعمال وتطوير أساليب تخزين وتوفير المعلومات، فالمعلومات تعد المصدر الأساسي لاتخاذ القرارات كما لها أهمية كبيرة اكتسبتها من واقع الدور الذي تمثله في تزويد المسير بما يحتاج إليه من معارف يستمد منها تقديراته لما يتطلب منه القيام به، ولقد ساعد أن انتشار أنظمة المعلومات المحوسبة إلى سهولة انتقال المعلومات وإمكانية الحصول عليها لدى جميع الأطراف الفاعلة داخل المؤسسة بالإضافة إلى أن شبكة الانترنيت زادت هي الأخرى من إمكانية إتاحتها للجميع وبأبسط الطرق، هذا ما جعلها تكون عرضة للعديد من المخاطر المعلوماتية.

فإشكالية الدراسة تنحصر إذن في موضوع الخطر المعلوماتي الذي بات يهدد أنظمة معلومات المؤسسات خاصة وأنها تعيش في عالم من سماته البارزة أن اقتصاده معلوماتي، بالإضافة إلى الاستخدام الواسع

لتكنولوجيا المعلومات التي ساهمت في تطور المخاطر المعلوماتية وتنوعها، وتعدد مصادرها ومجالاتها، مما يستوجب على المؤسسات ضرورة التيقظ لهذه المخاطر والعمل على مواجهتها.

ومن هذا المنطلق تتضح إشكالية البحث من خلال التساؤل التالي:

في ما تتمثل الأخطار المعلوماتية في المؤسسة؟ و ماهي طبيعتها؟ وفي ما تكمن المجالات التي يمكن أن تتمركز فيها هذه المخاطر ؟

أولا_ تعريف الخطر المعلوماتي:

يعرف الخطر المعلوماتي حسب (J. F. Lemettre, 2008) بأنه خطر جديد يواجه المؤسسات مرتبط بالتطور التكنولوجي وشروط التقسيم (المعلومات) التحسينية والإصلاحية، وأخطار تدفقات المعلومات، وكلما زاد التطور التكنولوجي زادت معه المخاطر المعلوماتية[1].

ولقد ربط J. F. Lemettre الخطر المعلوماتي بالتقدم التكنولوجي والتغييرات الجديدة التي يعرفها العالم ككل بصفة عامة والعالم الاقتصادي بصفة خاصة.

أما Pascal Caigneau فيرى أن الخطر المعلوماتي يقدم إمكانية تعرض معلومة رسمية أو غير رسمية لاحتمال التغيير أو التأثير في صورة ، أو نشاط، أو سلوك، أو إستراتيجية فاعل [2] .

وبعبارة أخرى فالخطر المعلوماتي: هو جملة المخاطر المرتبطة بعملية جمع المعلومات ومعالجتها وتخزينها وتوزيعها، فهذا الخطر مرتبط بالمراحل المختلفة التي تمر بها المعلومات في المؤسسة، كما أن هذا الخطر لا يهدد امن نظم المعلومات فقط بل ويترك آثار سلبية على المؤسسة ككل.

ثانيا_ أهمية نظام المعلومات في المؤسسة:

في الوقت الذي تتسارع فيه المنظمات والمؤسسات لتجديد نماذج أعمالها وملائمة العمليات لمبادرات التجارة الالكترونية، تلعب أنظمة المعلومات دورا محوريا في التعريف بأنشطة القيمة المضافة الجديدة، إذ انه ومن دون شك في المستقبل القريب، النسبة الأكبر من الأنشطة التجارية سوف تجرى في العالم الافتراضي، حيث أن كل من (Wanninger 1997) و (Papadoupolou 2000) ركزا على أن مثل هذه الأنظمة يجب أن ينظر إليها على أنها "بيئة الخدمة" – العوامل المساعدة للعالم الظاهري أين تتواجد المنتجات والخدمات كمعلومة رقمية ويمكن أن ترسل أو تشحن عبر قنوات للمعلومات القائمة- [3].

فيعتبران نظام المعلومات قضية حصرية وخاصة، وبهذا فان نظم المعلومات تعد (Mason et Mitroff)أما الركيزة الأساسية لإدارة أعمال أي مؤسسة، وهذا ما يجعل الترابط بين هذه النظم والإدارة ترابطا عميقا وتكامليا ، وبهذا أصبح موضوع نظم المعلومات ودورها في إدارة المؤسسات هو الموضوع الأهم، الرابط بين تكنولوجيا المعلومات والإدارة، وهو مجال سريع التطور ومتنوع الحالات العملية، ويشكل فكرا واختصاصا شاملا يلغي فردية الفكر المعلوماتي تقنيا ، أو الفكر الإداري التحليلي التوصيفي بشكل أحادي، فنظم المعلومات بمستوياتها التنفيذية والإستراتيجية والداعمة للقرار، تشكل بنية الأتمتة الإدارية وتقنياتها [4].

إن نظام المعلومات يكتسب أهمية استثنائية في حياة المنظمات و نجاح إدارتها في تحقيق أهدافها وغاياتها وتتجسد هذه الأهمية في الدور الكبير الذي يلعبه هذا النظام في توفير المعلومات بالأوصاف المطلوبة للإدارات صانعة القرار، إذ تعادل أهمية القرارات بالضرورة أهمية المعلومات المعتمدة في صنعها [5].

ثالثا_ أبعاد نظام المعلومات:

يرتكز نظام المعلومات على ثلاثة أبعاد أساسية تتمثل في:

1_ الأفراد: (الفرد أو مجموعة الأفراد): أعمق جزء في نظام المعلومات، وهم الأشخاص الذين يعتبرون أصل تسيير ومعالجة، واستخدم المعلومات[6]، كما أن المصدر الرئيس للحصول على متطلبات النظام أمام محلل النظم هو تلك الأطراف صاحبة المصالح في نجاح تطبيق نظام المعلومات في المؤسسة، ويمكن تقسيمهم إلى ثلاث فئات:

من يعمل في نظام المعلومات؟

_ المستخدم: الشخص الذي يستعمل التطبيقات المحوسبة من اجل انجاز مهنته ووظائفه[7]، يمثل مستخدمو نظام المعلومات في عمليات الأعمال في المؤسسة، المصدر الأول للحصول على معلومات النظم المقصودة في التحليل، و مستخدمي النظام الذين على محلل النظم تحديدهم يقعون في بعدين اثنين يتمثلان في البعد الأفقي والبعد العمودي من تنظيم المؤسسة الإداري، ففي البعد الأفقي يجب أن ينظر المحلل إلى تدفق البيانات والمعلومات ضمن أقسام ووظائف الأعمال في المؤسسة.أما البعد العمودي فانه يخص المعلومات التي يحتاج إليها العاملون في الأقسام الإدارية والأرشيف في الإدارات الوسطى وكذلك في مستوى الإدارة العامة، فلكل موقع من هؤلاء حاجته الخاصة للمعلومات والتي ترتبط بوظيفته الإدارية في ضمان الإجراءات لكفاءة وفاعلية عمل النظام[8].

_ التحكم في فتح النظام: شخص في وظيفة يعرف ويشكل الحاجات في شكل وظيفي محوسب.

_التحكم في العمل: متخصص في الإعلام الآلي وهو الذي يطور تقنيا الحل الآلي انطلاقا من سجل المبادلات من خلال التحكم في فتح النظام[9].

2_ التنظيم: تنظيم العمل داخل المؤسسة، المراقبة، لغة الاستخدام، ثقافة المؤسسة، قاعدة قرار التسيير.

3 _ التكنولوجيا: تمس الحصول على المعلومات، الاتصال، تخزين واستغلال المعلومات، و المساعدة في عملية اتخاذ القرار[10] .

رابعا_ تطور الخطر المعلوماتي:

منذ العصور الأولى وحتى اليوم ظلت المخاطر تسبب إرباكا للبشرية، فكل المجتمعات _ سواء كانت تقليدية أو حديثة_ تواجه خيارات وقرارات حول طريقة الحفاظ على الأمن ومواجهة المخاطر، وحيث أن كل فعل لابد أن يكون له توابع هي التي يمكن أن تمثل المخاطرة، وفي كل مرة يتم فيها الاختيار عن عمد على أساس فهم اجتماعي جديد للعالم تتبارى العديد من المخاطر مقابل بعضها البعض، وبالنسبة للعديد من المجتمعات التاريخية و التقليدية يمكن أن يمثل ذلك الاختيار استراتيجيات أساسية للبقاء، وتلك الأنواع من الخيارات بمخاطرها المتعلقة بها يمكن إدراكها كعوامل أساسية للبقاء خلال المجتمعات القديمة على الأقل [11].

وحسب(Olivier Hassid, 2008) عرف تطور المؤسسات وعلى أزمان طويلة العديد من الأخطار التي أثرت على أسلوبها وطبيعة عملها، حيث كانت الأخطار المعروفة مابين سنوات 1970و 1980، الأخطار السياسية المرتبطة بنظام الحكم وعدم الاستقرار السياسي، بالإضافة إلى الأخطار الاقتصادية المرتبطة بالحصول على المواد الأولية، والأسواق، والمالية للمؤسسة، أيضا الأخطار السسيوثقافية المرتبطة بالمجتمع وثقافته، ومع التطور

التكنولوجي ظهرت الأخطار التكنولوجية ومعها زاد التطور الكبير للخطر المعلوماتي، حيث عرف هذا الخطر ارتفاعا كبيرا وتطورا محسوسا خاصة في الدول الكبرى في نهاية التسعينات وبداية سنة 2000 [12].

وحسب (Mitchell Stewart, 2000) فالمخاطر المعلوماتية متوطئة في أي منظمة، من احتمال خسارة المعلومات إلى التعطل الكامل للنظام، الذي يشل قدرة المؤسسة، والنتائج يمكن أن تكون كارثية.

وفي تقرير لشركة " McAfee" حول جرائم الانترنيت، أشارت إلى أن خسائر التجارة عالميا بلغت تريليون دولار أمريكي سنويا، مابين خسائر للملكية الفكرية ونفقات إصلاح الضرر، وجرائم الانترنيت هي رابط صغير في سلسلة مخاطر المعلومات، فحسب مشروع " خصوصية حقوق تبادل المعلومات" ، عدد التسجيلات المتضمنة معلومات شخصية حساسة والمشاركة في الخروق الأمنية في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها، وفي الثلاث سنوات قبل ديسمبر 2008، قدرت بـ 250 مليون، وفي 2008 في الولايات المتحدة وحدها، كان هناك 29مليون حالة أين تم الكشف عن معلومات شخصية للأفراد [13].

إن الفاتورة الإجمالية لمخاطر المعلومات عالميا وعربيا عام 2011 وحده تقدر بحوالي 388 مليار دولار أمريكي، ومعنى ذلك أن القيمة المالية لمخاطر المعلومات اكبر من السوق السوداء للمخدرات والتي تقدر بحوالي 288 دولار أمريكي [14].

هذا ولا يزال الخطر على البيانات هو الهم الأكبر والتحدي الحقيقي الذي يواجه الدول والمؤسسات في مناطق العالم التي تعرف تطورا في معدل النمو في قطاع التقنية، حيث أكد تقرير إرنست و يونغ السنوي الثالث عشر حول أمن المعلومات لدى المؤسسات حول العالم، على ضرورة توسيع وتهيئة أنظمة أمن المعلومات لتتماشى مع متطلبات المؤسسات التي تعمل في عالم بات بلا حدود.

خامسا_ مصادر وأنواع الخطر المعلوماتي:

تم تقسيم الخطر المعلوماتي الذي يهدد (AMRAE_ CLUSIF, 2006) في عمل مشترك قام به كل من نظام معلومات المؤسسة و يؤثر عليه بصفة خاصة ويترك نتائج على المؤسسة ككل بصفة عامة إلى الأنواع الآتية:

- ✓ الأخطار المعلوماتية المرتبطة بالبيئة: مجموعة الأخطار التي تكون خارج نظام المعلومات ومستقلة عن الإرادة الإنسانية (الكوارث البيئية) والتي يمكن أن تشل أو توقف عمل النظام.
- ✓ الأخطار الاجتماعية/ الحروب: مجموعة الأخطار التي مصدرها خارج نظام المعلومات، أصلها إنساني أو اجتماعي.
- ✓ الأخطار الشكلية للمحليين: مجموعة الأخطار المخلوقة من طرف أطرف خارجة عن نظام المعلومات.
- ✓ الأخطار على أجهزة الإعلام الآلي (الفيروسات).
- ✓ أخطار حول البرمجيات.
- ✓ أخطار القرصنة، الهاكر.
- ✓ أخطار مرتبطة بالموارد البشرية.
- ✓ أخطار مرتبطة بمشاريع التنمية[15].

_ وهناك تصنيف آخر لأنواع الخطر المعلوماتي وهو كالتالي:

1_ الأخطار البشرية:

من الممكن أن تتعرض نظم المعلومات للكثير من العمليات والممارسات السلبية المقصودة وغير المقصودة التي تتم على المعلومات والتي تتمثل في محاولة سرقتها أو إدخال الفيروسات إلى أنظمتها[(16)].

*** الأخطار المقصودة:**

إن أصعب المشاكل التي تواجهها المؤسسات هي البرامج التجسسية، وهي تهتم بالداخل أكثر وتكلف أكبر مما تكلفه الفيروسات لكونها مصممة بحيث لا يمكن الكشف عنها، وتهديدات المخاطر في ما يتعلق بالمعلومات والأجهزة التي تمتلكها المؤسسات، لا تتمثل في قيام مجرمي الفضاء المعلوماتي بكتابة الرموز الخبيثة في أماكن افتراضية، بل تتمثل في موظفيها الذين يكونون موضع ثقتها.

يمثل المستخدمون خطراً امنيا لأسباب عديدة، منها أن حدود الشركات تستمر في الاتساع مع تزايد عدد العاملين الجوالين لديها وتلاقي استخداماتهم الشخصية والمهنية في النقاط والمراكز الطرفية للمؤسسة التي يعملون فيها، فأجهزة الحواسيب باتت أكثر شخصية ومعبأة بالتطبيقات التي لا تتعلق بالعمل، والتي من شأنها أن تعرض المؤسسة إلى برامج التجسس والمتسللين والتهديدات الأخرى، وثمة أيضا أخطار متزايدة ترصد حب الاستطلاع لدى المستخدمين في المراكز الطرفية هذه، ويكون أسلوب الخداع على شكل موقع في الشبكة، أو رسالة الكترونية مصممة للاحتيال على الموظفين، لكي ينجزوا أعمالا وعمليات لها تأثير كبير على أمن المؤسسة، أو فضح معلومات سرية، والأدهى من ذلك أن الموظفين هم في حركة تنقل دائمة بين المؤسسات المتنافسة بسبب قيام هذه المؤسسات بتوظيف الموظفين المهمين طمعا في مهاراتهم، فالتهديد الداخلي سواء كان مضرا أو غير مضر، فهو أمر لا يمكن على المؤسسة التغاضي عنه أبدا .

ويمكن إرجاع هذه الأخطار المقصودة إلى أسباب عديدة:

- الأسباب المالية: يهدف اختلاس الصكوك والأسهم والسندات أو الأوراق المالية القابلة للتحويل، أو المواد الأولية والسلع أو تغيير البيانات، لإيجاد تسويات مالية محظورة إلى جانب سرقة المعلومات وإعادة بيعها لأطراف منافسة واستخدام بعض المصادر المتاحة لتطوير برامج لصالح جهات أخرى.
- الأسباب العاطفية: والتي تقع عند شعور احد العملين بالانتكاس بسبب تخطي الآخرين له في الترقية، أو انه يعامل بصورة لا يراها منطقية من قبل رؤساءه بالإضافة إلى الإحساس بالفشل عقب صدام مع الإدارة أو الزملاء أو كرد فعل للتعرض للنقد الشديد غير الموضوعي، و كما نرى أن الدوافع العاطفية مرتبطة كلها بالعمل وبالتالي يسهل ملاحظتها ويمكن العمل على تفاديها، أما الدوافع الشخصية فإنها لقلة ارتباطها بالعمل يصعب اكتشافها وتحديدها والتعامل معها.
- الأسباب الفكرية: وتعد هذه الأسباب أكثر الدوافع تحديا حيث لا دخل للاعتبارات المالية أو العاطفية فيها، فقد يقوم بذلك الفاعل لإرضاء فضوله الفكري أو من منطلق التحدي لإثبات خطا الإدارة عندما أعلنت أن لديها نظام أمن ولا يمكن اختراقه [(17)].

*** الأخطار الغير مقصودة:**

ينتج الانتهاك غير المقصود لسلامة وأمن البيانات غالبا عن إجراءات خاطئة وغير سليمة تتراوح بين إجراءات تجهيز وإدخال البيانات وحتى أخطاء التشغيل التي تحدث أثناء المعالجة، مرورا بنقاط الضعف غير

المنظورة في البرامج التطبيقية نفسها [18].

إن غالبية الموظفين بدون قصد كثيرا ما يتخذون خيارات غير صحيحة عندما يتعلق الأمر بالتعاطي مع معلومات المؤسسة وبياناتها، ومثال على ذلك هو انه مع تزايد قيام المستخدمين باستخدام الأجهزة والمساعدات الشخصية الرقمية وغيرها، يتوجب على المديرين الأمنيين التذكر أن هذه الأجهزة قضت معظم عمرها موصولة إلى حواسيب المنزل الأقل أمنا، وهذا ما يجعل من السهل على المستخدمين تنزيل فيروس مؤذ من دون قصد، أو رمز مدمر في أحد حواسيب المؤسسة، بالإضافة إلى الأخطاء التي تحدث سهوا أثناء القيام بالأنشطة اليومية بالمؤسسة.

الإهمال: وهو يمثل الطريقة الأكثر شيوعا لاختراق المعلومات ويعود السبب في ذلك إلى إهمال الأفراد العاملين وتهاونهم أو ضعف إدراكهم لأهمية الاحتفاظ بسرية المعلومات و العواقب الوخيمة المترتبة لاختراق أمنية المعلومات، إلى جانب عدم معرفتهم المعلومات التي تحتاج إلى الحماية ومن يمتلك الدافع إلى استغلال هذه المعلومات من داخل المؤسسة وخارجها[19].

2_الأخطار التكنولوجية:

* الفيروسات:

وهي عبارة عن برامج ذات أهداف تدميرية تتمثل في إحداث أضرار بنظام الحاسوب أو برمجيته أو مكوناته، ولقد ولدت فكرة الفيروس الالكتروني منذ بدايات الحاسوب على يد جون فون نيومان الذي أسس لذلك في مقالة نشرها بعنوان "نظرية وتنظيم الآلة المعقدة ذاتية الحركة" عن إنتاج أوتومات تقوم بعمل نسخة مطابقة لذاتها، وقد كشف عن وجود فيروسات الحاسوب الأولى كين تومبسون سنة 1983.

ويستخدم مصطلح الفيروسات للدلالة على برامج صغيرة تلحق نفسها بملف ما وتقوم بإعادة إنتاج نفسها (تكاثر) وتتميز بسرعتها في إعادة إنتاج نفسها وتظل كامنة في بعض البرامج بانتظار تاريخ أو حدث معين لتقوم بحركتها وتنسخ نفسها من ملف إلى أخر، ومن جهاز حاسوب إلى أخر وتعمل بشكل مستقل عن ملفات التشغيل الأخرى وتقوم بالسيطرة على الذاكرة ومساحة القرص[20].

***القرصنة:**

هي عملية الدخول إلى الأنظمة المعلوماتية من طرف أصحاب الخبرة وهم عادة مبرمجون غير مسموح لهم بالدخول إلى تلك الأنظمة، يهدفون إلى كسر الحواجز الأمنية المحيطة بها.

يستغل القراصنة نقاط الضعف في الجوانب الأمنية لمواقع الشبكة العنكبوتية / الويب، فيحصلون على فرص للدخول إلى البيانات الخاصة بالمؤسسات، مثل المعلومات الخاصة عن الزبائن، وكلمات المرور. وقد يستخدم هؤلاء القراصنة أنواع من الفيروسات، مثل حصان طروادة، ليتظاهروا بأنهم برمجيات مشروعة اعتيادية لغرض الحصول على معلومات من الحاسوب المضيف [21].

ويصنفون على النحو الأتي:

- الهاكر (hacker): المتسلل وهو شخص بارع في استخدام الحاسب الآلي و برامجه والاتصالات، ولديه فضول في استكشاف حسابات الآخرين وبطرق غير مشروعة، و الهاكر كما يدل على ذلك اسمهم هم متطفلون يتحدون إجراءات امن نظم الشبكات.

- الكراكرز (Crackers): المقتحم وهو شخص يقوم بالتسلل إلى نظم الحاسوب للاطلاع على المعلومات المخزنة فيها أو لإلحاق الضرر أو العبث بها أو سرقتها [22].

3_ الأخطار البيئية:

وتشمل هذه الأخطار الزلازل والعواصف والفيضانات والأعاصير و المشاكل المتعلقة بأعطال التيار الكهربائي والحرائق، إضافة إلى المشاكل القائمة في تعطل أنظمة التكيف والتبريد وغيرها، وتؤدي هذه الأخطار إلى تعطل عمل هذه التجهيزات وتوقعها لإجراء الإصلاحات اللازمة واسترداد البرمجيات وقواعد البيانات [23].

4_ مشاكل جودة النظام:

فضلا عن الكوارث والفيروسات و الخروقات لأنظمة المعلومات هناك أيضا تخلف البرمجيات والبيانات الناقصة والتي تسبب تهديدا " دائم" لنظم المعلومات مسببة خسائر لا مثيل لها في الإنتاجية والخطأ غير المكتشف في برمجيات ائتمان المعلومات أو البيانات المالية الخاطئة يمكن أن ينتج عنه خسائر بملايين الدولارات فضلا عن العطلات أو الأخطاء في البرمجيات وضعف البيانات كمدخلات [24].

أخطار معلوماتية أخرى:

- ✓ عدم وجود مسؤولية واحدة: إذا كان الحاسوب مشترك من قبل عدد من المستخدمين لا احد يعلن مسؤوليته المنفردة للصيانة أو الإشراف أو السيطرة على الجهاز.
- ✓ عدم وجود التدقيق: إذا كانت هناك مشكلة، فمن غير الممكن معرفة من الذي وصل للجهاز؟ ومتى؟.
- ✓ عدم وجود نسخ أخرى: حتى المستخدمين أصحاب الخبرة ينسون عمل نسخ إضافية للملفات المهمة، وكذلك الأمر بالنسبة للمستخدمين الجدد وذلك لقلة خبرتهم.
- ✓ درجة عالية من التنقل بالنسبة للحاسوب الشخصي ، مما يخلق مشاكل كبيرة.
- ✓ دمج الواجبات: وما ينتج عنه من ضعف في التدقيق والموازنة.

سادسا_ مجالات للخطر المعلوماتي:

1_ الملفات الورقية:

على الرغم من استخدام النظم الحاسوبية إلا أن الملفات الورقية مازالت تمثل نسبة كبيرة من الملفات المستخدمة في اغلب المنظمات، وأهم التهديدات الممكنة في هذا المجال مثلا: عدم تصنيف الملفات على النحو الذي يمكن معه معرفة مدى سرية المعلومات التي تنطوي عليها ومن ثم حفظ هذه الملفات بشكل منفصل في مواقع أمينة أو في خزانات مقفلة.

2_ المعطيات:

تعد العنصر الأساسي للأنظمة وتشمل كافة البيانات المدخلة والمعلومات المستخرجة عقب معالجتها، وتمتد بمعناها الواسع للبرمجيات المخزنة داخل النظم و المعطيات، قد تكون في طور الإدخال أو الإخراج أو التخزين أو التبادل بين النظم عبر الشبكات و قد تخزن داخل النظم أو على وسائط التخزين خارجه.

و من الأمثلة على التهديدات التي تتعرض لها المعلومات:

- ✓ الحذف أو النسخ.
- ✓ التشويه الناتج عن مشاكل الأجهزة والبرامج.

- ✓ السرقة.

3_ الأجهزة :

المخاطر التي تصاحب كافة المعدات والأدوات المادية التي تتكون منها النظم كالشاشات والطابعات ومكوناتها الداخلية ووسائط التخزين المادية وغيرها[25].

ومن الأمثلة على هذه التهديدات:

- ✓ الاستخدام الخاطئ أو التصرف الغير سليم أو الحماية غير الجيدة .
- ✓ العبث أو التدمير من موظف في عمل الأجهزة والمعدات.
- ✓ السرقة (الحاسوب، أو الطابعة أو الموارد الأخرى).

4_الاتصالات:

وتشمل شبكات الاتصال التي تربط أجهزة التقنية بعضها بعض محليا و نطاقيا ودوليا، وتتيح فرصة اختراق النظم عبرها، كما أنها بحد ذاتها محل للاعتداء وموطن من مواطن الخطر الحقيقي .

ومحور الخطر الفرد سواء المستخدم أو الشخص المناط به مهام تقنية معينة تتصل بالنظام فإدراك هذا الشخص حدود صلاحياته وإدراكه آليات التعامل مع الخطر وسلامة الرقابة على أنشطته في حدود احترام حقوقه القانونية مسائل رئيسية يعنى بها نظام الأمن الشامل تحديدا في بيئة العمل المرتكزة على نظم.

5_ البرامج:

وتشمل الأوامر المرتبة في نسق معين لانجاز الأعمال وهي إما مستقلة عن النظام أو مخزونة فيه.

- ✓ حذف برنامج عرضيا أو عن غير قصد.
- ✓ سرقة برنامج.
- ✓ تشويه برنامج، إما نتيجة عطل في الأجهزة أو غيرها.
- ✓ عيوب ومشاكل البرامج.

سابعا_ الإجراءات اللازمة لمواجهة المخاطر المعلوماتية:

يمكن للمديرين حماية أنفسهم وممتلكاتهم عن طريق اختيار ضوابط أمنية وقوية وذات صلة بأنظمة المعلومات الخاصة بمؤسساتهم، والخطوة الأولى تتضمن الضوابط الأساسية، والضوابط الأساسية هي الضوابط الأمنية الأولية المطلوبة لأي نظام معلومات مرتكز على تصنيف امن النظام وفقا لـ FTPS199، هذه الضوابط هي الحد الأدني الأساسي المطلوب للحفاظ على النظام وتقليص المخاطر القائمة الكاملة للضوابط الأمنية الأساسية الواردة في وثيقة NIST، SP800-53، في حين أن هذه الضوابط ليست ملزمة لكل المؤسسات لكنها تشكل نقطة انطلاق جيدة من اجل ممارسات جيدة التي سترضي الشركاء والمنضمين الخصوصيين لحد كبير[26].

ومن الإجراءات المهمة التي يجب على الإدارة اتخاذها لتحقيق وتعزيز امن المعلومات ما يلي:

أ_ أمن الأفراد:

يمكن تحديد ثلاثة مستويات للتحكم في دخول الأفراد إلى موقع مصادر إدارة المعلومات، وهذه المستويات هي:

- الموقع (موقع المؤسسة).
- المبنى (أين توجد أقسام إدارة المعلومات).
- الغرفة (المكتب).[27]

وهنا تجدر الإشارة إلى المهام الإدارية والشخصية، فمهام المتصلين بنظام امن المعلومات تبدأ في الأساس من حسن اختيار الأفراد المؤهلين وعمق معارفهم النظرية والعملية على أن يكونوا مدركين أن التأهيل العلمي يتطلب تدريبا متواصلا ولا يقف عند حدود معرفة وخبرة هؤلاء لدى تعيينهم، وبشكل رئيسي فان المهام الإدارية أو التنظيمية تتكون من ستة عناصر رئيسية:

- تحليل المخاطر.
- وضع السياسة أو الإستراتيجية.
- وضع خطة الأمن.
- وضع البناء التقني الأمني.
- توظيف الأجهزة والمعدات والوسائل.
- تنفيذ الخطط والسياسات[28].

ب- امن الوثائق والمعلومات:

وهنا يجب على المؤسسة القيام بالإجراءات التالية:

- تصنيف المعلومات (سري للغاية، سري، رسمي، محدود، فئة غير مصنفة).
- إجراءات حفظ البيانات، والأشرطة والأقراص الممغنطة.

ج_ امن الاتصالات:

يمكن تقسيم امن الاتصالات بشكل عام إلى العناصر التالية:

- امن خطوط الاتصالات السلكية.
- امن خطوط الاتصال اللاسلكية.

ويفضل أن تمر خطوط الاتصال بأقل عدد ممكن من البدالات أو نقاط التحويل وكلما اقترب خط الاتصال إلى الخط مباشرة كلما قلت التهديدات، بالإضافة إلى عدم ترك مواقع الخطوط الهاتفية التي تمر بها خطوط المعلومات وإحكام عملية الصيانة القائمة عليها وتحديد الأشخاص الذين يسمح لهم بصيانتها.[29]

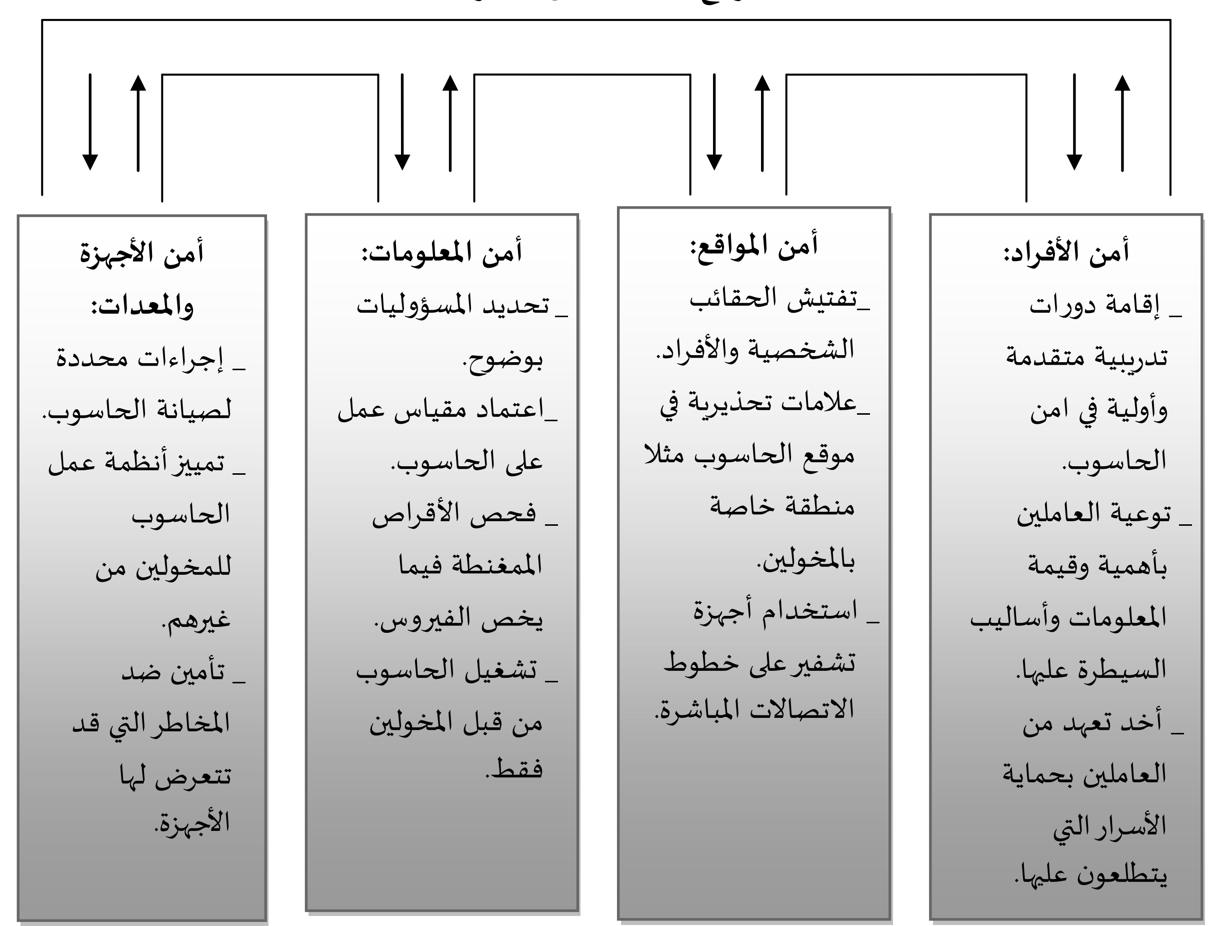
د_أمن الأجهزة والمعدات:

وتتم هذه العملية من خلال ما يلي:

- تمييز أنظمة عمل الحاسوب للمخولين من غيرهم.
- التامين ضد المخاطر التي تتعرض لها الأجهزة مثل توفير برامج الحماية الحاسوبية (Anti Virus).

والشكل التالي يوضح نموذج لأمن المعلومات[30]:

نموذج متكامل لأمن المعلومات



المصدر: _ نجم عبد الله الحميدي وآخرون، **نظم المعلومات الإدارية، مدخل معاصر**، دار وائل، عمان، 2005، ص 271.

ولنجاح عملية بناء إستراتيجية للأمن المعلوماتي يجب أن يأخذ بعين الاعتبار رؤية وأهداف وغايات المؤسسة التجارية، كما يجب أيضا أن لا ينظر إليها على أنها فكرة ثانوية، بل يجب أن تصمم وتطور بشكل متوازي مع تطور النظام، وأية طريقة أخرى غير هذه الطريقة ستؤدي لفشل امن المعلومات ولذلك فتحديد أية إستراتيجية فعالة للأمن المعلوماتي يجب أن تكون مخططا لها جيدا وتركيز جهودها ابتداء من على مستوى المؤسسة، ولا ينظر إليها على أنها قضية تكنولوجية أو على أنها مزيج مخصص لحلول تكنولوجية معينة لمشاكل محددة [(31)].

خاتمة:

من خلال ما سبق التعرض إليه في هذا البحث نخلص إلى القول بأنّ المخاطر المعلوماتية التي باتت تهدد نظام معلومات المؤسسة الذي يعد المصدر الرئيسي لاتخاذ القرارات بها، قد عرفت تطورا كبيرا بالموازاة مع التطور الكبير والسريع لاستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصال بها، كما أن لهذه المخاطر أثار سلبية ليس فقط على نظم المعلومات بل على المؤسسة بصفة عامة، هذا ما يستوجب عليها ضرورة القيام بالإجراءات اللازمة لمواجهة هذه المخاطر والحفاظ على أمن معلوماتها التي من خلالها يمكنها النجاح والتطور خاصة وأنها

تعيش في ظل اقتصاد المعرفة، بالإضافة إلى تطوير الأبحاث العلمية الخاصة بأمن المعلومات لان الاهتمام بالجانب القانوني لوحده غير كاف لضمان لحمايته .

❖ قائمة المراجع والمصادر:

01 _Jean François Lemetter: **risque, information et organisation**, 2008, l'harmattan, paris, p18.

02_ Ludovic François et autres: **la gestion du risque informationnel, éléments de caractérisation**, 2005, l'harmattan, paris, p13.

03_ Eloff Jan H.P: **Advances In Information Security Management And Small Systems** Security, Hingham, 2001, USA, p14.

04_ علي مصطفى: **نظم المعلومات وإدارة المؤسسات**، 2006، دار الرضا، دمشق، 03.

05_ محمد عبد حسين آل فرج الطائي: **الموسوعة الكاملة في نظام المعلومات**، عمان، 2000، ص 265.

06 _Gérard Cliquet et autres: **Encyclopédie de la gestion et du management**, 1999 Dalloz, Paris, 1180.

07_ Davide Autissier et autres: **L'Atlas du management, l'encyclopédie du management**, 2010 Éditions d'organisation, paris, p 275.

08_ فريد فهمي زيارة: **المقدمة في تحليل وتصميم النظم**، 2010، دار اليازوري، عمان، ص 112، 113.

09_ Davide Autissier et autres, op. Cit, p275.

10_ Gérard Cliquet et autres, op. Cit, p1180.

11_ ادوارد ب، بورود، زيكيس، تر: احمد المغربي: **إدارة المخاطر والأزمات والأمن**، 2008، دار الفجر، القاهرة، ص 07.

12- Olivier Hassid: **la Gestion Des Risque**, 2ed, 2008, Dunod, Paris, p02.

13_ Stewart Mitchell: **Managing Information Risk,** a director's guide, 2009, Combs, united Kingdom, p05-10.

14_ جمال محمد غيطاس: **الأمن المعلوماتي والجرائم الالكترونية: وسائل جديدة للصراع**، فيفري، 2012، مركز الجزيرة للدراسات، ص03، http ://studies.aljazeera.net

15 _AMRAE, CUSIF: **RM et RSSI (Risk manager et responsable sécurité du système d'information),** 2006, p22, www.clusif.asso.fr 15/05/2013.

16_ عدنان الشوابكة: **دور نظم وتكنولوجيا المعلومات في اتخاذ القرارات الإدارية**، 2011، دار اليازوري، عمان، ص285.

17_ دلال صادق، حميد ناصر الفتال: **أمن المعلومات**، 2008، دار اليازوري، عمان، ص16،15.

18_ المرجع نفسه، ص15.

19_ محمد عبد حسين آل فرج الطائي: **نظم المعلومات الإدارية المتقدمة**، دار وائل، عمان، ،2004، ص158.

20_ عبد الحميد بسيوني: **الحماية من أخطار الانترنيت**، 2003، دار الكتب العلمية، القاهرة، ص123.

21- عامر إبراهيم قنديلجي، إيمان السامرائي: شبكات المعلومات والاتصالات، دار المسيرة، عمان، 2008، ص177.

22_ هيثم الشبلي: إدارة مخاطر الاحتيال في قطاع الاتصالات، دار صفاء، عمان، 2008، ص.44

23_ نجم عبد الله الحميدي وآخرون: **نظم المعلومات الإدارية، مدخل معاصر**،دار وائل، عمان، 2005، ص267.

24_ ندى إسماعيل جبوري: حماية **امن أنظمة المعلومات، دراسة حالة في مصرف الرافدين**، مجلة تكريت للعلوم الإدارية والاقتصادية، مجلد 07، ع 21، 2011، ص77.

25_ منير محمد الجنيهي، ممدوح محمد الجنيهي: **امن المعلومات الالكترونية** ،2006، دار الفكر الجامعية، القاهرة، ص14.

_ Stewart Mitchell, op cit, p40,43. 26

27_ دلال صادق، مرجع سابق، ص48.

28_ منير محمد الجنيهي، ممدوح محمد الجنيهي، مرجع سابق، ص16.

29_ دلال صادق، مرجع سابق، ص 58.

30_ نجم عبد الله الحميدي وآخرون، مرجع سابق، ص 271.

31_ Eloff Jan H.P., op cit, p14.

AMRAE : association pour le management des risques et des assurances en entreprise.

CLUSIF : club de sécurité des systèmes d'informations français.

SP800-53: المعهد الوطني للمعايير والتكنولوجيا (الولايات المتحدة الأمريكية)، النشرة الخاصة رقم 53-800، المتعلقة بضوابط الأمن الموصى بها لأنظمة المعلومات الاتحادية (ديسمبر، 2007).

تمثلات الشباب لبعض مقومات الهوية الثقافية بمنطقة الأوراس

أ. راجية بن علي
جامعة باتنة

الملخص:

تهدف دراستنا هذه للكشف عن تمثلات شباب منطقة الأوراس لبعض مقومات الهوية المحلية كالعرش (القبيلة) و الجماعة (التنظيم الذي يحكمه) و اللغة الامازيغية. المحاور المدروسة دارت حول تمثلات الشباب لهذه البنيات التقليدية، مدى شعورهم بالانتماء إليها و تمثيلها لهم (فيما يخص الجماعة التي لا تزال تؤدي مجموعة من الأدوار في هذه المنطقة)، مدى التزامهم بقوانينها و رؤيتهم للغة و مجالات استخدامها. كما حاولنا أن نتعرف أيضا على تمثلاتهم للدولة و مؤسساتها لنعرف كيف يتموضع شباب هذه المنطقة و يبني هويته بين التقليدي و الحديث.

الدراسة الميدانية تمت بولاية باتنة مع مجموعة من الطلبة الجامعيين و كشفت أن الشباب لا يزال متمسكا ببعض مقومات الهوية الثقافية التي تمنحهم نوعا من الأمان الاجتماعي في ظل غياب بعض الضروريات التي من المفروض ان توفرها الدولة، لكن التغير الاجتماعي و التطور التكنولوجي لا يجعلهم متمركزين حولها و يفرض عليهم الانفتاح على غيرها.

Abstract

Our study aims to explore representations of young people towards certain traditional elements of local identity present until now in the Aures region as: the tribute, her (djama'a) and the Amazigh language. The questions revolve around the way they look at the first two structures, their sense of belonging and commitment to instances and laws of djama'a and use of chawi. We also try to see their representations to the institutions of the state to see how they position themselves and build their identities between the traditional and the modern.

The study is conducted in the wilaya of Batna with university students. The results show that the traditional structures give young people a sense of social security, especially in difficult situations, but do not represent either. On the other hand,
the modern institutions of the state which hastheir opinions must represent them do not answer has their needs and their waiting's.

Keywords: Youth, identity, representations, traditional structures.

مقدمة:

يعد موضوع الهوية من أصعب المواضيع و أكثرها تعقيدا و تركيبا للتناول العلمي و هذا لأسباب عدة، منها ما يتعلق بتعدد التخصصات التي تهتم بدراسته كالفلسفة، علم الاجتماع، الانثروبولوجيا، العلوم النفسية و السياسية...، ومنها ما يرتبط بطبيعة المصطلح في حد ذاته والذي يقع بين الذاتي (الفردي) والجماعي (الاجتماعي)، الثابت و المتغير، الواحد والمتعدد، إضافة إلى ما يخضع له اليوم هذا المصطلح من تأثيرات و جدل ناتج عن العولمة، ما يثير إشكالية تحديد مفهوم متكامل له.

وحتى إن لم يكن هناك اتفاق بين الباحثين على تحديد مفهوم جامع مانع للهوية فقد توافقت معظم التعاريف على القول بان الهوية هي ما يميز الفرد أو المجتمع عن غيرهم من الأفراد و المجتمعات، وعلى أنها تعتبر من السمات المميزة في تشكيل الشخصية الفردية والمجتمعية. فهي التي تبرز معالم التطور في سلوك الأفراد وإنجازاتهم في المجالات المختلفة، و تجسد الطموحات المستقبلية في المجتمع، كما أنها تنطوي على المبادئ والقيم التي تدفع الإنسان إلى تحقيق غايات معينة.

وقد شغلت قضية الهوية بال المفكرين والعلماء والمثقفين بشكل خاص في العشريات الأخيرة لما أنتجته الحداثة و العولمة من تأثيرات متعددة على الهويات المحلية، الوطنية و الثقافية. حيث تماهت المقومات التقليدية التي كانت تبنى عليها الهوية و تفاعلت مع التغيرات العالمية، خاصة لدى فئة الشباب الذي يعد من أكثر الفئات عرضة لها، لتفتح المجال واسعا للتساؤل عن تكوين هويتهم اليوم.

1- الاشكالية:

الملاحظ للمجتمع الجزائري الحالي يجد أنه و برغم التحولات و التغيرات الكثيرة التي مّر بها، إلا أنه في أعماقه لا يزال محافظا على بعض البنيات التي يمكن أن نجدها في المجتمعات التقليدية كالقبيلة، العشيرة والجماعة في عز تواجد مؤسسات الدولة التي تعد من أحدث الأنساق السياسية التي استطاع أن يتوصل إليها الإنسان المعاصر.

والقبيلة أو العرش (كما هو متعارف عليه عاميا) هو مجموع الأفراد الذين لهم جد مشترك، مكان محدد يعيشون فيه، لهجة أو لغة محددة و يطبقون أنماط اجتماعية و ثقافية مشتركة يترتب عليها سهولة التفاعل الاجتماعي بين أعضائه. و هي بهذا بنية تقوم على احتواء الأفراد بفعل انتماءاتهم العرقية و إمدادهم بهويات اجتماعية محددة. و يتميز كل عرش بوجود تنظيم رسمي يعرف بـ: الجماعة Djma'a تعمل على سيرورته و تأكيد وحدته و تماسكه الاجتماعي و بالتالي المحافظة على كيانه و استمراره. و يمكن تمثيل الجماعة بجمعية أو بمجلس يقوم بمختلف الأدوار الاستشارية، التشريعية، و التنفيذية التي تخص مجموع الأفراد الذين ينتمون للعرش، كما تحدد الى حد ما علاقاتهم بالأفراد في جماعات و عروش أخرى.

طبيعة المجتمع الجزائري التقليدي المعروف بخصائصه البطريرقية، بتماسكه و بتمركز معظم أفراده في الريف، و توزعهم عموما وفق ملكيتهم للأرض التي تمثل الأساس الاقتصادي للحياة (C. Chaulet) و التي كانت ضمن نظام العروشية، إضافة إلى المقاومة التي أبداها لمختلف المؤسسات الفرنسية إبان الاستعمار، جعل هذه التنظيمات تلعب دورا هاما في إمداد الأفراد بهويات متميزة و مستقلة إلى حد معين.

لكن الهوية تتميز بالتحول و التغير تبعا لتحول الواقع الاجتماعي، و الجزائر المستقلة عرفت العديد من التغيرات الاجتماعية نتيجة موجة النزوح الريفي المكثف، التمدن، التصنيع، الهجرة بنوعيها الداخلية والخارجية، آثار التكنولوجيات الحديثة و العولمة...الخ، ما يدفعنا لان نتوقع أن الروابط القائمة على أساس قبلي ضعفت في المدن التي يلتقي فيها أعراق و جماعات مختلفة من جميع ربوع الوطن. و أن الهوية المبنية على الأساس القبلي تماهت في هويات أخرى. إلا أن الملاحظ للمجتمع الجزائري، خاصة في بعض المناطق، يجد أن التنظيمات التقليدية لا تزال موجودة و أنها لا تزال تلعب دورا هاما على المستوى الشخصي، المحلي و حتى الوطني[1]. إذ لا نزال مثلا في منطقة الاوراس نسمع لحد اليوم أسئلة حول العرش الذي ننتمي له حين نعرف بأنفسنا. فالسؤال "واش اتكون" يأتي دائما لنستكمل به المعطيات الأولى التي تكون هويتنا. و من هنا جاءت دراستنا هذه لتكشف عن التمثلات التي يحملها شباب العوالم الافتراضية لبعض مقومات الهوية المحلية في فضاء ما زال ولاءه متبلورا حول العرق، القبيلة و الجماعة؟ و عن محل المواطنة التي تنطوي تحت مفهوم الانتماء للدولة قبل أي انتماء آخر بالنسبة لشبابنا؟ و هذا من خلال طرح التساؤلات التالية

- كيف يتمثل شباب منطقة الاوراس البنيات التقليدية كالعرش و الجماعة؟
- هل يلتزمون بالقوانين التي تصدرها الجماعة؟ كيف ينظرون لها و متى يلجؤون إليها؟
- كيف يتمثلون اللغة الامازيغية و استخداماتها ؟
- كيف ينظرون للدولة و لمؤسساتها ؟

2- أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية لتحقيق مجموعة من الأهداف نصيغها بالشكل التالي:

- الكشف عن تمثلات الشباب لبعض مقومات الهوية الثقافية المحلية و الممثلة في هذه الدراسة في العرش و "الجماعة" و اللغة الشاوية.
- الكشف عن تمثلاتهم للدولة و مؤسساتها في ظل تواجد البنيات التقليدية ؟

3- أهمية الدراسة:

قد يبدو للبعض أن موضوع استقصاء تمثلات الشباب حول بعض المقومات التقليدية للهوية في عصر الانفجار التكنولوجي و العولمة لا يعد من مواضيع الساعة. هذا لان الاعتقاد باستمرار وجود تنظيمات كالقبيلة و الجماعة في المجتمعات المعاصرة هو تعبير عن تقهقر اجتماعي يشكل عائقا في وجه التطور الذي من المفروض انه يكون واقع الشباب. إلا أننا إذا تفحصنا المجتمع الجزائري نجد أن التغاضي عن مثل هذه المواضيع لا يعطي الصورة الحقيقية للمجتمع الذي ينشأ فيه شبابنا و يكتسب من خلاله هويته.

فالبنيات التقليدية في الجزائر المعاصرة لا تزال حاضرة، و هي تمثل مرجعية هامة في اتخاذ القرارات، عقد التحالفات وإمالة الكفة في الميادين المختلفة خاصة السياسية منها. كما أنها من الجانب النفسي للأفراد لا تزال تشكل حالة شعورية تملي إحساسا بالانتماء والهوية الاجتماعية والثقافية، ما يثبته ذكر الانتماءات والاعتزاز بالأنساب سواء على المستوى الفردي أو الجماعي. و بالتالي فالبحث في مثل هذه

المواضيع يعتبر من الأهمية بما كان، خاصة في الوقت الحالي الذي كثرت فيه الإيديولوجيات، و أضحت فيه ثقافة المجتمع الذي ينشا فيه الشباب خليط من الفلسفات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية.

4- فرضيات الدراسة:

انطلقنا في دراستنا هذه من فرض مفاده أن تعدد الجماعات التي ينتمي لها الشباب اليوم، و ظهور مؤسسات الدولة المختلفة (التشريعية، التنفيذية، القضائية..) التي تأخذ على عاتقها الأدوار التي كانت تلعبها التنظيمات التقليدية سابقا، إضافة إلى التغيرات الكثيرة التي عرفها العالم عموما و المجتمع الجزائري خصوصا تعد عوامل كافية لدفع الشباب للابتعاد في تمثلهم لهويتهم عن بعض مقومات الهوية المحلية التقليدية و التوجه نحو اختيارات أخرى.

5- التناول النظري:

نصبو من خلال دراستنا هذه للتعرف على تمثلات الشباب لبعض مقومات الهوية المحلية و هذا لان التمثلات وفق موسكوفيسي Moscovisi تعتبر محددات و مؤثرات في الهوية الاجتماعية[1]. و سنحاول باختصار في هذا الجزء التطرق لبعض المصطلحات التي وردت في الدراسة. و سنبدأ بتوضيح مفهوم التمثلات حيث يرى موسكوفيسي أن التمثلات هي "نسق من القيم والمفاهيم والسلوكيات المرتبطة بسمات ومواضيع يحدد معالمها الوسط الاجتماعي، وهي لا تسمح فقط بتحقيق استقرار حياة الأفراد والجماعات ولكنها تشكل فوق كل هذا وذاك أداة لتوجيه إدراك المواقف وصياغة الأجوبة على التساؤلات المطروحة". أي ان التمثل هو التفسير الذي يقدم لموضوع معين بحسب المعلومات والتأثيرات الاجتماعية حول هذا الموضوع وأيضا بحسب طريقة بناء وعمل الأفراد لتمثلهم.

و يرجع هذا التفسير عادة إلى درجة تعلم الافراد وقدرتهم على الانتقاد ومدى مسايرتهم لقيمهم وأنساقهم الاجتماعية التي يتواجدون فيها. و يضيف جودلي Jodelet ان التمثلات تضمن المفاهيم والأنساق الاجتماعية والمواقف والاتجاهات والوقائع المنمطة والتصورات والاتصالات والمعتقدات والأحكام المسبقة. فهي بذلك ملتقى لمختلف أنماط المعارف التي يكونها الفرد حول موضوع معين،

اما بالنسبة للقبيلة فالدارس للمجتمع الجزائري يلاحظ أنه في فترات ليست بالبعيدة - و لحد الآن في بعض المناطق- يمتاز في تكوينه البنيوي بنظام القبائل أو ما يعرف بالعامية بالعرش أو العروش. و العرش هو مجموع الأفراد الذين لهم جد مشترك، مكان محدد يعيشون فيه، لهجة أو لغة محددة و يطبقون أنماطا اجتماعية و ثقافية مشتركة يترتب عليها سهولة التفاعل الاجتماعي بين أعضائه. جرمان تيون G Tillon تمثل العرش في الاوراس بالجمهورية الصغيرة[2] التي يلتف حولها الأفراد بعيدا عن باقي المؤسسات النظامية الأخرى الموجودة آنذاك[3]، حيث تعمل هذه البنية عموما على تأكيد دور العائلة من خلال ضمانها للتكافل الاجتماعي بين أفرادها، الأمن الداخلي و الخارجي، تمثيل الأفراد، تنظيم الزواج، الطقوس الدينية، النشاط السياسي...الخ. كوت M. Cote يعرفه كالآتي : " مجموعة اجتماعية تدعي أنها تنتمي لجد واحد، لها تاريخ مشترك، و لها لقب واحد. لها رقعة جغرافية، و لها تنظيم داخلي خاص، لها حقوق معهودة و لها كذلك

مصالح مشتركة. كما أنها وحدة سياسية تتبلور أكثر أثناء التعارض مع جماعات أخرى"[1]. و منه فالانتماء لنفس الأصل، الوحدة المكانية، التضامن العائلي، التسلسل القرابي، اللهجة او اللغة المشتركة و التنظيم الموحد تعتبر أهم الصفات التي تميز العرش.

بوشمال يضيف في تعريفه للعرش: " تنظيم داخلي خاص، يتكون من إقليم أعضاؤه لهم عادات ومصالح مشتركة خاصة من الجانب الاقتصادي و السياسي العسكري. بداخل كل مجموعة تكون السلطة من مهمة الجماعة المكونة من رؤساء العائلات، تأخذ القرارات الداخلية المتعلقة بحياة العرش و تجيب عنه في خارج العرش"[2]. هذا التعريف يضيف للمحددات السابقة وجود هيئة خاصة، مكونة من رؤساء العائلات، تأخذ على عاتقها لعب دور السلطة، هذه الهيئة هي: الجماعة[3].

هذه الأخيرة تحرص على تنظيم علاقات أفراد العرش و تسيير أموره الداخلية و الخارجية. و ما تقضي به الجماعة يسير على كل الأفراد دون حيف أو محاباة، كما أن أسر العرش كانت تؤكد الولاء للجماعة أكثر من تأكيدها على استقلالها الفردي ما يساعد على تبلور هوية متميزة ووعي قوي بالخصوصية لدى الأفراد. بالنسبة لتكوينها، فان الجماعة تتكون عموما من رجال مسنين، ينتمون عادة لعائلات غنية بالرجال. و هذا راجع لما يسمح به هؤلاء و ما يوفرونه من قوة عسكرية، سياسية واقتصادية. إضافة إلى السمعة الطيبة و رجاحة العقل و رأي الفرقة التي ينتمي لها أو يمثلها الفرد، و التدين أو بتعبير أصح حفظ القرآن، والذي يستخدم للدلالة عليه عموما في منطقة الأوراس مصطلح "قاري[4]". فقط نشير إلى أن شرط السمعة الطيبة يتجاوز سمعة الفرد نفسه ليشمل سمعة كل العائلة أو الفرقة التي يمثلها بما فيها أساسا سمعة نسائها. كما أن العضوية في بعض الأعراش تورث فتنتقل من الأب المتوفى إلى ابنه أو إلى أخيه.

أما فيما يخص أدوارها، فالجماعة خاصة في الاوراس تجتمع دون مواعيد معينة سابقا و لا بروتوكولات محددة، بل حسب الحاجة لها و الظروف المعاشة في العرش. و يكون مكان اجتماعها غالبا في المسجد، حيث تعمل على حماية الحقوق الإقليمية، كالحقوق اتجاه الأرض، الطرقات، المقابر، الآبار والمراعي- مع الأعراش المجاورة، كما تسن بعض القوانين التي تسير حياة العرش اليومية و تضبطه اجتماعيا كتسيير الأراضي داخل العرش، الماء، شق الطرق، السقي، الزواج شروطه، محدداته، القيام بالطقوس الدينية...الخ. تتدخل الجماعة أيضا لحل المشاكل التي تواجه أفراد العرش، و تأخذ على عاتقها مهمة تمثيلهم سواء داخل العرش نفسه أو خارجه.

الجماعة اذن في المجتمع الجزائري التقليدي كانت تمثل في شكل مصغر خصائص التنظيم الحضري، إذ تأخذ على عاتقها الأمور السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية التي تخص القبيلة. فهي تقرر، تشرع، تحكم، تنفذ، تفصل و تنظم كل الأمور التي تخص العرش كبنية من البنى الأولية التي ينتمي لها الأفراد. ما يولد لديهم الشعور بالولاء لهذه الهيئة و بالانتماء للقبيلة، و ما يجعل الفرد في المجتمع القبلي يحس بشعور فعال و قوي إزاء بقية أفراد قبيلته خاصة في حالات التنافس أو الصراع مع غيرها من القبائل[5].

لكن العرش و الجماعة كبنيات اجتماعية هي منتوج اجتماعي يعكس صورة المجتمع الذي تقوم فيه. ففي مجتمع ثابت ستاتيكي تبقى هذه الأخيرة ثابتة غير متغيرة، لكن في مجتمع يعرف التغير و التحول الاجتماعي- كما هو الحال في جزائر اليوم- تنحو البنيات الاجتماعية منحى المجتمع و تتأثر بالتغيرات الاجتماعية و تتحول مع ريتم و ظروف حركة المجتمع. و هذا ما حصل في الجزائر، إذ حاولت الدولة بمؤسساتها المختلفة، و منذ الاستقلال إقامة مجتمع عصري متجانس قائم بصفة خاصة على مقومات وطنية مشتركة، لا على أساس الانتماءات القبلية بهدف بلوغ "التطور". كما أن التغيرات المختلفة التي لم تكن مخططة و التي تعرض لها المجتمع الجزائري، إضافة إلى آثار التكنولوجيات الحديثة و العولمة قلصت من دور التنظيمات التقليدية وجعلت الشباب خاصة عرضة للعديد من التيارات التي تساهم في بناء هويته. هذا ما يجعلنا نتصور ان الشباب الذي لم يعش حقيقة في كنف هذه المؤسسات التقليدية لا يمكنه الرجوع لها و لا اعتبارها مقوما في هويته بالنظر لكل التيارات التي تتجاذبه اليوم.

6 - اجراءات الدراسة الميدانية:

أ) منهج الدراسة:

استخدمنا في دراستنا هذه المنهج الوصفي التحليلي لاعتقادنا بأنه انسب المناهج للإجابة على تساؤلات الدراسة و التحقق من فرضياتها.

ب) أدوات الدراسة:

بغرض الاطلاع على تمثلات الشباب و الإجابة على الأسئلة المطروحة قمنا بدراسة اعتمدنا فيها على إجراء مقابلات جماعية موجهة و نصف موجهة حيث احتوت بطاقة المقابلة عموما على المحاور التالية:

- تمثلات الشباب حول العرش الذي ينتمون اليه.
- تمثلاتهم حول الجماعة (ادوارها، قابليتهم للالتزام بقوانينها و اللجوء اليها).
- تمثلاتهم للغة الشاوية و استخدامها.
- تمثلاتهم للدولة الحديثة و مؤسساتها؟ و هل أن البنيات التقليدية بإمكانها أن تحل محلها ؟

ج) عينة الدراسة:

تم اجراء الدراسة مع عينة مكونة من 60 طالب جامعي (28ذكور و 32 إناث) تم تقسيمهم لمجموعتين. اختيار العينة كان بطريقة عرضية ضمن الطلبة الذين وافقوا على اجراء هذه المقابلات، حيث تم طرح اسئلة المقابلة و جمع استجابات الطلبة عن طريق التسجيل. تراوحت مدة المقابلات حوالي الساعة و النصف.

7- نتائج الدراسة :

ا – التحليل: قسّم التحليل إلى مجموعة من المحاور، نعرضه بشكل ملخص فيما يلي:

المحور الأول: العرش

من خلال المقابلات تبيّن أن اطلاع الشباب على الجانب التاريخي للعروش التي يتنمون اليها ضئيل جدا. فباستثناء اسم العرش، و المكان الذي يتمركز فيه (الدوار) بالنسبة لبعضهم، غالبية الطلبة ان لم نقل كلهم لا يعرفون تاريخ القبائل التي ينتمون اليها، و لا الفرق التي تكونها، و لا من هو الولي الذي عادة ما يطلق اسمه

على العرش، و لا من أين جاء و كيف حل بالمنطقة. و مقابل بعض الروايات التي ارتبطت ببعض قدرات الاولياء و التي اشار لها القلة تحدث معظم الطلبة عن "مخلفات استعمار" أو "جهل" أو"أساطير و خرافات" على حد قولهم و بنوع من الاستهزاء و السخرية خاصة فيما يخص الولي الذي اسس العرش، قدراته والاحتفالات التي تقام على ضريحه.

من جانب آخر لمسنا أن الروابط بين الشباب الذين ينتمون لنفس العرش قوية و بها نوع من التعصب، فهم غالبا ما يستعملون ألفاظ كـ: " ابن عمي، بنت عمي، نتاعنا، من عندنا، لينا..." مما يدفع للقول أن هذه وضعية تجاذب Position d'ambivalence يعيشها الشباب فيما يخص انتماءاتهم القبلية. فهم لا يعرفون القبائل التي ينتمون لها جيدا، يرون أنها من مخلفات الاستعمار، أن الإسلام مثلا نهى عنها و أن عصر العولمة اليوم يفرض التخلي عن هذه التعصبات الرجعية إلا أنها لا تزال تكون احد مقومات هويتهم.

المحور الثاني: الجماعة:

بالنسبة لـ"الجماعة" كمفهوم أو كمصطلح فهم يعرفونه جيدا و يعرفون مهامها و أشار بعضهم الى أن أولياءهم يشاركون في بعض الاجتماعات التي تنعقد بين الحين و الآخر. و الجماعة بالنسبة للشباب هي منظومة قبلية تسيّر مصالح الأفراد و تضبط علاقاتهم، كما تكفل لهم التكافل و التضامن الاجتماعي لتحقيق نوع من المساواة و العدالة الاجتماعية.

و قد كان التضامن الاجتماعي أهم عمل استحسنه كل الشباب و رأوا أنه يغني الفقراء و المساكين إلى اللجوء إلى هيئات رسمية "غير قادرة على التكفل بهم" خاصة في الشدائد و أوقات العوز. أما فيما يخص حل النزاعات أبدى الجميع تأييده لفكرة حل النزاعات على مستوى العائلات دون إقحام للمؤسسات الرسمية أو للدوامة القضائية في الأمر، مع تحفظ من جانب الإناث عن كيفية حل بعض النزاعات الزوجية في إطار الجماعة، حيث غالبا ما تلزم المرأة على العودة إلى بيت الزوجية حتى دون رضا منها من أجل تفادي الشقاق بين أهل العرش أو عدم الأخذ برأي الجماعة.

و عاب الشباب على الجماعة التدخل في أمور علائقية خاصة مثل الزواج و مراسيم الاحتفال به، إذ استنكروا بعض القوانين الموضوعة في هذا الإطار في بعض العروش، كعدم إحضار الفرق الموسيقية، عدم استخدام الكاميرا و تحديد المهور بالنسبة للاناث.

و رغم الاعتراف ببعض الأدوار الايجابية للجماعة خاصة في ظل غياب أو تقاعس مؤسسات الدولة، فالشباب المستجوب في معظمه يرى أن فعالية هذا التنظيم الاجتماعي التقليدي ضعيفة إلى حد كبير لأن " الزمن تغير و في عصر الأنترنيت و الهاتف النقال و البرابول... لم يعد من اللائق أن تنفرد مجموعة من الأفراد -بحكم الانتماء لجد واحد أو عرق واحد- بحكم خاص و مجلس خاص، فهذه الطريقة كانت تصلح في السابق و في الأرياف خاصة، أما الآن فالأسرة لم يعد لها كامل الحق في التحكم في أفرادها فكيف لأفراد غرباء أن يتدخلوا في حياة الناس و يسنون القوانين لهم...". كما اعتبروها مكان " يتسلى فيه كبار السن لأن الأحداث الحالية تجاوزتهم"، و اعتبروا أن التزام الكبار بهذه الطريقة راجع لرغبتهم في أن يظل إحساسهم بالقوة والسلطة قائم.

أما فيما يخص الامتثال لما تقضي به الجماعة فنسبة كبيرة من الشباب أبدت رفضها للرضوخ لكل قوانين الجماعة خاصة فيما يتعلق بالأمور الشخصية، كتسيير الزواج مثلا خاصة من طرف الإناث. في نفس الوقت صرح معظمهم بأنه لا يرى مانعا في حالة الحاجة للرجوع إليها، مثلا للبحث عن عمل أو قضاء بعض الأمور الشخصية التي تستدعي تدخل كبار الجماعة أو أفراد من نفس العرش يحتلون مراكز عليا، ليس لأنهم مخيرين لكن وفقهم لان الأمور في الجزائر لا تزال تسيير بهذه الطريقة قبل كل شيء و هذا مع اعطاء العديد من الامثلة.

في نفس النقطة لاحظنا اعتقاد بعض الشباب في أن التملص من القوانين و عدم الالتزام بها قد يعرض لعقاب أو نقمة أو سخط من طرف أولياء العرش الصالحين، و من هذا تكرر بعض الالفاظ ك: "يخرجوا فيه، تعكسلوا، يدعيو اعليه...الخ "، و بعض الأمثلة التي يعرفونها و التي تعطي بعدا روحايا للجماعة.

المحور الثالث: اللغة

بالنسبة للغة فقد تمايزت العينة وفقها لثلاث مجموعات: مجموعة تتحدث الشاوية تتقنها وتستخدمها في حياتها العامة، مجموعة تفهمها آو تفهم معظم كلماتها لكنها لا تتكلمها، و ثالثة لا تفهمها و لا تستخدمها. هذه الأخيرة ضمت شباب من قبائل في منطقة الاوراس لا تتحدث الشاوية أصلا، كما ضمت شباب من قبائل شاوية لكنهم تربوا في أوساط لا تتكلم و لا تستخدم الشاوية ما يبرر وفقهم عدم معرفتهم بها.

معظم شباب العينة اعتبر اللغة الشاوية من مقومات هويتهم التي يجب حفظها و الاعتزاز بها، إلا أنهم اختلفوا فيما يخص مسؤولية الحفاظ عليها بين من يرى أن كل "شاوي" مسؤول على حفظ لغته و ضمان تواترها، و بين من يرى أن المسؤولية لا تقع على عاتق الأفراد فقط بل تستلزم تدخل الدولة باستراتيجيات واضحة و فعالة تختلف عن الاستراتيجيات العقيمة المتبناة حاليا.

حديث الشباب عن اللغة جاء للحفاظ عليها كموروث ثقافي أكثر من إدراجها كمطلب ضروري، لأنه بالنسبة لمعظمهم و بغض النظر عن انتماءاتهم يجب أن نكون واقعيين فالعصر ليس عصر الامازيغية و لا حتى العربية بل عصر الانجليزية. و تعلم لغة لا تفيد لا في المدرسة و لا في العمل و لا في التواصل خارج العائلة اوالأصدقاء الذين يعرفونها يعني انطواء على الذات و تقوقع في عصر أصبح فيه العالم قرية صغيرة.

المحور الرابع: المؤسسات الحديثة

لمسنا من خلال المقابلات عدم ثقة الشباب في ما تمنحه مؤسسات الدولة، فالشهادات الجامعية مثلا التي هم بصدد التحضير لها تفتقد لقيمة حقيقية تؤمنهم. مستقبلهم المهني غير مضمون، ونظرتهم لما بعد الجامعة جد مشوشة لدرجة أنهم غير قادرين حتى على تسطير أهداف على المدى القريب. ضف الى هذا اعتقادهم أن بعض القضايا لا يمكن أن تحل في المحاكم نظرا لعدم نجاعة و فعالية القضاء، تماطله، مصاريفه و حتى التشكيك في عدل الأحكام القانونية و التشريعية المطبقة في المجال القضائي. كما أشاروا إلى أن المؤسسات الحالية – سواء كانت تقليدية أو حديثة- لا يمكنها أن تلبي حاجاتهم و لا أن تكون في مستوى انتظاراتهم و لهذا فالتفكير في "الهروب" (الحرقة) إلى عالم أكثر عدلا و إيمانا بالقدرات الفردية يعتبر رغم خطورته حلا، خاصة بالنسبة للذكور.

ب - المناقشة:

الهوية حاجة إنسانية ضرورية سواء على المستوى الفردي او الجماعي، اذ لا يستطيع الفرد منا و لا حتى المجتمع الذي ننتمي إليه أن يحقق نفسه و لا حاجاته الأساسية في غياب إحساسه بتميزه و بانتمائه لمجموعة متميزة يتقاسم معها مقومات مشتركة. و قد تجمع الأفراد منذ بداية المجتمعات الإنسانية في شكل جماعات بنيت على مقومات مختلفة (العرق، المصاهرة، المصالح، اللغة، الدين..) شكلت مع الزمن هويتهم و ميزتهم عن غيرهم من المجتمعات. و لعل القبيلة تعتبر من بين أقدم صور النظام الاجتماعي الدائم الذي عرفته الإنسانية و التي منحت للأفراد الذين ينتمون إليها هويات خاصة. و قد مثل النظام القبلي مرتكزا هاما من مرتكزات الهوية الجزائرية. حتى انه شكل إبان الاستعمار الفرنسي عنصر مقاومة جد هام، ما دفع بالمستعمر لانتهاج بعض السياسات كالتهجير و الاستيلاء على الأراضي لإضعاف القبائل وحلها، و بالتالي تفكيك مرتكزات المجتمع الجزائري. كما حاولت الدولة الجزائرية المستقلة بهدف التطور الابتعاد عن هذا التنظيمات التقليدية و إقامة مجتمع عصري متجانس من خلال العديد من البرامج و السياسات التي حاولت من خلالها جمع الجزائريين حول الهوية الوطنية وفق تصورها. و رغم ما لاقته و واجهته هذه التنظيمات التقليدية إلا انه لا يمكن لأي باحث موضوعي اليوم أن يقر بزوالها خاصة في بعض المناطق.

دراستنا هذه تضاف للعديد من الدراسات التي تؤكد على بقاء البنيات التقليدية رغم ما عرفته الجزائر من تغير و تغيير. حيث يكشف تحليل المقابلات التي تمت مع الشباب عن تعايش التقليدي و المعاصر في الوقت ذاته من خلال الحضور اللافت لبعض الأنماط والنماذج التي تبدو غير متجانسة. ففكرة الإحساس بالانتماء للعرش بمختلف مقوماته لا تزال تشكل حالة شعورية تملي احساسا بالانتماء والهوية الاجتماعية والثقافية. ما يثبته ذكر الانتماءات و الاعتزاز بالأنساب الذي بدى كرأس مال رمزي بالنسبة لشخصية هؤلاء الشباب. كما أنها (أي الإحساس بالانتماء للعرش) لا تزال تشكل نوعا من الرباط الذي يجمع بطريقة ما بين هؤلاء الشباب، و بين الشباب و الجيل السابق.

في نفس الوقت الشباب المستجوب يعي تمام الوعي أن الرجوع و التمسك بالمؤسسات التقليدية، في وقتنا هذا لن يأتي بالجديد. فكرة التلاحم وتكوين أهداف و استراتيجيات مشتركة، وإعطاء الحق لأي فرد كان للتحكم في حياتهم أو إملاء شروط عليهم، فقط بفعل الانتماء لجد واحد، بدت بالنسبة لهم غير متناسبة ومعاشهم الحالي من جهة، ومع ما يعرفه العالم من تحولات من جهة أخرى. بالمقابل، و في غياب البديل، أي المؤسسات و الاستراتيجيات التي توفر لهم بعض الخدمات التي تقترحها الجماعة كالتكافل الاجتماعي، التضامن في الظروف الصعبة، و التعاضد في حالات المرض أو الحاجة تجعل فكرة الرجوع لهذه البنيات غير مرفوضة، بل مستحسنة. كما أن تدخل الجماعة أو أي فرد من العرش لحصولهم على خدمة معينة أيضا كانت مقبولة.

هذا التموضع بين القديم و الحديث يبرز إشكالية المرجعية الإيديولوجية التي تحتاج للكثير من الاستمرارية و الثبات و التناسق حتى تكون فعّالة و بنّاءة على مستوى الشباب. صورة " العالمية المجردة" لا مكان لها عند الشباب، كما أن الصورة التي توحي بـ "الجماعتية/المحلية" بمفردها هي الأخرى لا مكان لها – لوحدها- بحيث يرفض الشباب تلك الصورة التي تجعلهم حبيسي جماعاتهم و مجموعاتهم الأصلية أو

مرجعياتهم المحلية فقط. هذا النمط و هذه الصورة بالنسبة لهم تتعارض مع تلك الفكرة التي تجعل منهم أفرادا يتمتعون بحقهم في التفرد و الاختلاف، الاتصال و الانفصال. هذا الحق الذي يتغنى به الاتجاه الفرداني الذي تفرضه العولمة و الذي خلق في الشباب الدافع لأن ينفصلوا في انتماءاتهم عن عشائرهم، لكن غياب الإمكانات الاقتصادية، الاجتماعية و السياسية حال دون أن ينجحوا فعلا في هذا الانفصال. مصطفى بوتفنوشت يفسر هذه الوضعية بالقول : " في مجتمعاتنا الانتقالية المؤسسات القديمة المنتجة للحكمة ...تراجعت و أصبحت في وقت قصير مهمشة و المؤسسات الحديثة المنتجة للفكر الحديث لم تتكون بعد في شكلها النهائي."[1] هذه الوضعية الانتقالية التي تتضارب فيها الأفكار و الاتجاهات و تتداخل فيها المصالح والأولويات ترسّخت عند الشباب بإدراكهم أن الإدارات الحديثة ما هي إلا امتداد للجماعات القديمة، و أن الأفراد الذين يمثلونها حافظوا إلى حد كبير في علاقاتهم على الفلسفة المستمدة من النظام القديم le népotisme tribale).

الشباب الجزائري اليوم مقحم أكثر من أي وقت مضى لمواجهة الفروق الاجتماعية و الارتياب الاجتماعي الناتج عن تأثيرات العولمة الاقتصادية و الثقافية، خاصة أن مؤسسات الدولة لم تسمح و لم تشجع فئة الشباب على بناء استراتيجيات مواجهة بتحديد الأهداف و الطرق التي تسمح لها بمواكبة التيار العولمي الجارف، و لا حتى أن تسجل موقفها مما يحدث في الجزائر و في العالم[2]، هذا ما يجعل الشباب متجاذبا بين البنيات التقليدية و المعاصرة.

نور الدين طوالبي يشرح أن فوضوية التداخل و التمازج بين الثقافة التقليدية و الثقافة الحديثة في المجتمع الجزائري :" تخلق تفاوتات عدة على صعيد الإدراكات الجماعية، إذ تكون الرغبات جامحة أو لا "حدود لها" (الهيجان العاطفي عند دوركايم) و تصاب الطموحات بالجنون". و يتبع بالقول: "لقد أمكن لعدد من حالات الاكتئاب الباتولوجي التي تمت بكل حال دراستها أن تدعم، من وجهة نظر دينامية، فرضية المعاش العاطفي للتغير الاجتماعي في الجزائر"[3]. اذن إقصاء الشباب هو الذي يخلق الاضطرابات النفسية والاجتماعية لديهم وهذا نظرا لهشاشة و حساسية الفترة التي يمرون بها.

خاتمة

من خلال هذه الدراسة نستطيع القول أنه في ظل التناقض و التناطح بين مرجعية تقليدية تفرض ذاتها بقوة التاريخ و المنجزات التي حققتها وتحققها للأفراد و المجتمع عموما، و منظومة عصرية تبحث عن مجال تبرز فيه إمكانياتها في كنف التطور الهائل الذي يعرفه العالم في كل المجالات، يجد الشاب الجزائري نفسه تائها و غير قادر على تبني رؤية واضحة و صريحة تجاه التيارات الإيديولوجية التي تتبناها كل منظومة.

هذا الغموض في المرجعيات الرمزية بالثقل الفكري و العقائدي الذي تطرحه هو الذي يفسر غموض العلاقة بين المواطن (الشاب) والوطن بمؤسساته. فالتقليدي يمنح له نوعا من الأمان الاجتماعي ما يفسر تمسكه به، و المعاصر الذي يفترض أن يفتح له المجال لتحقيق ذاته كشخص لم ينجح بعد في هذا، ما جعل الشباب يتمسك ببعض مقومات الهوية الاثنية المحلية.

قائمة المراجع:

[1] يكفي ملاحظة ما يحدث أثناء فترات الانتخابات في هذه المنطقة.

2-Cohen-Scali. V, Moliner. P, Représentations sociales et identité : des relations complexes et multiples, L'orientation scolaire et professionnelle, N 37, avril 2008.

[3] Tillon. G, Les sociétés berbères dans l'aures méridional, in Africa journal de l' INST, Vol XI, 1938, p238.

[4] في فترة الاستعمار

[5]Cote. M, L'Algérie ou l'espace retourné, Algérie ,Média-Plus, 1993, p71 .

[6] Bouchemal. S, oct 2004, Pratiques communautaires et rapport à l'espace en Algérie, Colloque international « Espace et sociétés aujourd'hui », http//eso.cnrs.fr./évènemments/Rennes.

[7] الجماعة في الاوراس و القبائل و تقابلها مثلا العزابة عند الميزاب.

8 من الفعل "قرأ " .

[9] الشيء الذي لا تزال ملامحه مرسومة لحد اليوم.

10Boutefnouchet. M, La société algérienne en transition, Alger, O.P.U, 2004 ,p24.

ما سمحت به التكنولوجيات الحديثة: فايس بوك، يوتوب، تويتر...الخ و نلاحظ تداعياته اليوم في بعض 11 الدول العربية.

12 نور الدين طوالبي، الدين و الطقوس و التغيرات، ترجمة وجيه البعيني، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، 1988، ص 13.



Université Amar Telidji -Laghouat-

DIRASSAT

Revue internationale

N° 36

SEPTEMBRE 2015

ISSN 1112-4652